فهرسة

﴿ فهرسة ﴾

﴿ منية الأذكياء في قصص الأنبياء ﴾

ترجمه من التركية الحقير طاهر بن صالح الجزائري جعل
له مولاه من منهل عفوه يوم الجزاء ري

ذا كتاب يسمو الدراري حسنا * كيف لا وهو سيرة الانبياء
قد تخلى عما يشاب بريب * وتحلى باصدق الانباء
فأجل فيه طرف فكرك يجلي * وترى فيه منية الاذكياء

﴿ منية الاذكياء فى قصص الانبياء *﴾*

بسم الله الرحمن الرحيم

ان احسن ما تشنف به المسامع * وازين ما تشرف به المجامع
حمد من من علينا بالانبياء والرسل * وهدانا بهم الى
اقوم السبل * وقص علينا من اخبارهم * وأمرنا
باقتفاء آثارهم * وجعل قصصهم عبرة لأولى الالباب
وتبصرة لمن رفع عنهم الحجاب * وجعل غالب احوالهم خارقة
للعاده * لتشهد بصدقهم اكبر شهاده * فخلق آدم من التراب وعلمه
جميع الأسما * وجعله أول النوع البشرى الذى هو اشرف من
سائر الانواع وأسمى * وامر الملائكة ان يسجدوا له سجود تحيه
اعلاما بماله من الفضل والمزيه * فسجد الملائكة كلهم
اجمعون الا ابليس فانه ابى * فطرد من رحمة مولاه وصار له
فى الخسران اعظم نبا * واسكن الله آدم وزوجته حواء فى الجنه
واعظم لهما باباحة جميع نعيمها المنه * الا شجرة واحدة نهاهما عنها
فنسى آدم فاكل هو وحواء منها * فاهبطا الى هذه الدار

دار النصب والاكدار * فتاب آدم من زلته فقبل الله توبته * وقربه اليه ورفع رتبته * واظهر منه عددا وافرا من الاولاد * ارسله اليهم ليهديهم سبيل الرشاد * ووعده ان يعيده بعد حين الى الجنة موطنه الاول * خالدا فيها لا ينتقل عنها ولا يتحول * وكذلك جميع ذريته وابنائه * ممن تبع هدى انبيائه واخبر بنيه بان الانبياء تاتيهم تترى * وحثهم على ان لا يحيدوا عن سننهم فترا * ثم جاءه الاجل المقضى عليه وعلى اولاده * ففاز من رضوان مولاه بمراده * ثم ارسل الله ادريس بعد حين * فاحيى مادرس من امر الدين * وابان بعض الصنايع * والفنون الجمة المنافع * ولما اشتاقت نفسه الزكية الى مقر الكمال والصفاء رفعه الله تعالى الى السماء * ثم ارسل الله نوحا من بعده * وبحر الضلال قد طغى في مده * فدعا قومه الى الهدى ليلا ونهارا فلم يزدهم دعاؤه الا تماديا في الغي واصرارا * ونوعوا له انواع الاذى اضرارا * فدعا عليهم فقال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا * فانهمرت غيوث السماء انهارا * وانفجرت عيون الارض انفجارا * فحصل طوفان عم بالغرق اهل الشرك ودخل نوح ومن آمن معه في السفينة من قبل ذلك فنجوا من الهلاك * واستقرت السفينة على الجودى من ارض العراق فخرج اهلها واستقروا بهذه الناحية للسكنى والارتفاق * ولم يعقب منهم غير سام وحام ويافث ابناء نوح عليه السلام * ولذلك يقال له آدم الثاني لانتماء من ولد بعد ذلك اليه من الانام *

ارسل الله هودا الى عاد سكان الاحقاف من ارض اليمن فدعاهم
الى الله تعالى ودلهم على احسن سنن * فاعتزوا بشوكتهم
واغتروا بقوتهم * فاوعدهم بالهلاك ان اصروا فلم يصغوا
له سمعا * فارسل الله عليهم ريحا صرصرا فاصبحوا بها
صرعى * ثم ارسل الله صالحا الى ثمود سكان الحجر * فدعاهم
الى ما يجعل بينهم وبين العذاب اعظم حجر * فطلبوا منه آية
فاظهر لهم ناقة من حجر * وأصروا على ضلالهم وانبعث اشقاهم
للناقة فعقر * فاخذتهم صيحة اخمدت انفاسهم وجعلتهم صرعى
ولم تجدهم بيوتهم الحجرية نفعا * ثم ارسل الله ابراهيم عليه
السلام فى ارض العراق * وابضاعة الكفر والضلال بها اعظم
نفاق * فنهاهم عن عبادة الاوثان * ودعاهم الى عبادة من
تنزه ان يكون له ثان * وحاج قومه فاقام عليهم الحجه * واوضح
لهم المحجه * فلما عجزوا عن اقامة البرهان عمدوا الى ايقاد النيران
فالقوه فيها وهى تضطرم اضطراما * فعادت عليه بردا وسلاما * ثم
هاجر هو وابن اخيه لوط الى ديار الشام * فاصبحت به خير
مستقر ومقام * وارسل الله لوطا الى اهل سدوم منها * فاقام
مدة يزجر عن الكفر والفواحش التى لم يسبقوا بها وينهى * فلم
يزدهم وعظه الا تماديا فى الفسق * وغلوا فى الكفر وعصيان الحق
فقلب الله سدوم وقراها الخمس بمن فيها من الفجار * وصار
حديثهم عبرة لاولى الادكار * ووهب الله لابراهيم على الكبر
اسمعيل واسحاق * وجعلهما نبيين لامتين عظيمتين يملأ اعدادهما

الآفاق * فارسل اسماعيل الى قبائل اليمن والعمالقه * فاوضح
لهم شرائع الحق وطرائقه * واعان والده فى بناء الكعبة المكرمه
ودعوا الله حين بنائها ان يبعث فى اهلها رسولا منهم يزكيهم
ويرشدهم الى كل مكرمه * وارسل اسحاق فى اهل الشام خلفا
عن والده ابراهيم * فدعاهم الى منهاجه القويم * ثم ارسل من
بعده ابنه يعقوب ابا الاسباط ولقبه باسرائيل فكل اسرائيلى
له اتصال به وارتباط * وابتلاه الله بفراق ابنه يوسف فلم يدر
اين حل * فضنى جسمه من الحزن والبكاء ونحل * ولم يبث
حزنه الذى تندك له الجبال * لغير الملك المتعال * وابتلى يوسف
مع الغربة بالسجن * فتضاعفت عليه اعباء الحزن * وكان
سجنه لامتناعه عما فيه الوصمه * اظهارا لما قدر له
فى الازل من العصمه * ثم جمع الله يعقوب عليه السلام
بولده يوسف فى مصر * وقد رفعت عن ولده الشدة
والاصر والبس حلة الملك والنبوه * وجعل مثلا سائرا لاهل
الفتوه * واستقر يعقوب وذريته فى مصر * وتناسلوا ونموا حتى
صاروا بغير حصر * وهم فى عيشة راضيه * وعزة اذيالها ضافيه
ثم ارسل الله ايوب فى ناحية دمشق * فدعا الناس الى سبيل
الهدى والحق * وابتلاه بفقد ماله وولده * وشدة السقم فى جسده
فقابل قضاء مولاه بالرضا والصبر * وتضرع اليه فكشف ما به
من ضر * وخلفه ابنه ذوالكفل * فى الارشاد الى اقوم السبل
ثم ارسل الله شعيبا الى اصحاب الايكة واهل مدين * فاوضح

لهم طريق الرشاد وبين * فلم يرجعوا عن الكفر والطغيان ونقص المكيال والميزان فبعث على اهل الأيكة سحابة استظلوا بها فالتهبت عليهم نارا واخذت اهل مدين صيحة اقوامها بوارا ثم ارسل الله تعالى موسى واخاه هرون الى بنى اسرائيل وقد استعبدهم فرعون واراهم العذاب الوبيل * واحال عزتهم بالذلة وكثرتهم بالقلة * وكان هرون بمنزلة الوزير * والمعين لموسى والظهير فذهبا الى فرعون وطلبا منه ان يفك عن بنى اسرائيل الحجر * وان ياذن لهم فى الخروج من ارض مصر * فامتنع من ذلك فرعون * ورأى انه يفقد بفقد انهم او فرعون * وطلب آية واضحة الدلالة * على صدق ما ادعياه من الرسالة * فالقى موسى عصاه فاذاهى حية تسعى * واخرج يده من جيبه فاذا بياضها يبهر الأبصار لمعا * فظن ذلك سحرا فجمع السحرة فقابلهم بموسى فغلبوا * وعرفوا صدقه فآمنوا فامر بهم فرعون فقتلوا وصلبوا واظهر موسى بعد ذلك آيات أخر * لحق بها قوم فرعون اعظم ضرر * فضجر فرعون من هذا الحال * وخاف على ملكه من الزوال * واذن لبنى اسرائيل بالخروج فخرجوا ثم لحقه الندم فاتبعهم بجنوده فادركهم على شاطئ اليم * فانفلق اليم لموسى وقومه فسلكوا * ودخل فرعون وجنوده فى أثرهم فانطبق عليهم وهلكوا * ولما لم يقم بنو اسرائيل بشكر ما اولاهم مولاهم تاهوا فى القفار * وبقوا اربعين سنة ليس لهم قرار * وانزل الله تعالى على موسى اذذاك التوراة لهداية تلك الامة * وارشادها الى سبيل

البر والحكمه * ثم دخلوا فى ارض الشام * وملكوا بعض جهاتها
على يد يوشع فتى موسى عليهما السلام * ثم ارسل الله داود
اليهم * وضم له الملك عليهم * وانزل عليه الزبور مشتملا على نصائح
وحكم واوراد * ودانت له كثير من الامم وفتح كثيرا من البلاد
ثم خلفه ابنه سليمان * وجمع له ايضا بين النبوة والسلطان * وبنى المسجد
الاقصى * وخص بخصائص لاتحصى * ثم ارسل الله تعالى أاياس
الى بنى اسرائيل وقد عبد ناس منهم بعلا * وساؤا قالا وحالا وفعلا
فنهاهم عن ذلك فلم يذعنوا * وامرهم بعبادة الله تعالى فلم يؤمنوا
فامسك الله عنهم السماء * واشتد عليهم القحط والغلاء * فتضرعوا
الى الياس فى كشف مانزل من الضر * واظهروا الرجوع عن الكفر
فدعا الله فرفعه عنهم * ثم عادوا الى ماكان قبل منهم * فأيس
أاياس من فلاحهم فاعتزلهم * وفارق مقرهم ومنزلهم
ثم خلفه أليسع فى ارشادهم الى الحق * وكان ممن آمن باياس
وصدق * فكساه الله حلة الرساله * وميز به الهدى من الضلاله
وارسل الله فى هذا العصر يونس الى اهل نينوا * فدعاهم الى
الحق ونهاهم عن اتباع الهوى * فلم يصغوا اليه * واصروا على
البقاء على ماهم عليه فاوعدهم بالعذاب وذهب مغاضبا لهم * فلما
رأوا علامات العذاب آمنوا وتضرعوا فقبل الله ايمانهم ورحم
ذلهم * والتقم الحوت يونس حيث ذهب من غير أذن * واضحى
له بطن الحوت كالسجن فعرف زلته فتضرع لمولاه * فاغاثه ونجاه
ثم رجع الى قومه وقد رفع عنهم العذاب * واحسنوا لله المتاب

ثم ارسل الله تعالى زكريا فى ارض القدس والخليل * فدعا الى اقوم سبيل * ووهبه على الكبر يحيى * وارسله بعده فاظهر الدين المبين وأحيى؛ بشر بظهور المسيح فى زمنه فظهر * فاعلن بصدق دعوة عيسى بن مريم وجهر * ثم استشهد كوالده زكريا * وسفك اليهود منهما دما زكيا ولم يزل عيسى عليه السلام يدعو الى سبيل الرشاد ويصدع بتوحيد الله وعدم اتخاذ الشركاء والانداد وانزل الله عليه الانجيل ونسخ به بعض احكام التوراة * فحمل الحسد اليهود على تكذيبه وعزموا على اطفاء ما اوراه ثم قصدوا قتله فرفعه الله اليه * والقى شبهه على احد اعدائه فقتلوه وصلبوه وظنوا ان ذلك وقع عليه وسعواهم ومن شاكلهم فى الكفر به من الوثنيين * فى اهلاك من تمسك وتنسك بدينه المبين * فصارت اصحابه تختفى وتفرّ من ناحية الى ناحيه * واعداؤهم من كل جهة بالاذى والاضرار لهم ناحيه * فلم يتيسر حينئذ ضبط احكام الشرع العيسوى كما يجب ولم تلمح الناس بدرها المشرق حتى حجب * ثم بعد امد غير قصير صار له اعظم عضد ونصير * فدخل الناس فيه افواجا واتخذوه لهم منهاجا * ولكن بعد ان تغيّر وتبدّل * واصبح كالرسم الدارس ليس عليه من معوّل

ثم ارسل الله محمد بن عبد الله للناس اجمعين * وجعله خاتم النبيين * ونسخ بشريعته الشرائع الماضيه * وجعلها بجميع مصالح المعاش والمعاد وافيه * وفضله على جميع رسله * وهدى

به الى اقوم سبله * وانزل عليه الكتاب العزيز الذي لا ياتيه
الباطل * وتحدّى العالم بان ياتوا بسورة من مثله فعجزوا وصاروا
أعى من باقل * واظهر على يديه معجزات باهرة تشهد له بالصدق
وآيات كالشمس ظاهرة تدل على انه مرسل من الحق * وكانت
ولادته بمكة عام اتى الحبشة بالفيل لهدم الكعبه * فجعل الله كيدهم
فى تضليل وازال ببركته عن اهل مكة الكربه * وليلة ميلاده
انصدع ايوان كسرى * وخمدت نار فارس ولم تخمد قبل ذلك
دهرا * وغاضت بحيرة ساوه * وفاض وادى سماوه * فتفرس الفرس
ان ملكهم حان زواله * واشعر كسرى والموبدان فى المنام بانه
سيكون للعرب مآله * وتوالت بشرى الهواتف بميلاده * وتشريف
العالم باظهاره وايجاده * واسترضعوا له فزهدت فيه المرضعات
ليتمه * وتأبيلهن اعظام الاجر من ابى الرضيع دون أمه * وارضعته
فتاة شديدة الفاقة من آل سعد * فرأت بسببه من الخير
والبركة ما لم يكن لها به عهد * فحل لديها فى محلّ كريم
وودّت ان لا يبعد عنها ولا يريم * ولما رات له احوالا كثيرة
خارقة للعادة خشيت عليه أمرا * فاعادته لوالدته آمنة وهو
ابن اربع وعقت لذلك عذرا * فشعرت والدته بتمزيق العذر فالحت
عليها ان تصدقها الخبر * فاخبرتها بعجائب احواله وانها خشيت
من ذلك ان يصاب بضرر * فقالت امه كلا وأن لابنى شانا * سيظهر
للناس اعلانا * ثم لم يمض الا قليل حتى توفيت امه * وصار من
الابوين يتما * فكفله جده عبد المطلب الملقب بشيبة الحمد * ثم

توفى ورسول الله ابن ثمان سنين فوليه عمه ابو طالب وقام مقام
الجد * ولما بلغ النبى ثنتى عشرة سنة خرج مع عمه ابى طالب
فى تجارة له الى الشام * فلما وصل الى بصرى رآه الراهب بحيرا
وغمامة فوق راسه تسير حيث سار وتقيم حيث أقام * فسأل
اباطالب عنه فقال هو ابن اخى فقال انه سيكون له اعظم شان
واوصاه ان يحترز عليه من اليهود اهل العدوان * فباع هناك ما
لديه * ورجع به اشفاقا عليه * ولما تجاوز سنه العشرين خرج
مرة ثانية الى الشام فى تجارة للسيدة خديجة ومعه
غلامها ميسره * فلما فرغا مما توجها اليه عادا الى مكة
وقد عرف ميسرة خبره وخبره * فأنبأ خديجة بما سمعه من
نسطورا الراهب وما رآه فى احواله من العجائب * فرغبت فيه
فتزوجت به وقد بلغ سنه خمسا وعشرين * وقدر لها فى الازل ان
تكون ام المؤمنين * ولما بلغ خمسا وثلاثين سنة شهد بنيان قريش
للكعبة ووضع بيده الحجر الاسود * ورفع بتدبيره خلافا بينهم كاد
يستطير شرره ويمتد * ولما بلغ اربعين جاءه بالوحى جبرائيل * وظهر
اثر دعوة جده اسمعيل * فشرع يدعو الناس الى الاسلام
ويهديهم الى دار السلام * وكانت الدعوة ثلاث سنين سرا * ثم
امر باظهارها ودعوة الناس جهرا * فصدع بأمر الله ودعا الى
عبادته وتوحيده * وتنزيهه عن النقائص وتمجيده * وحث على
اكتساب الفضائل * ومكارم الاخلاق والشمائل * فآمن به اناس
اطرحوا العناد ظهريا وسلكوا من الانصاف صراطا سويا ولقى

الاكثرون على الصدود * والانكار والجحود * ولما سمعوه يعيب
الاصنام وينسب عبادها الى الضلال * وسفاهة الراى والخبال
تحزبوا عليه وعلى من اسلم من الاصحاب * وصاروا يعذبون من
قدروا عليه اشد العذاب * والمسلمون قد استعذبوا ذلك العذاب
واستهانوا بذلك الهوان * لما رسخ فيهم من حلاوة الايمان * ولما
رأت قريش فشو الاسلام فى الناس * وعدم تأثير ما استعملوه من
الشدة والباس جاؤا اباطالب وطلبوا منه ان يمنع رسول الله من
دعواه او يسلمه اليهم * والا ناصبوا بنى هاشم العداوة وتألبوا عليهم
فاصبح ابو طالب مما قالوه على مثل الجمر * واخبر النبى بذلك
فقال والله ياعم لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى شمالى ماتركت
هذا الامر * وظن ان اباطالب سيسلمه فاقسم له ابو طالب بالله
بانه لايسلمه مادام فى قيد الحياه * فاتفقت قريش على مقاطعة
بنى هاشم وكتبوا بذلك صحيفة وضعوها فى جوف الكعبه
فانحازت بنو هاشم كافرهم ومسلمهم الى ابى طالب ودخلوا شعبه
واقاموا اكثر من من سنتين ودون الثلاث فى الحصر * ولحقهم
بذلك من الشدة والغم مالا يدخل فى الحصر * ثم اخبر النبى عليه
الصلاة والسلام اباطالب بان الارضة اكلت ماكتب فى تلك
الصحيفة من العدوان * ولم تبق غير اسم الله العظيم الشان
فذهب ابو طالب فقص على قريش الخبر * وقال ان صح
ماقال ابن اخى فارفعوا القطيعة والضرر * وان لم يصح ماقال
خليت بينكم وبينه فى الحال * فاخرجوا الصحيفة فرأوها كما

اخبر الصادق الامين * فنقضوها فخرج من الحصار وقد بلغ من العمر تسعا واربعين * ولما بلغ خمسين سنة قدم عليه جن نصيبين فاسلموا وذهبوا الى قومهم منذرين * ولما بلغ احدى وخمسين سنة وتسعة اشهر اسرى به ليلا الى مسجد القدس * ثم عرج به الى السماء وفرضت عليه ليلتئذ الصلوات الخمس * ولما بلغ ثلاثا وخمسين سنة خرج هو وابو بكر الصديق من مكة الى المدينة مهاجرين مستخفيين من كفار قريش * فشعروا بذلك فاظهروا اعظم خفة وطيش * فعزموا على ردهما فاقبلوا يقتصون اثرهما فانتهى عند الغار وكان هناك خير الأنام * فارادوا ان يدخلوا فوجدوا نسج العنكبوت على فم الغار وبيض الحمام * فظنوا ان لأحد فيه وعادوا بالخيبه * ومن الله على نبيه وصديقه بالوصول سالمين الى طيبه

وقد جعلت سنة الهجرة مبدأ تاريخ هذه الامه * نظرا لما نشأ عنها من الفوائد الجمه وفى هذه السنة اى السنة الاولى للهجره آخى صلى الله عليه وسلم بين الصحابة * ليتعاونوا تعاون اقرب ما يكون من القرابه * وفى السنة الثانية فرض صيام شهر رمضان وكانت غزوة بدر التى اعز الله بها الايمان * وفى السنة الثالثة كانت غزوة احد وبها استشهد حمزة عمه * فاشتد اسف رسول الله عليه وغمه * ونزل بعد هذه الغزوة تحريم الخمر والقمار * لكثرة ما فيهما من المفاسد والمضار

وفى السنة الرابعة كانت غزوة بنى النضير من اليهود * لنقضهم بالعزم على قتله ما كان بينه و بينهم من العهود

وفى السنة الخامسة كانت غزوة الاحزاب تحزبت فيها قبائل العرب وارادوا ان يهجموا على المدينة * فامر صلى الله عليه وسلم بحفر الخندق حولها فغدت بذلك حصينة * وارسل الله على الاحزاب ريحا جعلت تكفأ قدورهم وترمى خيامهم * واوقع بينهم اختلافا ثنى عزمهم واضعف هممهم * فخابت آمالهم * وذهبت سدى أعمالهم * وغب ماوضع المسلمون اسلحتهم امر صلى الله عليه وسلم بالذهاب الى بنى قريظة من اليهود * لاعانتهم الاحزاب ونقض ما كان بينه و بينهم من العهود * فبادروا وغبار الحرب السابقة لم ينفضوه * و اذعنوا لمن امره فرض ولم يرفضوه * فضاق على اليهود الامر فطلبوا ان ينزلوا على حكم سعد * فاجرى عليهم سعد حكم من غدر ونقض العهد

وفى السنة السادسة كانت بيعة الرضوان وذلك انه عليه السلام قصد مكة معتمرا فلما وصل الى الحديبية أخبر بان اهلها عزموا على صده فارسل لهم عثمان ليطمنهم و يبين لهم عن قصده * فحبسوا عثمان وامسكوه * فشاع انهم اهلكوه * فدعا النبى صلى الله عليه وسلم اصحابه لمبايعته على ان يقاتلوا قريشا ولا يفروا عنهم * وانه اما الفتح اولا يبقى احد منهم * ولما سمعت قريش بذلك اطلقوا عثمان وارسلوا سفراء لعقد الصلح معه مدة من الزمان * وان يكون اعتماره فى العام المقبل * فاجاب صلى الله عليه وسلم لذلك وقبل

وفى السنة السابعة بعث كتبه ورسله الى الملوك يدعوهم الى الاسلام * قياما بما امر به من دعوة الخاص والعام * وفتح حصون خيبر واقر اليهود بها على ان يخرجهم متى شاء * ثم خرج الى مكة واعتمر عمرة القضاء

وفى السنة الثامنة كانت غزوة مؤتة وهى اول الغزوات بين المسلمين والروم * وفتحت مكة لنقض اهلها العهد فنالت الصحابة بفتحها اقصى ما تروم * وكانت غزوة حنين التى انهزم بها المسلمون اولا لاعجابهم بكثرتهم * ثم رد الله لهم الكرة اكراما لنبيه فى نصرتهم * وفى السنة التاسعة تتابعت الوفود ودخل الناس فى دين الله افواجا واتخذوا الاسلام شرعة ومنهاجا * وفيها كانت غزوة تبوك بين المسلمين والروم * ولما وصل الصحابة اليها نكص الروم عن الهجوم ودفع صاحب ايلة الجزيه *ورضى ذله وخزيه* وفى السنة العاشرة كانت حجة الوداع * ونزلت آية اليوم اكملت لكم دينكم المشعرة بمفارقة خير هاد وداع * وفى السنة الحادية عشرة كان وفاته عليه الصلاة والسلام * وانتقاله الى خير مقام * بعد ان اوضح طريق الهدى اعظم ايضاح * فلاح للعالمين سبيل الفلاح * اما بعد فهذا كتاب يشتمل على ما تشتد اليه حاجة الطالبين لمعرفة قصص الانبياء * والراغبين فى اصدق الاخبار واشرف الأنباء * يفصل ما اجمل فى الديباجه * ويرصع بجواهر صحاح الاخبار تاجه * من غير ايجاز مخل * ولا اطناب ممل * وهو الهادى * وعليه فى كل الامور اعتمادى

﴿ قصة آدم عليه السلام ﴾

ان الله جلّ شأنه اوجد العالم من العدم وخلق آدم عليه السلام من التراب ونفخ فيه الروح وامر الملائكة بالسجود له سجود تحية لاسجود عبادة اى امرهم ان يجعلوا آدم عليه السلام قبلة لهم يتوجهون اليها حال السجود تشريفاً له وتكريماً فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس ابى واستكبر وكان من الكافرين فطرده الله تعالى وجعل عليه اللعنة وسمه بالشيطان الرجيم فصار لذلك عدوّاً مبيناً لآدم * واسكن الله آدم الجنة وخلق حوّاء وجعلها قرينة مؤنسة له واباح لهما جميع ما فى الجنة الاشجرة واحدة نهاهما عنها ثم ان ابليس اشتدّ عليه الأمر فاحتال للدخول الى الجنة فدخل ووسوس لهما وقال لهما ان هذه الشجرة التى نهيتما عنها هى شجرة الخلد فمن اكل منها لايموت ابدا ويبقى فى نعيم الجنة مخلدا واقسم لهما بالله على انه ناصح لهما فاغترت حواء بيمينه وظنت انه لايجرأ احد على الحلف بالله تعالى كاذبا فاكلت من الشجرة ثم ناولت آدم عليه السلام منها فاكل منها ناسياً فاهبطهما الله من الجنة الى الارض جميعاً فوقع آدم عليه السلام فى ناحية الهند وحواء فى جدّة واكثر آدم عليه السلام من البكاء على زلته وتضرع الى الله سبحانه وتعالى ان يحفه بعفوه ورحمته فتاب الله تعالى عليه واصطفاه واجتباه * ثم ان الله سبحانه وتعالى اوحى الى آدم ان يذهب الى جهة مكة فذهب

فلما وصل الى عرفات راى زوجته الطاهرة حواء قد وصلت الى هناك فتعارف بها بامره الله تعالى ان يبنى الكعبة فبناها وهى اول مكان وضع للعبادة * ثم ان آدم عليه السلام كثرت ذريته واولاده وكذلك ابليس فاشتغل ابليس واولاده بالوسوسة لاغواء بنى آدم فاقتضت الحكمة الالهية ارسال الرسل فارسل الله تعالى آدم عليه السلام الى بنيه ليهديهم الى الصراط المستقيم ويحذرهم من اغواء الشيطان الرجيم لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ثم ان الله تعالى قبض آدم عليه السلام اليه وجعل ولده شيثا خليفته وانزل عليه خمسين صحيفة

﴿ قصة ادريس عليه السلام ﴾

قد ارسله الله تعالى بعد وفاة شيث عليه السلام وانزل عليه ثلاثين صحيفة وهو اول من خط بالقلم وخاط الثياب وكان الناس قبله يلبسون جلود الحيوانات ولما كشفت له اسرار الملكوت واشتاق الى الملأ الاعلى اكرمه الله تعالى برفعه الى السماء

﴿ قصة نوح عليه السلام ﴾

ولما رفع ادريس عليه السلام الى السماء زاغت بنو آدم عن الصراط المستقيم وصاروا يعبدون الاوثان والاصنام فأرسل الله تعالى اليهم نوحا عليه السلام ليدلهم على طريق الرشاد وصار يدعوهم الى طاعة الله وهم لايلتفتون وكلما دعاهم آذوه وخنقوه حتى يغشى عليه فاذا افاق قال رب اغفر لقومى فانهم لايعلمون

وبقى لاياتى قرن منهم الا كان اخبث من الذى قبله ولبث فيهم تسعمائة وخمسين سنة فلما طال عليه الامر شكاهم الى الله تعالى فاوحى الله اليه أنه لن يؤمن من قومك ألا من قد آمن وهم اولاده الثلاثة سام وحام و يافث ونساؤهم وناس قليل فلما يأس نوح منهم دعا عليهم فقال رب لاتذر على الارض من الكافرين ديارا فاوحى الله الى نوح ان يصنع السفينة وصار قومه يسخرون منه ويقولون يانوح قد صرت نجارا بعد النبوة فقال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم * فلما فرغ من صنع السفينة امره الله تعالى ان يحمل فيها من كل زوجين اثنين من انواع الحيوانات حتى لا ينقطع نسلها وحشرها اليه من كل جهة ولما راى فوران التنور وكان هو العلامة بينه و بين الله تعالى فى ابتداء الطوفان ركب فى الفلك هو ومن آمن معه وحمل من كل زوجين اثنين وامر الله تعالى السماء ان تمطر والارض ان تفجر عيونا وكان لنوح عليه السلام ابن اسمه يام قد تخلف عنه و كان كافرا فناداه نوح ودعاه للركوب فى السفينة فامتنع وقال ساوى الى جبل يعصمنى من الماء قال لاعاصم اليوم من امر الله الا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين * ولما راى نوح عليه السلام غرق ابنه يام غلب عليه حنو الابوة فقال رب ان ابنى من اهلى وان وعدك الحق وانت احكم الحاكمين * فاعلمه الله تعالى بان

ابنه ليس من اهله لانقطاع نسبته اليه بسبب كفره وعاتبه الله تعالى على سؤاله فسأل نوح العفو عما صدر منه من الزلة * وقد ارتفع الماء في هذا الطوفان فوق رؤس الجبال فهلك جميع ما على الارض من جنس الحيوان ولم يبق حيا غير اهل السفينة واستمر حكم الطوفان مقدار ستة اشهر * ثم ان الله تعالى امر السماء ان تقلع عن الامطار وامر الارض ان تبلع المياه فاستقرت السفينة فوق جبل الجودي من ارض الموصل فخرج اهل السفينة منها وسكنوا في تلك الجهة * ولم يظهر لغير ابناء نوح الثلاثة نسل ولذلك قيل لنوح عليه السلام آدم الثاني فجميع الناس بعد الطوفان من ولد سام وحام ويافث لا غير فسام ابو العرب والفرس والروم وحام ابو السودان ويافث ابو الترك * ثم ان بني آدم مع ما رأوه من الطوفان زاغوا بعد حين عن الصراط المستقيم وتركوا عبادة الله واشتغلوا بعبادة الاوثان كما ترى تفصيل ذلك ولما كثر ذرية ابناء نوح عليه السلام تفرقوا في جهات الارض ونواحيها واختص ذرية كل من ابنائه الثلاثة بناحية من النواحي .

﴿ قصة هود عليه السلام ﴾

ان هودا عليه السلام نبي ارسله الله تعالى الى عاد وهم قوم سكنوا في محل ذي رمل يسمى بالاحقاف قرب حضرموت من بلاد اليمن وكان قوم عاد ماهرين في العمارة فبنوا في محلهم ابنية لطيفة متينة وكانوا يعبدون الاصنام فدعاهم هود عليه

السلام الى طريق الحق فآمن منهم عدد قليل وظل الباقون في ضلالهم فارسل الله عليهم ريحا شديدة اهلكتهم وكان هود ومن معه قد خرجوا من بينهم فنجوا

تنبيه لا يعتمد على مايذكره بعض المؤرخين المولعين بنقل الغرائب بدون وضعها على محك النظر والنقد من المبالغة في طول قوم عاد وضخامة اجسامهم وان اطولهم كان مائة ذراع واقصرهم كان ستين ذراعا فان ذلك لم يقم عليه دليل عقلي ولا نقلي وهو وهم واما قوله جل شأنه مخاطبا لقوم عاد واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة فانه لا يدل على ما ارادوا وانما يدل على عظم اجسامهم وقوتهم وشدتها وهذا من الامور المعتادة فان الامم ليست متساوية في ضخامة الجسم وطوله وقوته بل تتفاوت لكن تفاوتا قريبا ومما يدلك على ان اجسام من سلف كاجسامنا لا تتفاوت عنها تفاوتا كبيرا مساكن ثمود قوم صالح الباقيه وآثارهم الباديه ومثله بل اعرق منه في الوهم ما ينقلونه في وصف عوج بن عنق الجبار ملك بيسان من انه كان يحتجز بالسحاب ويشرب منه من طوله ويتناول الحوت من قرار البحر فيشويه بعين الشمس برفعه اليها والحال ان الشمس كوكب لا مزاج له من حر او برد وانما حرارتها من انعكاس شعاعها بمقابلة سطح الارض والهواء فشدة حرارتها في الارض وتتناقص الحرارة فيما علا عنها بمقدار الارتفاع وقد انكر العلامة ابن خلدون جميع ذلك في مقدمة تاريخه وابان ان الذي ادخل الوهم على الناس في طول الاقدمين

هو مايشاهدونه من بعض آثارهم الجسيمة ومصانعهم العظيمة
كاهرام مصر وايوان كسرى فيتخيلون لاصحابها اجساما تناسب
ذلك والحال ان عظم هذه المصانع والآثار فى امة من الامم
ناشئ عن عظم دولتها واتساع ممالكها وقوة شوكتها ونماء ثروتها
واستعانتها بالماهرين فى فن جر الاثقال فانه يقوم بحمل ماتعجز
القوى البشرية عن عشر معشاره وانكر ايضا ماينقلون من
قصة جنة عاد وانها مدينة عظيمة قصورها من الذهب واساطينها
من الزبرجد والياقوت وفيها اصناف الشجر والانهار المطردة وانها
بنيت فى مدة ثلاثمائة سنة فى صحارى عدن بناها شداد بن عاد
حيث سمع وصف الجنة وانها لما تم بناؤها ارسل الله على اهلها
صيحة فهلكوا كلهم وان اسمها ارم ذات العماد وانها المشار اليها بقوله
تعالى الم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد التى لم يخلق
مثلها فى البلاد ويزعمون انها لم تزل باقية فى بلاد اليمن وانما
حجبت عن الابصار وحيث ان ذلك لم يرو عن الصادق الامين
فلا نعول عليه ولا نلتفت اليه واغلب المولعين بنقل مثل هذه
الغرائب المصنعة هم المؤرخون الذين يعتمدون على اخبار احبار
بنى اسرائيل ويقلدونهم من غير برهان ودليل والله الهادى الى
سواء السبيل .

﴿ قصة صالح عليه السلام ﴾

انه رسول ارسله الله تعالى الى قوم ثمود وهم قوم كانوا يسكنون
بالحجر وهو محل بين الشام والحجاز وقد ظهروا بعد ان هلك

قوم عاد وكانوا ذوى قوة عظيمة واتقان لصناعة البنيان وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا * ولما دعاهم صالح الى الايمان بالله تعالى وكانوا يعبدون الاصنام امتنعوا عن ذلك الا ان يظهر لهم ناقة من صخرة فاظهر لهم هذه المعجزة العظيمة ولكن عاندوا بعد ذلك وبقوا فى كفرهم ثم عقروا هذه الناقة فارسل الله عليهم صيحة فاهلكتهم وذهب صالح الى مكة يعبد الله تعالى تنبيه اذا دخل احد الحجر (مدائن صالح) ينبغى ان يدخل خاضعا خاشعا خائفا ان يصيبه مثل ما اصاب أهله ولا يشرب من مائه وهكذا الحكم فى كل محل حل به العذاب

﴿ قصة ابراهيم عليه السلام ﴾

ان ابناء نوح عليه السلام بعد خروجهم من السفينة سكنوا اولا فى ديار العراق وبنوا مدينة بابل وهى مدينة قريبة من نهر الفرات ثم انفصل طائفة منهم وبنوا مدينة نينوا وهى مدينة على شط نهر دجلة مقابلة لمحل البلدة المشهورة الآن بالموصل * وكانت سكان بابل يسمون بالنبط ولغتهم سريانيه وكان الملك لهم وكانت بابل مقر سرير الملك والسلطنة ثم ان الكلدانين قويت شوكتهم فى بابل وورثوا علوم النبط ومعارفهم وكانوا صابئين يعبدون النجوم فولد فيهم ابراهيم عليه السلام وكان ابوه آزر يعبد الاصنام فلما شب ابراهيم عليه السلام وترعرع ورأى عبادة الاصنام فاشية فى قومه شرع ينهاهم عن عبادتها ويستهزئ بها فحاجه قومه فى ذلك فخصمهم وغلبهم بالحجة ودعا اباه الى دينه فقال

يا ابت لم تعبد مالا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا فابى ابوه
الاجابة الى مادعاه اليه * ثم ان ابراهيم عليه السلام جاهر قومه
بالبراءة مما كانوا يعبدون واظهر دينه فقال افرايتم ماكنتم
تعبدون انتم واباؤكم الاقدمون فانهم عدو لى الا رب العالمين
قالوا فمن تعبد انت قال رب العالمين قالوا أتعنى نمرود فقال لا ففشا
ذلك فى الناس حتى بلغ نمرود ملك بابل فقال له يا ابراهيم من
ربك الذى بعثك وتدعو الى عبادته وتذكر عظم قدرته قال
ابراهيم عليه السلام ربى الذى يحيى ويميت قال نمرود انا أحيى
وأميت قال ابراهيم كيف تحيى وتميت قال آخذ رجلين قد استوجبا
القتل فى حكمى فاقتل احدهما فاكون امته واعفو عن الآخر
فاتركه فاكون احييته فقال له ابراهيم عند ذلك فان الله
يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب * فبهت عند
ذلك نمرود ولم يرجع اليه شيئا ولزمته الحجة * ثم ان ابراهيم
عليه السلام اراد ان يرى قومه ضعف الاوثان التى كانوا يعبدونها
من دون الله وعجزها الزاما للحجة عليهم فجعل ينتهز لذلك فرصة
ويحتال فيه وكان لهم فى كل سنة عيد يخرجون اليه ويجتمعون فيه
واذا رجعوا من عيدهم دخلوا على الاصنام فسجدوا لها ثم عادوا
ألى منازلهم فلما كان ذلك العيد قال آزر لابنه لو خرجت معنا
الى عيدنا اعجبك ديننا فخرج معهم ابراهيم عليه السلام فلما كان
ببعض الطريق القى نفسه وقال انى سقيم فتولوا عنه فلما
مضوا رجع الى بيت الاصنام وكانوا قد وضعوا بين ايديها طعاما

ليأكلوه اذا رجعوا رجاء حصول البركة فيه بزعمهم فلما نظر الى الاصنام والى مابين ايديها من الطعام قال لها على طريق الاستهزاء الا تأكلون فلما لم تجبه قال مالكم لاتنطقون فجعل يكسرهن بفأس بيده حتى لم يبق الا الصنم الاكبر فعلق الفأس فى عنقه ثم خرج فلما رجع القوم من عيدهم الى بيت الاصنام ورأوها بتلك الحالة قالوا من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم فبلغ ذلك نمرود واشراف قومه فقالوا فأتوا به على اعين الناس لعلهم يشهدون فلما احضروه قالو له أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم قال ابراهيم عليه السلام بل فعله كبيرهم هذا الغضب من عبادة هذه الاصنام الصغار معه فكسرهن فاسألوهم ان كانوا ينطقون فلما قال لهم ابراهيم ذلك رجعوا الى انفسهم فقالوا انكم انتم الظالمون اى بعبادتكم الاوثان الصغار مع هذا الكبير ثم نكسوا على رؤسهم متحيرين فى امره وعلموا انها لاتنطق ولا تبطش فقالوا لقد علمت ما هؤلاء ينطقون فلما اتجهت الحجة عليهم لابراهيم قال لهم افتعبدون من دون الله مالا ينفعكم شيأ ولا يضركم اف لكم ولما تعبدون من دون الله افلا تعقلون فلما لزمتهم الحجة وعجزوا عن الجواب قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين فبنوا له بنيانا و قدوا فيه النار ولما ارادوا القاء ابراهيم عليه السلام فيه جاء جبريل فقال يا ابرهيم الك حاجة قال اما اليك فلا فقال جبريل سل ربك فقال ابراهيم عليه السلام حسبى

من سؤالى علمه بحالى حسبى الله ونعم الوكيل فالقوه فى النار
فقال الله عز وجل يانار كونى بردا وسلاما على ابراهيم * فانطفأت
النار ولم تؤثر فيه اصلا فلما راى قوم ابراهيم هذه المعجزة العظيمة
آمن به بعضهم واصر الباقون على كفرهم وعنادهم ثم ان
ابراهيم عليه السلام اراد ان يهاجر الى الشام فذهب اولا الى
مصر وكانت معه زوجته الطاهرة المصونة السيدة ساره فسمع
فرعون مصر بانها من اجمل النساء فارسل الى ابراهيم عليه السلام
فلما جاءه قال ماهذه المرأة منك فخاف ان قال له امرأتى ان
يقتله ليتزوج بها فقال له هى اختى فاراد ذلك الجبار ان يقربها
ومد اليها يده فايبسها الله تعالى فلما راى ذلك قال لها سلى ربك
ان يطلق يدى واعطاها العهد والميثاق بعدم التعرض لها فقالت
ساره اللهم ان كان صادقا فاطلق له يده فاطلق الله يده فردها الى
ابراهيم ووهب لها جارية تسمى هاجر وسافر ابراهيم عليه السلام
من بلاد مصر واتى الى الشام تنبيه ان قول ابراهيم عليه السلام
انى سقيم حين اراد قومه ان يخرج معهم الى عيدهم ليس فى
الحقيقة كذبا لانه اراد به سقم النفس مما رآه من ضلالهم * وكذا
قوله بل فعله كبيرهم اى كبير الاصنام حين سأله قومه عن
كسر الاصنام لانه اراد بذلك الاستهزاء والتبكيت لهم ومثله
لا يعد كذبا لوجود القرينة المانعة من ارادة الظاهر
وكذلك قوله عن زوجته ساره هى اختى ليس كذبا لانها اخته
فى الدين وقال تعالى انما المؤمنون اخوة واما ماورد من

ان ابراهيم عليه السلام لم يكذب الا ثلاث كذبات كلها في الله فالمراد به ماهو في صورة الكذب لا الكذب حقيقة * وقد لقب ابراهيم عليه السلام بالخليل حيث امره الله تعالى في المنام بذبح ولده وفلذة كبده فبادر لذلك فلما وضع السكين على حلقومه ارسل الله تعالى اليه جبرائيل وامره ان يفديه بكبش فذبحه فداء عن ابنه واختلف في الذبيح هل هو اسحاق ام اسماعيل

﴿ قصة لوط عليه السلام ﴾

كان لوط عليه السلام ابن اخي ابراهيم عليه السلام فهاجر معه من ارض بابل الى ارض الشام والى ذلك الاشارة بقوله تعالى (ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين) يعني الشام فبركتها ان بعث منها اكثر الانبياء وهي الارض المقدسة وارض المحشر والمنشر وبها ينزل عيسى بن مريم عليه السلام وبها يهلك الله تعالى المسيح الدجال وهي ارض خصبة كثيرة الاشجار والانهار والثمار ويطيب بها العيش للغني والفقير وارسله الله تعالى الى ارض سدوم وكانت ارض كفر وفواحش وكانوا يأتون الرجال شهوة من دون النساء فنهاهم لوط عليه السلام عن ذلك ودعاهم الى عبادة الله تعالى وتوعدهم على اصرارهم على ماهم عليه وخوفهم من العذاب الاليم واستمر على ذلك مدة فلم يزدهم وعظه الا تماديا وعتوا واستعجالا بعذاب الله وانكارا وتكذيبا وقالوا له ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين فسأل لوط ربه ان ينصره عليهم فاجاب الله دعاءه فارسل اليه

ملائكة على صورة رجال مرد حسان فنزلوا عنده فلما رآهم قومه طمعوا فيهم فاغتم لوط لذلك فاخبروه انهم قد ارسلوا من الله لاهلاك اولئك القوم وأمروه ومن آمن معه ان يخرجوا فى الليل فخرجوا فلما كان الصبح قلب الله تعالى سدوم وقراها الخمس بمن فيها وجعل عاليها سافلها واتبع شاردهم ومسافرهم بالحجارة

﴿ قصة اسماعيل عليه السلام ﴾

كانت السيدة الطاهرة سارة زوجة ابراهيم عليه السلام عقيما لايولد لها ولد فوهبته امتها هاجر فولد له منها اسماعيل عليه السلام فتكدر خاطر السيدة سارة لذلك وكانت آيسة من الولاده فاذهب الله تعالى عقمها رحمة بها فولدت اسحاق عليه السلام فاخذها مايأخذ النساء من الغيرة فطلبت من ابراهيم ان يبعد عنها هاجر وابنها واصرت على ذلك فاوحى الله الى ابراهيم عليه السلام ان يأتى بالسيدة هاجر وابنها اسماعيل الى مكة فذهب بهما حتى قدم مكة فوضعهما هنالك ورجع ودعا لهما وقال (ربنا انى اسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل افئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون) * ثم ان هاجر اشتد بها وبابنها العطش فنظرت اى الجبال ادنى من الارض فصعدت الصفا وتسمعت هل تسمع صوتا او ترى انسيا فلم تسمع شيأ ولم تر احدا ثم انها سمعت اصوات سباع الوادى نحو اسماعيل فاقبلت اليه بسرعة ثم سمعت صوتا نحو المروة فسعت وما تريد السعى كالانسان المجهود

فهي اول من سعى بين الصفا و المروة ثم صعدت الى المروة ثم
رجعت وفي رجوعها صادفت ماء وهو ماء زمزم انبعه الله
تعالى كرامة لها وكان بالقرب من مكة قبيلة جرهم من قبائل العرب
فاتوا الى مكة ورأوا ماء زمزم فقالوا لهاجر ان شئت كنا معك
فآنسنا لك فاذنت لهم وكانوا هناك حتى شب اسماعيل فتزوج
امراة منهم ورزق منها اثنى عشر ولدا واخذ من تلك
القبيلة اللغة العربية وتعرب بهم وسميت اولاده العرب المتعربة
ولما امر الله ابراهيم عليه السلام ببناء الكعبة وكان بنيان آدم
عليه السلام قد تهدم بسبب الطوفان سار من الشام وقدم
على ابنه اسماعيل في مكة وقال يا اسماعيل ان الله تعالى امرني
ان ابني له بيتا وقد امرك ان تعينني عليه فجعل ابراهيم يبنيه
واسماعيل يناوله الحجاره وكان وقوف ابراهيم على حجر هناك
وهو يبني وهو مقام ابراهيم واستمر البيت على مابناه ابراهيم
عليه السلام الى ان جددت بناءه قريش سنة خمس وثلاثين من مولد
رسول الله صلى الله عليه وسلم * وارسل الله تعالى اسماعيل
عليه السلام الى قبائل اليمن والى العماليق وكانت العمالقة ساكنين
في جزيرة العرب من جهة الشام وزوج اسماعيل ابنته من ابن اخيه
عيص بن اسحاق فولدت له اولادا فكثروا وتناسلوا وملكوا جهة
الشام وكذلك اسماعيل عليه السلام فان نسله تكاثر وبارك الله
تعالى فيه وجعل له القوة على غيره فاخرجوا العمالقة وانتشروا
في جهات كثيرة وكل ناحية وصلوا اليها كانت لهم بها اليد العليا

قصة اسحق عليه السلام

ان اسحق عليه السلام ورث موضع ابيه ابراهيم عليه السلام بعد وفاته وجعله الله تعالى من الانبياء وولد له ولدان العيص ويعقوب * فاما العيص فتزوج بنت عمه اسماعيل عليه السلام ورزق منها جملة اولاد وتناسلوا حتى كثروا جدا وملكوا فى ناحية الشام * واما يعقوب عليه السلام فتزوج وولد له اثنا عشر ولدا هم آباء الاسباط ولما توفى ابوه اسحق ورث موضعه وارسله الله تعالى الى قومه وكان يلقب باسرائيل ويقال لاولاده واحفاده ومن كان من ذريته بنو اسرائيل

قصة يعقوب ويوسف عليهما السلام

ان يعقوب عليه السلام كان له اثنا عشر ولدا وكان احبهم اليه يوسف عليه السلام وكانت اخوته يغارون منه فراى مرة فى المنام احد عشر كوكبا والشمس والقمر ساجدة له فاخبر والده بهذه الرؤيا فامره والده ان يكتمها عن اخوته خوفا من ان تحملهم الغيرة على الاضرار به واول له الرويا بان الله تعالى سيمنحه النبوة والملك العظيم وازداد محبة له فلما رأى أخوته ذلك اشتد عليهم الامر وفرغ منهم الصبر وعزموا على كيد يوسف والاضرار به فطلبوا من ابيهم ان يأذن ليوسف بالذهاب معهم الى البرية ليرتع ويلعب وتكفلوا له بمحافظته فامتنع اولا فقال لهم انى ليحزننى ان تذهبوا به واخاف ان يأكله الذئب وانتم عنه غافلون فالحوا على ابيهم وتعهدوا بمحافظته وملاحظته فارسله معهم فلما

وصلوا به الى البرية اظهروا ما اضمروا له من البغض والعداوة فهموا بقتله فقال لهم احدهم وكان احسنهم فيه رايا اليس انكم قد اعطيتمونى موثقا ان لا تقتلوه فعند ذلك اجمعوا على القائه فى الجب وهو بئر قد جف ماؤه فالقوه فيه ثم عمدوا الى سخلة من الغنم فذبحوها ولطخوا قميص يوسف بدمها ورجعوا الى يعقوب عشاء وكان ينتظر مجيئهم لتعلق قلبه بيوسف فلما دنوا منه اصطرخوا صراخ رجل واحد ورفعوا اصواتهم بالبكاء فعلم يعقوب انهم قد اصيبوا بمصيبة فلما وافوه اجمعوا وتقدموا بين ايديه واكثروا من البكاء والعويل ففزع يعقوب وقال مالكم يا بنىّ واين يوسف قالوا انا ذهبنا للاستباق والرمى بالسهام وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب وهذا قميصه ملطخا بدمه فاخذ يعقوب عليه السلام من الحزن ما لا يمكن وصفه واتهم بان ذلك من كيدهم فلذلك قال لهم بل سولت لكم انفسكم امرا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون * ومكث يوسف عليه السلام فى الجب مدة وكان احد اخوته وهو احسنهم فيه رايا يأتيه كل يوم بالطعام فجاء يوما من الايام على عادته فلم يجد يوسف عليه السلام فى الجب فنظر فاذا هو برفقة مارة تريد مصر ويوسف معهم وكانوا قد ارسلوا واردهم ليستقى لهم الماء من البئر فلما أدلى دلوه تعلق يوسف بالحبل فلما وصل الى فم البئر ورآه الوارد قال يا بشرى هذا غلام كأنه يبشر اصحابه انه

اصاب غلاما فرجع اخو يوسف عليه السلام واخبر باقى اخوته بما راى فاتوا الى الذى اخذ يوسف عليه السلام وقالوا له هذا عبدنا قد فرمنا وكتم يوسف حاله مخافة ان يقتلوه فقال الذى اخرجه من الجب انا اشتريه منكم فباعوه منه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين فلما قدم مصر رآه عزيزها وهو ناظر الخزينة بها فاشتراه وامر امراته باكرامه والاحسان اليه فلما تاملته امرأة العزيز ورات حسنه وجماله وقع حبه فى قلبها وعشقته وراودته عن نفسه اى طلبت منه ان يتابعها على هواها فقال يوسف معاذ الله ان زوجك هو سيدى وقد احسن الى وانا ان خنته فى اهله بعدما اكرمنى وأتمنى اكون ظالماً ولا يفلح الظالمون فقام يوسف مبادراً الى باب البيت هارباً مما ارادته فاتبعته المراة فادركته فتعلقت بقميصه من خلفه فجذبته اليها مانعة له من الخروج فخرقت وشقت قميصه من خلفه لان يوسف كان الهارب والمرأة الطالبة واستبقا الباب فوجدا العزيز هناك واقفا فلما راته هابته وقالت سابقة بالقول لزوجها ماجزآء من اراد باهلك سوأ الاّ يسجن اوعذاب اليم فلما سمع يوسف عليه السلام ذلك اضطر الى تبرئة نفسه الطاهرة الزكية فقال هى راودتنى عن نفسى وظهر له صدق كلام يوسف برؤية قميصه منشقا من خلف لا من امام وعرف انه كان هاربا لا طالبا ثم اقبل على يوسف عليه السلام فقال يوسف اعرض عن هذا اى لا تذكر هذا

الحديث لاحد ثم قال لامراته واستغفرى لذنبك انك كنت من الخاطئين اى المذنبين و ذنبها طلبها الخيانة ثم كذبها و افترؤها على اهل الامانة * ثم شاع امر يوسف وزوجة العزيز بين الناس و اكثر بعض نساء الاشراف من الطعن و الملام و ضللوا رأيها حيث شغفت بعبدها وافتتنت به وصارت تراوده عن نفسه فسمعت بذلك امرأة العزيز فارسلت اليهن وهيأت لهن مجلساً للطعام وما يتكئن عليه من النمارق والوسائد واحضرت لهن من المأكول ما يقطع بالسكاكين كالاترج و البطيخ و اعطت كل واحدة منهن سكينا وبينما هن يقطعن ما هيئته لهن قالت ليوسف اخرج عليهن فلما رأينه اكبرنه و بهتن وقطعن ايديهن بالسكاكين وهن يحسبن انهن يقطعن ما اعد لهن من المأكول وقلن حاشا لله ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم فقالت حينئذ لتلك النسوة فذلكن الذى لمتننى فيه فعذروها فى حبه والافتتان به وقلن ليوسف لاتخالف امر مولاتك ثم عاودته امراة العزيز بالمراودة وتوعدته بالسجن على المخالفة فقال رب السجن احب الى مما يدعوننى اليه و الا تصرف عنى كيدهن أصب اليهن و اكن من الجاهلين فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن انه هو السميع العليم ولما ايست امراة العزيز من موافقة يوسف عليه السلام قالت لزوجها ان هذا الفتى قد فضحنى فى الناس يعتذر اليهم ويخبرهم انى راودته عن نفسه فحبسه العزيز مع علمه ببراءته دفعا

للتهمة عن امرأته ولما سجن يوسف دخل معه السجن فتيان كانا للملك مصر احدهما صاحب طعامه والآخر ساقيه وكان السبب فيه ان جماعة من مصر ارادوا المكر بالملك واغتياله فدعوا الى هذين الغلامين وضمنوا لهما مالا عظيما ليسما الطعام والشراب للملك فاجاباهم الى ذلك ثم ان الساقى نكل عن ذلك ورجع عنه وصاحب الطعام غش الملك وقبل الرشوة فسم الطعام فلما حضر وقته واحضر الطعام قال الساقى ايها الملك لاتأكل فان الطعام مسموم وقال صاحب الطعام لاتشرب فان الشراب مسموم فقال الملك للساقى اشرب فشرب فلم يضره وقال لصاحب الطعام كل من طعامك فابى وجرب ذلك الطعام فى دابة من الدواب فاكلته فهلكت فامر الملك بحبسهما ثم راى كل واحد منهما رؤيا اما الساقى فراى انه يعصر خمرا واما صاحب الطعام فراى كأن فوق رأسه خبزا تأكل الطير منه وقصا هاتين الرؤيتين على يوسف عليه السلام وطلبا منه تاويلهما فكره يوسف عليه السلام ان يعبر لهما ماسألاه لما علم فى ذلك من المكروه على احدهما فاعرض يوسف عليه السلام عن سوالهما واخذ فى غيره فقال لا يأتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتأويله قبل ان يأتيكما فقالا له هذا فعل الكهنة والسحرة فقال ما انا بكاهن ولا ساحر ولكن ذلكما مما علمنى ربى ثم بين لهما دينه ومذهبه ودعاهما الى الاسلام وتوحيد الملك العلام ثم فسر رؤياهما لما ألحا عليه فقال لهما اما احدكما فيسقى ربه خمرا يعنى يعود الى

منزلته التى كان عليها عند الملك و اراد به الساقى و اما الآخر فيصلب فتأكل الطير من راسه و اراد بالآخر صاحب الطعام ثم لما سمعا قول يوسف عليه السلام قالا مارأينا شيئا انما كنا نلعب و نجرب علمك فقال يوسف عليه السلام قضى الامر الذى فيه تستفتيان اى فرغ الامر الذى عنه تسألان وقال يوسف للساقى اذكرنى عند ربك اى سيدك ومالكك وقل له فى السجن غلام محبوس ظلما فنسى الساقى ذلك فلبث يوسف عليه السلام فى السجن بضع سنين والمشهور انه لبث بعد ذلك سبع سنين والبضع فى اللغة مابين الثلاثة الى العشرة ولولا ان يوسف عليه السلام استشفع بالساقى مالبث بعد ذلك هذه المدة ولكن الله تعالى آخذه على تعلق امله بالخلق وهذا وان لم يكن منكرا اصلا لكن الله آخذه بذلك نظرا لما تقتضيه درجة النبوة من عدم تعلق الامل بما سوى الله تعالى فالحبيب يشدد عليه ما لايشدد على غيره * ولما دنا الفرج من يوسف عليه السلام راى ملك مصر رؤيا عجيبة هالته وفزع منها وذلك انه راى سبع بقرات سمان وسبع بقرات عجاف وان العجاف ابتلعت السمان وسبع سنبلات خضر وسبعا اخر يابسات فجمع السحرة والكهنة والمعبرين وقصها عليهم وقال ياايها الملأ افتونى فى رؤياى ان كنتم للرؤيا تعبرون قالوا اضغاث احلام اى احلام مختلطة مشتبهة التأويل اباطيل وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين فتذكر حينئذ الساقى يوسف عليه السلام واخبر الملك بقصة يوسف معه

فارسله الى السجن وقص له رؤيا الملك فاخبره بانه تأتى سبع سنين
يكثر فيها الخصب والرخاء ثم يأتى بعدها سبع شداد يحصل المحل
فيهن وفرط الغلاء واشار بان يكثروا من الزرع فى السبع الاول
ويتركوا ما زرعوه فى سنابله الا قليلا مما يضطرون الى اكله
استعدادا لاعوام المحل فرجع الساقى الى الملك واخبره بما قاله
يوسف عليه السلام من تأويل الرؤيا ووقع فى قلب الملك ان
الذى قاله كائن البتة فقال ائتونى بالذى عبر هذه الرؤيا لاجعله
من المقربين الى فلما جاء الرسول الى يوسف عليه السلام
ابى ان يخرج معه حتى يعرف عذره وبراءته وعفته فقال للرسول
ارجع الى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتى قطعن ايديهن ان
ربى بكيدهن عليم فرجع الرسول الى الملك واخبره بما قاله
يوسف عليه السلام فدعا الملك النسوة اللاتى قطعن ايديهن
وامرأة العزيز فقال ما خطبكن اذ راودتن يوسف عن نفسه قلن
حاش لله ما علمنا عليه من سوء قالت امرأة العزيز الآن حصحص
الحق انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين فلما سمع يوسف
ذلك قال ذلك ليعلم انى لم اخنه بالغيب وان الله لا يهدى كيد الخائنين ثم
قال هضما لنفسه وما ابرئ نفسى ان النفس لامارة بالسوء الا
ما رحم ربى فلما تبين للملك عذر يوسف وعرف امانته وكفايته
وعلمه وعقله قال ائتونى به استخلصه لنفسى فلما كلمه قال انك اليوم لدينا
مكين امين فقال يوسف عليه السلام اجعلنى على خزائن
الارض انى حفيظ عليم فجعله الملك عزيز مصر اى ناظر المالية

واتخذوه وزيرا ومستشارا ثم ان العزيز السابق توفي فزوج الملك يوسف عليه السلام بامرأته التي كانت مشغوفة به فلما دخل عليها يوسف عليه السلام قال لها اليس هذا خيرا مما كنت تريدين مني فقالت له ايها الصديق لاتلمني فاني كنت امرأة حسناء في ملك ودنيا وكان صاحبي لايأتي النساء وكنت كما جعلك الله في صورتك وهيئتك فغلبتني نفسي فلما بني بها يوسف وجدها عذراء فولدت له ابنين افرايم ومنسا واستوثق ليوسف ملك مصر فاقام فيهم العدل فاستولى على قلوب اهلها ولما دخلت السنون المجدبة جعل اهل مصر يبتاعون من يوسف عليه السلام الطعام وكان يوسف عليه السلام لايبيع احدا الا بمقدار حاجته وبحسب ماعنده من الانفس خوفا من زيادة الغلاء وكان قد اصاب ارض كنعان وبلاد الشام من القحط والشدة مااصاب مصر ونزل بيعقوب عليه السلام من ذلك مانزل بالناس فارسل بنيه الى مصر بطلب الميرة وامسك عنده ولده الصغير بنيامين اخا يوسف الشقيق وكان يتسلى به بعد فقد يوسف عليه السلام فلما وصلوا الى مصر ودخلوا على يوسف عليه السلام عرفهم ولم يعرفوه لطول العهد به وتغير زيه وعدم تكرار النظر وتحديق البصر به هيبة له فقال لهم يوسف عليه السلام اخبروني من انتم وما امركم فاني انكرت شأنكم فقالوا نحن قوم من الشام رعاة اصابنا الجهد فجئنا نمتار فقال لعلكم جواسيس جئتم تنظرون احوال بلادنا فقالوا لا والله ما نحن بجواسيس وانما نحن اخوة بنو اب واحد

شيخ كبير من الصديقين يقال له يعقوب قال فكم انتم قالوا نحن كنا اثنى عشر فذهب منا اخ الى البريه فهلك فيها قال كم انتم هاهنا قالوا عشرة قال فاين الآخر قالوا عند ابينا لانه اخو الذى هلك من امه فابونا يتسلى به قال فمن يعلم ان الذى تقولون حق قالوا ايها العزيز انا فى بلاد لانعرف بها فقال يوسف ائتونى باخيكم الذى من ابيكم ان كنتم صادقين فانى ارضى بذلك قالوا ان ابانا يحزن على فراقه و سنراوده عنه قال فضعوا بعضكم عندى رهينة حتى تأتونى باخيكم فاقترعوا بينهم فاصابت القرعة احدهم فخلفوه عنده فامر يوسف غلمانه بان يكيلوا لهم مقدارا و يجعلوا ثمن طعامهم معه فلما رجعوا الى ابيهم قالوا يا ابانا قدمنا على خير رجل انزلنا واكرمنا كرامة او كان رجل من ولد يعقوب ما اكرمنا مثلها فقال لهم اين اخوكم قالوا له ان الملك ارتهنه لنأتيه ببنيامين واخبروه بالقصة وقالوا ياابانا منع منا الكيل فارسل معنا اخانا نكتل و انا له لحافظون فقال لهم يعقوب هل آمنكم عليه الا كما امنتكم على اخيه من قبل فالله خير حافظا وهو ارحم الراحمين فلما فتحوا متاعهم الذى جاؤوا من مصر وجدوا بضاعتهم اى ثمن طعامهم ردت اليهم فقالوا يا ابانا ما نبغى هذه بضاعتنا ردت الينا ونمير اهلنا ونحفظ اخانا ونزداد كيل بعير ذلك كيل يسير فقال لهم يعقوب ان ارسله معكم حتى تؤتونى موثقا من الله لتأتننى به الا ان يحاط بكم اى تهلكوا جميعا فلما آتوه موثقهم قال يعقوب الله على ما نقول وكيل

فارسله معهم ولما وصلوا الى مصر ودخلوا على يوسف فى الكرة الثانية قالوا يا ايها العزيز هذا اخونا الذى امرتنا ان نأتيك به فقال لهم أحسنتم وأصبتم وانزلهم عنده واكرمهم واضافهم ثم ان يوسف عليه السلام عرف اخاه بنيامين سرا بنفسه وامره ان لا يعلم اخوته بشئ من هذا فقال له بنيامين انى لا افارقك فقال له يوسف لا يمكننى ان احبسك عندى الا بعد اشتهارك بأمر يوجب ذلك فقال انى لا ابالى افعل ما تريد قال يوسف انى اضع صاعى هذا فى رحلك ثم انادى عليك بالسرقة لينهأى ردك بعد تسريحك فقال افعل ثم ان يوسف عليه السلام اوفى لاخوته الكيل وحمل ابنيامين بعيرا باسمه وامر بان يوضع فيه صواعه وكان ثمينا ثم انهم ارتحلوا وامهلهم يوسف حتى ظعنوا فامر بهم فادركوا ومنعوا عن السير ثم اذن مؤذن ايتها العير انكم لسارقون فوقفوا فلما قرب منهم الرسول قال لهم اما احسنا اليكم واعتنينا بشأنكم ووفينا لكم الكيل وفعلنا لكم ما لم نفعل غيركم قالوا بلى وما ذاك قال سقاية الملك فقدناها ولم نتهم بها غيركم قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد فى الارض وما كنا سارقين وانا منذ قطعنا هذه الطريق لم نرد احدا بسوء واسألوا من مررنا به هل اضررنا باحد او افسدنا شيئا وانا قد رددنا الدراهم لما وجدناها فى رحالنا فلو كنا سارقين لما رددناها فقال لهم الرسول انه صاع الملك الاكبر وقد ائتمنى عليه فان لم اجده تخوفت ان تسقط منزلتى عنده فمن رده على فله حمل بعير من

طعام وانا بذلك كفيل فقالوا معاذ الله ان نسرق فقال المؤذن
واصحابه فما جزاء من وجد فى رحله قالوا جزؤه ان يسترق
ويستعبد وكان ذلك حكم آل ابراهيم فى السارق فقال الرسول
عند ذلك لابد من تفتيش امتعتكم واستم بيارحين حتى افتشها
ثم انه انصرف بهم الى يوسف فبدأ باوعيتهم قبل وعاء اخيه
بنيامين ثم استخرجها من وعاء اخيه بنيامين فلما راى ذلك اخوته
نكسوا رؤسهم من الحياء ثم انهم قالوا ليوسف ان يسرق فقد
سرق اخ له من قبل قال بعض العلماء السرقة التى نسبوها
ليوسف عليه السلام هى انه راى صنما فى بيت بعض اقاربه من
جهة الام فاخذه فكسره واتلفه وسموا ذلك سرقة جهلا بحقيقتها
ولما اراد يوسف عليه السلام ان يحتبس اخاه بنيامين عنده وراوا
ان لاسبيل لهم الى تخليصه منه سألوه ان يخليه لهم ويعطونه واحدا
منهم بدلا فقالوا ياايها العزيز ان له ابا شيخا كبيرا فخذ احدنا مكانه انا نراك
من المحسنين قال معاذ الله ان ناخذ الا من وجدنا متاعنا عنده انا اذا
لظالمون ولم يقل الا من سرق تحرزا عن الكذب فلما
استيأسوا منه خلا بعضهم ببعض متناجين متشاورين قال
كبيرهم الم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا من الله ومن
قبل ما فرطتم فى يوسف فلن ابرح الارض حتى ياذن لى ابى
او يحكم الله لى وهو خير الحاكمين ارجعوا الى ابيكم فقولوا ياابانا
ان ابنك سرق وما شهدنا الا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين
واسأل القرية التى كنا فيها والعير التى اقبلنا فيها وانا لصادقون

فقال يعقوب عليه السلام بل سولت لكم انفسكم امرا فصبر جميل عسى الله ان يأتيني بهم جميعا انه هو العليم الحكيم وتولى عنهم وقال يا اسفا على يوسف وذلك انه لما بلغه خبر بنيامين تكامل حزنه وبلغ نهايته فهيج حزنه على يوسف وابيضت عيناه من الحزن اي ضعف بصره من شدة الحزن والبكاء فلما رأى ذلك اولاده قالوا له تالله تفتؤ تذكر يوسف حتى تكون حرضا اي مريضا ذاهب العقل من الهم او تكون من الهالكين فقال يعقوب لما رأى غلظتهم وجفوتهم انما اشكو بثي وحزني الى الله واعلم من الله ما لا تعلمون ثم ان يعقوب قال لبنيه يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه ولا تيأسوا من روح الله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون وعلم يعقوب حياة يوسف عليهما السلام اما بطريق الوحي او استنباطا من المنام الذي رآه يوسف عليه السلام في حال صباه الذي يدل على سجود اخوته له وابويه وانه لا يموت قبل حصول ذلك ولم يحصل وكانت اخوة يوسف قد قطعوا الامل من حياته لمضي احد وعشرين سنة من فقده فعند ذلك خرج اخوة يوسف راجعين الى مصر وهذه كرة ثالثة فدخلوا على يوسف و (قالوا يا ايها العزيز مسنا واهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة فاوف لنا الكيل وتصدق علينا ان الله يجزي المتصدقين) فلما سمع يوسف عليه السلام هذا الكلام الذي تفتت له الاكباد غلبته نفسه وادركته الرقة فاظهر لهم امره فقال لهم (هل علمتم ما فعلتم

يوسف واخيه اذ انتم جاهلون) فلما قال ذلك عرفوه فقالوا
أئنك لانت يوسف قال انا يوسف وهذا اخى قد من الله علينا
انه من يتق ويصبر فان الله لايضيع اجر المحسنين قالوا تالله
لقد آثرك الله علينا وان كنا لخاطئين فقال يوسف عليه السلام
(لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين)
ثم سألهم عن حال ابيه من بعده فقالوا قد ضنى جسمه وضعف
بصره من شدة الحزن والبكاء فاعطاهم يوسف قميصه
فقال (اذهبوا بقميصى هذا فالقوه على وجه ابى يأت بصيرا
واتونى باهلكم اجمعين) فلما خرجت القافلة من مصر متوجهة
الى كنعان قال يعقوب (انى لاجد ريح يوسف لولا ان تفندون)
اى تسفهون فقال له اولاد اولاده تالله انك لفى ضلالك القديم اى
محبتك القديمة العهد (فلما ان جاء البشير القاه على وجهه فارتد
بصيرا) فقال لهم عند ذلك (الم اقل لكم انى اعلم من الله مالا
تعلمون قالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين قال سوف
استغفر لكم ربى انه هو الغفور الرحيم) فتهيأ يعقوب عليه السلام
للخروج الى مصر فلما دنا من مصر كلم يوسف الملك فخرج مع
يوسف هو والجند واهل مصر لاستقبال يعقوب عليه السلام فاستقبلوه
فذهب به وباخوته الى داره فلما دخلوا على يوسف رفع
ابويه على السرير فسجدوا له واخوته حينئذ له سجود شكر
ولم يكن السجود هناك بوضع الجبهة على الارض بل كان بمجرد
الانحناء وكان ذلك جائزا فى شرعهم فاقشعر جلد يوسف عليه

السلام عند ذلك وقال (يا ابت هذا تأويل رؤياى من قبل قد جعلها ربى حقا وقد احسن بى اذ اخرجنى من السجن وجاء بكم من البدو من بعد ان نزغ الشيطان بينى وبين اخوتى ان ربى لطيف لما يشاء انه هو العليم الحكيم)* واقام يعقوب بمصر بعد موافاته باهله وولده باغبط حال واهنى عيش واتم راحة ثم حضرته الوفاة فلما احتضر جمع بنيه وقال ما تعبدون من بعدى قالوا نعبد آلهك واله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحق الها واحدا ونحن له مسلمون) فأكد عليهم الثبات على ذلك وقال يا بنى ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون ثم انه اوصى الى يوسف ان يحمل جسده الى الارض المقدسة حتى يدفنه عند ابيه اسحق ففعل يوسف ذلك وسافر به الى الشام ودفنه عند ابيه وكان عمر يوسف عليه السلام حين وفاة يعقوب ستة وخمسين سنة * ثم حضرت يوسف عليه السلام الوفاة فقال رب قد آتيتنى من الملك وعلمتنى من تأويل الاحاديث فاطر السموات والارض انت وليى فى الدنيا والآخرة توفنى مسلما والحقنى بالصالحين) ثم توفاه الله تعالى وكان عمره حينئذ مائة وعشر سنين ودفن بمصر حتى كان من موسى عليه السلام وفرعون ما كان فلما خرج موسى من مصر اخرج يوسف من قبره وحمله معه الى التيه فى تابوت ولما مات هناك اخذ التابوت فتاه يوشع ولما قدم بنى اسرائيل الى الشام دفنه بالقرب من نابلس وقيل عند الخليل عليه السلام وقد كان لبنى اسرائيل فى مصر مقام عظيم بسبب يوسف عليه السلام فتكاثروا وتناسلوا ولما توفى يوسف عليه السلام والملك الذى

اتخذه وزيرا عنده انقطع ذلك الاعتبار والاحترام عن بنى اسرائيل ولم يزل الامر فى ازدياد واشتداد حتى ظهر موسى عليه السلام

﴿ قصة ايوب عليه السلام ﴾

هو رجل عده المؤرخون من امة الروم لانه من ولد عيص بن اسحق وكان الله تعالى قد اصطفاه ونبأه وبسط عليه الدنيا وكان له البثنية من ارض الشام كلها سهلها وجبلها وكان له من اصناف المال مالا يكون لرجل افضل منه بالعدة والكثرة واعطاه الله تعالى اهلا وولدا فابتلاه الله تعالى بان اذهب ماله واهله فصبر على ذلك وثابر على عبادته وشكره ثم ابتلاه فى جسمه ببلاء عظيم حتى مل منه الناس غير زوجته رحمة فانها كانت ملازمة لخدمته صابرة على حاله وهو مع ذلك لم يتغير عما كان عليه من الصبر وعدم الضجر ولما تناهى الامر فى الشدة نادى ربه قال (رب انى مسنى الضر وانت ارحم الراحمين) فكشف الله عنه ضره وآتاه اهله ومثلهم معهم واغناه وجعل له ثناء حسنا فى الصابرين وخلف ايوب ولدا اسمه بشر نبأه الله من بعده وكناه ذا الكفل

﴿ قصة شعيب عليه السلام ﴾

هو من ولد بعض الذين آمنوا بابراهيم عليه السلام وهاجر معه الى الشام وجدته بنت لوط عليه السلام بعثه الله تعالى الى اهل مدين واصحاب الايكة وكان فى اعلى طبقة من الفصاحة والبلاغة حتى كان يقال له خطيب الانبياء فدعا قومه الى عبادة الله تعالى

ونهاهم عن تطفيف المكاييل والموازين وان لا يبخسوا الناس اشياءهم فاعرضوا عنه ولم يسمعوا لنصيحته ولما اصروا على عنادهم وضلالهم سلط الله على اهل الايكة حرا غلت من شدته الانهار فتفاقم عليهم الغضب ثم بعث الله عليهم سحابة فاظلتهم ووجدوا لها بردا فاجتمعوا كلهم تحت السحابة فالهبها الله عليهم نارا فاحترقوا كلهم واهلك الله تعالى اهل مدين بالرجفة وهي الزلزلة وذهب شعيب عليه السلام هو ومن آمن به الى مكة ولم يزالوا في عبادة الله تعالى الى حين الممات ولما كان في مدين زوج احدى ابنتيه موسى عليه السلام حين فراره من فرعون كما سيأتي

﴿ قصة موسى وهارون عليهما السلام ﴾

ان بني اسرائيل بعد وفاة يوسف عليه السلام بقوا في مصر وتناسلوا حتى كثروا جدا ولم يزالوا على بقية من شرع يعقوب ويوسف عليهما السلام وكان سكان مصر الاصليون وهم القبط يعبدون النجوم والاوثان وكانوا ينظرون الى بني اسرائيل بعين الاحتقار وكانت ملوك مصر تعامل رعيتها من بني اسرائيل معاملة الاسير الذليل حتى كان فرعون موسى الذي لم يكن في الفراعنة اقسى منه قلبا ولا اطغى واجرأ على الله ولا اسوأ ملكا لبني اسرائيل فحملهم من الاعمال ما لا يطاق حتى وقعوا في اعظم الشدائد والمشاق فسئموا من الاقامة بمصر لما رأوه بها من الشدة والاصر وكانوا يودّون الرجوع الى ارض كنعان التي كانت موطن اسلافهم ولكن لم يجدوا لذلك حيلة ولم استطيعوا

سببا لعدم تمكين فرعون لهم وكانت بنوا اسرائيل اثنى عشر سبطا اى قبيلة وكل سبط ينسب الى احد ابناء يعقوب الاثنى عشر وهم «روبيل» «شمعون» «لاوى» «يهوذا» «يساخر» «زبولون» «يوسف» «بنيامين» «دان» «نفتالى» «كاذ» «اشار» وكان لكل سبط شيخ وكانت اسباط بنى اسرائيل بحيث لو اجتمعت فى مكان واحد لحصل لها من القوة والمنعة ما يحميها ويخلصها من الاسر وكان ذلك متوقفا على وجود رئيس لها يجمع كلمتها ويضم شملها وكانت بنو اسرائيل تزداد فى كل مدة عدتهم والقبط تخشى ان تقوى بذلك شوكتهم * ثم ان بعض الكهنة اخبر فرعون بانه سيولد فى بنى اسرائيل غلام يكون سببا لزوال ملكك وقد اظلك زمانه الذى يولد فيه فامتلأ قلب فرعون رعبا فامر بقتل كل غلام يولد فى بنى اسرائيل وعين اناسا فى كل ناحية لفعل ذلك وكانوا يدخلون على دور بنى اسرائيل للبحث عن ولد حديثا وبينماهم فى ذلك اذ ولد موسى عليه السلام وهو ابن عمران من سبط اللاويين نسبة الى لاوى ابن يعقوب عليه السلام الثالث ولما وضعته امه حزنت حزنا شديدا واشتد غمها فالهمها الله تعالى ان تضعه فى تابوت وتلقيه فى النيل ففعلت ذلك فانطلق به الماء فادخله الى قرب دار فرعون فرأته جواريه فاخرجنه واخذنه وظنن ان فيه مالا فحملنه على حالته حتى ادخلنه على آسية زوجة فرعون فلما فتحته رأت الغلام فالقى الله تعالى عليها محبته ورحمته ثم انها اتت به فرعون فقالت قرة عين لى ولك لا تقتلوه عسى ان ينفعنا او نتخذه ولدا

فقال فرعون انى اخاف ان يكون هـذا من بنى اسرائيل وان يكون الذى هلاكنا على يده فلم تزل آسية تكلمه حتى وهبه لها فطلبت له مرضعا فلم يقبل ثدى امراة وكانت ام موسى عليه السلام حين القته فى اليم ارسلت اخته تراقبه عن بعد ولما رأت انه قد صار فى دار فرعون وانه عرض عليه المراضع فلم يقبل واحدة منهن دلتهم على ام موسى فاحضرتها آسية فلما عرضت عليه الثدى اخذه ورضع ففرحت بذلك آسية فرحا شديدا وجعلت لام موسى موضعا خاصا من دارها لترضعه فلم تزل على ذلك حتى كبر وقال بعض المؤرخين ان ام موسى لما دخلت الى آسية قالت امكثى عندى لترضعى ابنى هذا فقالت لا استطيع ان ادع بيتى وولدى فيضيع فان طابت نفسك ان تعطينيه فاذهب به الى بيتى وولدى فيكون معى ولا اولى له الا خيرا فعلت والا فانى غير تاركة بيتى وولدى فرضيت آسية بارضاعها الغلام فى بيتها فرجعت ام موسى بابنها الى بيتها وكادت تقول هو ابنى فرحا الا ان الله تعالى عصمها وانبته الله نباتا حسنا وحفظه وشب موسى وترعرع فبينا هو يمشى فى بعض الايام اذ وجد اسرائيليا وقبطيا يختصمان فوكز القبطى فقتله ثم اشتهر ذلك وخاف موسى من فرعون ففر وقصد نحو مدين واتصل بشعيب وزوجه بنته واقام فى مدين عشر سنين ثم سار موسى باهله قاصدا ديار مصر فصادف جبل الطور فكلمه الله سبحانه وتعالى هناك وامره ان يذهب هو واخوه هارون الى فرعون ويدعواه الى الدين الحق وان يترك بنى

اسرائيل ليهاجروا الى ديار اجدادهم فذهب موسى عليه السلام الى مصر واجتمع باخيه هارون واخبره الخبر فقال هارون سمعا وطاعه فذهبا الى فرعون وبلغاه ماامرا به ثم ان فرعون قال لموسى من انت قال انا رسول رب العالمين فتأمله فرعون فعرفه فقال له (الم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين وفعلت فعلتك التى فعلت وانت من الكافرين) فقال موسى عليه السلام فعلتها اذا وانا من الضالين اى المخطئين فانى لم ارد بضرب القبطى قتله ففررت منكم لما خفتكم فوهب لى ربى حكما وجعلنى من المرسلين فقال فرعون وما رب العالمين فقال موسى عليه السلام رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين ثم قال فرعون لموسى لئن اتخذت الها غيرى لاجعلنك من المسجونين قال موسى اولو جئتك بشئ مبين قال فأت به ان كنت من الصادقين فالقى موسى عصاه فاذا هى ثعبان مبين فلما راى فرعون ذلك امتلأ قلبه رعبا ووقع فى نفسه ان الغلام الذى اخبره الكاهن بانه سيكون سبب زوال ملكه هو موسى عليه السلام فاستولت عليه الحيرة والاضطراب والتفت لمن حوله وقال لهم ان موسى ساحر ماهر فى صنعة السحر وقد اراد ان يبدل دينكم بسحره ويملك مصر فماذا ترون فقالوا له نرى ان تمهله واخاه وترسل الى سائر البلاد ليأتوك بكل ساحر ماهر عساهم يغلبون موسى واخاه وكان للقبط عيد فى اول السنة فواعد فرعون موسى واخاه ان يجتمعوا فى ذلك اليوم فى موضع عينه ليكون ذلك على مرأى من

الناس وسمع ثم ارسل فرعون الى المدائن حاشرين فاتوه بالسحرة الماهرين فوعدهم فرعون باعظام الاجرة واعلاء المنزلة ان غلبوا موسى واخاه وكان للسحر في ذلك العصر رواج عظيم فلما جاء يوم العيد اتى الناس من كل ناحية وجاء فرعون مع اشراف قومه واجتمع السحرة وجاء موسى ومعه اخوه هارون عليهما السلام فقال للسحرة (ويلكم لاتفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى) فابوا الا الاصرار وقالوا بعزة فرعون انا لنحن الغالبون فالقوا حبالهم وعصيهم فتخيل للناس انها حيات تسعى فالقى موسى عصاه فاذا هي ثعبان عظيم فابتلع ما القته السحرة من حبالهم وعصيهم فلما راى السحرة ذلك عرفوا ان ماصنع موسى خارج عن طوق البشر وقالوا لبعضهم لو كان سحرا فاين حبالنا وعصينا ولو كان موسى ساحرا ماغلبنا ولا خفي علينا امره وانما هو نبي وما صنعه انما هو معجزة فخروا سجدا وقالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون فلما راى فرعون ذلك غضب غضبا شديدا وقال للسحرة مجلدا وموها على الناس (آمنتم قبل ان آذن لكم انه لكبيركم الذى علمكم السحر فلسوف تعلمون لأقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ولأصلبنكم اجمعين قالوا لا ضير انا الى ربنا منقلبون انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا ان كنا اول المؤمنين) فقطع ايديهم وارجلهم من خلاف وصلبهم في جذوع النخل فاصبحوا سحرة كفرة وامسوا شهداء بررة ورجع فرعون مغلوبا مهزوما وظهر من موسى عليه السلام بعد ذلك معجزات

كثيرة بينة منيرة فابى فرعون وقومه ألا الاقامة على الكفر والتمادى فى الشر * ولما خشى فرعون وقومه من قوة شوكة بنى اسرائيل بسبب رياسة موسى عليه السلام عليهم وجمعه كلمتهم ومن افساد اهل مملكته عليه اذن لموسى وقومه بالخروج من مصر فخرج موسى عليه السلام ببنى اسرائيل فى ليلة كان عينها لهم لذلك فشعر فرعون بذلك وندم على اذنه فتبعهم بعسكره حتى لحقهم عند بحر القلزم وهو المشهور ببحر السويس فلما رات بنوا اسرائيل غبار عسكر فرعون قالوا يا موسى اين ماوعدتنا من النصر والظفر هذا البحر قدامنا ان دخلنا غرقنا وفرعون خلفنا ان ادركنا قتلنا لقد اوذينا من قبل ان تاتينا ومن بعد ما جئتنا فقال موسى يا قوم استعينوا بالله واصبروا ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين وقال عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم فى الارض فينظر كيف تعملون واوحى الله الى موسى عليه السلام ان اضرب بعصاك البحر فضربه فانفلق وظهر فيه اثنا عشر طريقا لكل سبط طريق وايبس قعره فدخل بنوا اسرائيل فى البحر فتبعهم فرعون وعسكره فخرج موسى وقومه من الجهة الثانية وانطبق البحر على فرعون وجنوده فغرقوا كلهم * وسار حينئذ موسى عليه السلام ببنى اسرائيل الى ارض كنعان فمروا على قوم من العمالقة يعبدون اصناما على صورة البقر وكان بنوا اسرائيل قد اعتادوا على رؤية مثل ذلك فى

مصر ولم يرسخ التوحيد فى قلوبهم اذ ذاك فقالوا ياموسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون ان هؤلاء متبر ماهم فيه وباطل ما كانوا يعملون قال اغير الله ابغيكم الها وهو فضلكم على العالمين وفضلهم عليهم فى النعم والآيات لافى الثواب والكمالات وذلك انه فلق لهم البحر وانجاهم من آل فرعون الذين كانوا يذبحون ابناءهم ويستحيون نساءهم واغرق عدوهم وانزل عليهم التوراة فيها بيان كل شئ يحتاجون اليه واعطاهم ما اعطاهم فى التيه ولما قربوا من من مدينة اريحا من ارض كنعان وكان فيها قوم جبارون من العمالقة واراد موسى عليه السلام ان يدخلوها قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها يا موسى اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون) فغضب موسى عليه السلام فدعا عليهم فقال (رب انى لا املك الا نفسى واخى فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين) فقال الله تعالى (فانها محرمة عليهم اربعين سنة يتيهون فى الارض) فبقوا فى التيه هذه المدة وانزل الله عليهم المن وهو شئ كالصمغ يقع على الاشجار وطعمه كالشهد والسلوى وهو طائر يشبه السمانا فكانوا يقتاتون بهما بلا مؤنة ولا مشقة الا انهم نسوا الاهوال التى لحقتهم فى مصر وسئموا من المن والسلوى وتذكروا البقول والحبوب التى كانت بمصر فقالوا (ياموسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها قال اتستبدلون الذى

هو ادنى بالذى هو خير اهبطوا مصرا فان لكم ما سألتم) وكان
الله تعالى وعد موسى ان ينزل عليه كتابا وامره ان يتعبد فى
الخلوة اربعين يوما وهو صائم وان يأتى بعدها الى الطور ليكلمه
ويعطيه ذلك الكتاب فاستخلف اخاه هرون على بنى اسرائيل
ثم فعل ما امر به واتى طور سيناء فكلمه ربه وناجاه وقربه ثم
انزل عليه الالواح وكتب له فيها من كل شئ موعظة وتفصيلا
وكان فى بنى اسرائيل رجل من المنافقين يقال له السامرى اغتنم
فرصة ذهاب موسى عليه السلام فقال لبنى اسرائيل ان موسى
قد احتبس عنكم وليس براجع اليكم فينبغى لكم ان تتخذوا الها
واطمعه فيهم قولهم لموسى عليه السلام سابقا حين مروا بقوم
يعبدون الاصنام اجعل لنا الها كما لهم آلهة وكانوا قد استعاروا
حليا كثيرا من آل فرعون حين ارادوا الخروج من مصر بعلة
العيد واهلك الله فرعون وقومه فبقى ذلك الحلى بايديهم ولم يكن
له شأن عندهم اذ حكمه فى الصحارى والقفار حكم سائر الاحجار
وملوا من حمله على المطايا حمل اعناقهم للاوزار والخطايا فطلب
السامرى ان يجمعوا له ما عندهم من ذلك الحلى ويدفعوه اليه ففعلوا
فصاغ منه عجلا جسدا له خوار فلما رآه اوغاد بنى اسرائيل وجهلاؤهم
ذلك عجبوا فقال لهم هذا الهكم واله موسى وان موسى قد ضل
عن ربه فذهب الى الطور فى طلبه وها هو قد اتاكم بنفسه فضلوا
وافتتنوا به فعكفوا عليه يعبدونه من دون الله فقال لهم هارون
يا بنى اسرائيل انما فتنتم به وان ربكم الرحمن فاتبعونى واطيعوا

امرى قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى فلما رجع موسى ورأى ماصنع قومه بعده من عبادة العجل اخذ بشعر راس اخيه هارون ولحيته من شدة الغضب وقال له (مامنعك اذ رأيتهم ضلوا الا تتبعني افعصيت امرى) فقال هارون (يا ابن ام لاتأخذ بلحيتي ولا برأسي اني خشيت ان تقول فرقت بين بني اسرائيل ولم ترقب قولي) ثم اقبل موسى عليه السلام على السامرى فقال له ماخطبك ياسامرى فاخبره بما زينت له نفسه فلعنه موسى عليه السلام وقال له (اذهب فان لك في الحياة ان تقول لامساس) وامر بني اسرائيل ان لايخالطوه ولا يقربوه فصار كالوحش لايألف ولا يؤلف وامر بالعجل ان يحرق ويبرد بالبرد ثم يذرى في البحر فلما علم بنوا اسرائيل انهم قد اخطأوا وضلوا في عبادتهم العجل ندموا على ذلك واستغفروا الله تعالى وتابوا اليه وسكن غضب موسى وتلا عليهم مانزل اليه من ربه فشرعت بنوا اسرائيل بالعمل بما تقتضيه احكام التوراة التي انزلها الله تعالى وصارت معرفة الله تعالى تتمكن من قلوبهم شيأ فشيأ الى ان رسخت وكادت ان لاتثبت لبعد افهامهم عن غير عالم الاجسام * ولما مضى اربعون سنة من تيههم هلك اكثرهم من اهل الجبن الذين امتنعوا عن محاربة اعدائهم من الجبارين ونشأت لهم من ذراريهم شبان اولوا قوة وشجاعة لم يألفوا ترف الحضر ورفاهيته فرأى موسى عليه السلام ان وقت المحاربة قد حان فجاء ببني اسرائيل الى الجهة الجنوبية من بحر لوط وسار

الى الامام فخرج اليهم الملك عوج بن عنق فحاربوه فانهزم فملك موسى عليه السلام البلاد الكائنة فى الجهة الشرقية من نهر الاردن المشهور بنهر الشريعه ثم صعد الى الجبل الذى يقابل مدينة اريحا فنظر ارض كنعان التى وعد الله بنى اسرائيل بها فاستبشر بذلك ثم ان موسى عليه السلام عرف قرب المنية فاستخلف على بنى اسرائيل يوشع بن نون من ذرية افرايم ابن يوسف عليه السلام وكان اخوه هارون قد توفى قبله * تنبيه لا يعلم احد مدة ما بين خلق الدنيا ووفاة موسى عليه السلام ولا مطمع لاحد بذلك اذ ابتداء خلق الدنيا من الامور التى استأثر الله تعالى بعلمها واما المدة التى بينه وبين آدم فهى مسئلة قد اختلف فيها المؤرخون ولا سبيل الى الوقوف على ما هو الصواب فى ذلك لعدم وجود تواريخ كتبت فى تلك الاعصار متسلسلة الحوادث والاخبار ومستند المؤرخين فى هذه المسئلة التوراة ونسخها مختلفة لا يطابق بعضها بعضا ولا سبيل الى تعيين نسخة للاستناد اليها والتعويل عليها الا ان المشهور عند المؤرخين ان بين هبوط آدم الى الارض والطوفان الفين ومائتين واثنين واربعين سنة وان بين الطوفان ووفاة موسى عليه السلام الفا وستمائة وستا وعشرين سنة فيكون ما بين هبوط آدم ووفاة موسى عليهما السلام ثلاثة الاف وثمانمائة وثمان وستين سنه وبقيت شريعة موسى عليه السلام يعمل بها بنوا اسرائيل الى ان بعث عيسى عليه السلام فاتى بشرع جديد ونسخ الشريعة الموسويه واما من كان بينهما من الرسل فلم يرسلوا بشرع جديد وانما

ارسلوا لاجراء احكام التوراة ودعوة الناس الى اتباعها ولما مات موسى عليه السلام لم يتول على بنى اسرائيل ملك بل قام فيهم حكام سدوا مسد الملوك لاطاعة اسباط بنى اسرائيل اهم واولهم يوشع وآخرهم شمويل عليهما السلام وكانا نبيين ايضا

﴿ قصة يوشع عليه السلام ﴾

لما مات موسى عليه السلام قام بتدبير بنى اسرائيل فتاه يوشع بن نون فاقام بهم فى التيه ثلاثة ايام ثم ارتحل بهم الى ساحل نهر الشريعة بالغور فاراد العبور فلم يجد سبيلا لذلك فوقف النهر معجزة له حتى انكشفت ارضه فعبر بنوا اسرائيل ونزل يوشع بهم على اريحا محاصرا لها ففتحها فتخلصت بذلك بنوا اسرائيل من محنة الطواف فى البرارى والقفار ودخلوا الى ارض كنعان مأوى اسلافهم فى سالف الاعصار ثم سار يوشع الى نابلس الى المكان الذى فيه يوسف فدفن يوسف هناك ثم ملك يوشع الشام وفرق فيه عماله ودبر بنى اسرائيل نحو ثمان وعشرين سنة ثم توفى وبعد وفاته قام فيهم حكام تترى يتولاهم واحد منهم بعد واحد وكانت احوالهم حينئذ مختلفة متباينة فتارة يسلكون فى سبيل الرشاد فتجرى امورهم على نهج السداد وتارة يسلكون فى سبيل الغى والضلال فتجرى امورهم الفساد والاختلال ويتسلط عليهم العدى ويذيقونهم كأس الهوان والردى فتارة يجعلونهم أسرى وتارة يعاقبونهم بعقوبات اخرى وتارة يبقون بلا حاكم ينصف المظلوم من الظالم ولم تزل امور بنى اسرائيل تدبرها الحكام الى

مضى احدى عشرة سنة من حكم شمويل عليه السلام فحضروا اليه وسألوه ان يجعل لهم ملكا وكانت العمالقة سكان فلسطين ورعية الملك جالوت الجبار قد غلبت عليهم وفرقتهم فاقام لهم طالوت ملكا وبذلك انتهى دور حكام بني اسرائيل الذين كانوا بمنزلة القضاة وسدوا مسد ملوكهم وابتدأ دور ملوكهم وكان ذلك بعد وفاة موسى عليه السلام بأربعمائة وثلاث وتسعين سنة * ولما استقر طالوت اول ملوك بني اسرائيل في الملك امره شمويل عليه السلام ان يسير الى محاربة جالوت وقومه فهيأ جيشا وسار به الى فلسطين فلما تقابلت الفئتان طلب جالوت من يبارزه وكان من الشدة وطول القامة بمكان عظيم فبارزه داود فقتله فانهزم جيش العمالقة وانتصرت بنو اسرائيل عليهم فمالت قلوبهم الى داود وامتلأت بمحبته وصار له عندهم شان عظيم وكان من سبط يهوذا ابن يعقوب فحسده طالوت وقصد قتله مرة بعد اخرى فهرب داود منه واحترز على نفسه ثم ندم طالوت على قصد قتله وما وقع منه واراد تكفير ذنوبه بموته في الغزاة وقصد الفلسطينيين فقاتلهم حتى قتل وبعد قتله افترقت الاسباط فملك على احد عشر سبطا منهم ابن طالوت وانفرد سبط يهوذا وملكوا عليهم داود ثم بعد حين اجتمعت الاسباط كلها على مبايعة داود ومتابعته فاتفقت كلمتهم وقويت شوكتهم

﴿ قصة داود وسليمان عليهما السلام ﴾

ان داود عليه السلام جعله الله تعالى نبيا بعد وفاة شمويل عليه

السلام وملكا بعد وفات طالوت ولما صار ملكا بايعه اولا سبط يهوذا فقط وبعد حين تابعهم سائر الاسباط ودخلوا تحت حكمه فاجتمع بذلك لداود عليه السلام النبوة والملك وفتح من ارض كنعان البلاد التي لم تدخل في يد بني اسرائيل وجعل القدس قاعدة الملك ومقر سرير السلطنة وفتح ايضا بلاد عمان وحلب ونصيبين وارض الارمن وانزل الله تعالى عليه الزبور وجميعه نصائح ومواعظ وادعية وحكم وليس فيه شيء من الاحكام الشرعية لان داود عليه السلام كان مأمورا باتباع الشريعة الموسوية كاغلب انبياء بني اسرائيل ومدة ملكه اربعون سنة وتوفاه الله تعالى لمضي خمس وثلاثين وخمسمائة من وفاة موسى عليه السلام وقام مقامه ولده سليمان وهو ابن ثنتي عشرة سنة وجمع الله تعالى له كابيه بين الملك والنبوة وبعد اربع سنين من ملكه شرع ببناء المسجد الاقصى في القدس قياما بوصية والده واتمه في سبع سنين وبعد ذلك شرع ببناء دار للحكم وتمت في ثلاثة عشرة سنه وبعد سنة اتته السيدة بلقيس ملكة اليمن من ملوك حمير وهي طائعة مسلمة ثم اطاعته ملوك الارض شرقا وغربا وتقربوا اليه بالهدايا العظيمة واستمر في الملك اربعين سنة ثم توفاه الله تعالى اليه وقام مقامه ابنه فلم يطعه من اسباط بني اسرائيل غير سبط يهوذا وسبط بنيامين وسائر الاسباط خرجوا عن طاعته وملكوا عليهم احد خواص خدم سليمان عليه السلام من سبط

أفرايم فانقسمت بذلك بنوا اسرائيل الى دولتين احداهما
يقال لها دولة يهوذا والاخرى يقال لها دولة اسرائيل الا
ان دولة يهوذا مع كونها مؤلفة من سبطين فقط كان لها الرجحان
لدى الناس لكون ملوكها من نسل حضرة سليمان عليه السلام
ولكون القدس قاعدة ملكها وهو عندهم بمنزلة مكة عند
المسلمين وكان فيه اكثر علمائهم وبعض الآثار الشريفة
كنسخة التوراة الاصلية وعصى موسى عليه السلام
فكان ملوك هذه الدولة بمنزلة الخلفاء فى الاسلام وكانت دولة
اسرائيل مع كونها مركبة من عشرة اسباط بمنزلة البغاة
والخوارج وكان يقال لملوك هذه الدولة ملوك الاسباط وكان
قاعدة ملكهم نابلس ثم بنوا السامرية ويقال لها الصبصطية
واتخذوها قاعدة الملك ومقر سرير السلطنة وكانت الاسباط العشر
يتساهلون فى اجراء الاحكام الشرعية حتى انهم تركوا زيارة القدس
ثم وصل بهم الامر الى الاقتداء بالوثنيين وصاروا يعبدون بعلا احد
الاصنام المشهورة فخرجوا بذلك عن الملة الموسوية بالكلية واما
دولة يهوذا فانها وان شاعت فيها البدع والمعاصى واتباع بعض
عادات المشركين لم يصل حالها الى ماوصل اليه حال دولة
اسرائيل لكثرة علمائهم فى القدس وملازمتهم تلاوة التوراة فى
المسجد الاقصى فكان حالهم اهون واخف وفى ذلك العصر
ظهر ألياس وأليسع عليهما السلام وارسلهما الله تعالى لهداية
بنى اسرائيل

قصة أليا س وأليسع عليهما السلام

ارسل الله تعالى ألياس عليه السلام الى قوم كانوا يعبدون صنما يسمى بعلا فانكر عليهم ذلك ودعاهم الى عبادة الله تعالى وقال لهم (اتدعون بعلا وتذرون احسن الخالقين الله ربكم ورب آبائكم الاولين) فلم يطيعوه فانذرهم فلم يسمعوا واخرجوه من بلدتهم فرفع الله البركة منها وامسك المطر عنها فاشتد عندهم القحط والغلاء حتى أكلوا اشلاء الموتى فطلبوه فلما وجدوه قالوا له انا قد هلكنا فادع الله تعالى لنا ليفرج عنا ما نحن فيه وانا نأخذ بما امرتنا به فدعا الله تعالى فكشف الضر عنهم فنقضوا العهد ولم ينزعوا عن كفرهم ولم يقلعوا عن ضلالاتهم واقاموا على اخبث ما كانوا عليه فلما راى ذلك الياس عليه السلام أيس منهم فسأل الله تعالى ان يريحه منهم فاذن له فى مهاجرتهم ففعل ثم قام مقامه فى وعظ الناس ودعوتهم الى الحق أليسع وكان ممن آمن بالياس واتبعه فاقام على ذلك مدة ثم بعثه الله نبيا ورسولا الى بنى اسرائيل فاصلح من شأنهم * ثم ان بنى اسرائيل بعد ذلك تركوا العمل باحكام التوراة وصاروا يزدادون يوما فيوما فى الطغيان فرفع الله تعالى عنهم الامن والراحة باعداء ينازعونهم ارضهم وديارهم الى ان سلط عليهم الدولة الآثورية وكان قاعدة ملكها نينوا وفى هذا العصر ظهر يونس عليه السلام وارسله الله نبيا الى اهلها

قصة يونس عليه السلام

كان يونس عليه السلام من بنى اسرائيل ارسله الله تعالى الى اهل

نينوا وهي بلدة قبالة الموصل بينهما دجلة وكانوا يعبدون الاصنام فنهاهم عن عبادتها ودعاهم الى عبادة الله تعالى وتوحيده واوعدهم بالعذاب لتمام اربعين يوما ان لم ينتهوا فلما كان صباح الاربعين خرج يونس عليه السلام من بين اظهر قومه مغاضبا لهم وانطلق الى ساحل دجلة فوجد سفينة مشحونة تحمل اناسا فدخلها يريد السفر بها والحال ان الانبياء لا يسوغ لهم الخروج عن الموضع الذى ارسلوا الى اهله الا بوحى من الله تعالى فاحتبست السفينة ووقفت ولم تتحرك فقال رئيسها فيكم من له ذنب واقترعوا على من يلقونه فى البحر فوقعت القرعة على يونس فقال يونس انا المذنب فرموه فالتقمه الحوت فعرف انه قد زل فنادى فى الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين فقبل الله توبته واجاب دعوته والهم الحوت فقذفه الى الساحل وهو عليل ضعيف غير متماسك الجسم فاعاد الله تعالى اليه قوته وامره ان يرجع الى نينوا ويدعوا اهلها * وكان من امرهم يوم خروج يونس عنهم ان رأوا فى السماء غيما اسود هائلا فهبط حتى غشى مدينتهم فخافوا فطلبوا يونس فلم يجدوه ووقع فى قلوبهم صدق ما اخبرهم به من نزول العذاب ان لم يتوبوا فخرجوا بانفسهم ونسائهم واولادهم الى محل عال فى خارج البلدة وتضرعوا الى الله سبحانه وتعالى ولجاؤا اليه واظهروا الندم على تفريطهم وتابوا فقبل الله توبتهم وكشف عنهم العذاب فرجع يونس عليه السلام اليهم وبلغهم الاحكام

الآتية فامتثلوا ما امر الله به وانتهوا عما نهى عنه فبقوا حينا من الدهر وهم راتعون في رياض الامان مصونون من ريب الحدثان ثم حدثت وقايع عظيمة اختل بها نظام كثير من الدول وتزلزل بها اركان كثير من الملل وظهرت دول لم تكن فمن ذلك ان عامل مادى وعامل بابل اتفقا على عصيان الدولة الآثورية وحاصرا نينوا قاعدة ملكها مدة ثم رفع عنها الحصار وقويت شوكتها فارجعت اهل بابل تحت حكمها وبقيت عمالة مادى مستقلة بالحكم * ولما عزمت الدولة الآثورية على ارجاع ما كان لها من الصولة والشوكة وساقت العساكر الى الجهات الشرقية والغربية استولت على دولة اسرائيل فيما استولت عليه ووضعت عليهم الجزية واخذت منهم اسرى كثيرين ثم بعد حين امتنعت دولة اسرائيل من اعطاء الجزية فغزاهم ملك الآثوريين بجيش عرمرم فغلب عليهم وملك الصبصطيه مقر ملكهم واخذ حاكمهم ورؤساءهم الى بلاد خراسان وارسل خلقا كثيرا من الآثوريين والكلدانيين الى ارض بنى اسرائيل واسكنهم فيها والتجأ في هذه الواقعة اناس ممن نجا من دولة اسرائيل الى دولة يهوذا واجتمعوا على حزقيا احد خلفائهم وكان مقر خلافته في القدس وهو من احفاد سليمان عليه السلام * وبهذه الحادثة انقرضت دولة اسرائيل وكان ذلك لسبع وثلاثين وثمانمائة من وفاة موسى عليه السلام وكان ابتداء ظهورها لست وستين وخمسمائة فيكون مدة حكمها مائتين واحدى وسبعين سنة وانحصر الحكم

حينئذ ملوك دولة يهوذا من احفاد سليمان عليه السلام وبقيت هذه الدولة بعد انقراض دولة اسرائيل مائة واحدى وستين سنة وقد حزنت دولة يهوذا حزنا شديدا لما حل بدولة اسرائيل من الاسر والتشتت والجلاء عن الديار ولم يمنع من ذلك مابين الفريقين من التنافس والتنافر لعطف القرابة وكونهم من بنى اعمامهم حتى ان اشعيا عليه السلام وكان حينئذ حيا مقيما فى القدس دعا على الآثوريين الذين فعلوا مافعلوا وبعد ان استولت الدولة الآثوريه على دولة اسرائيل بمدة قليلة عزمت على اتباعها بدولة يهوذا فارسلت جيشا الى القدس فاخبر اشعيا عليه السلام بان الله تعالى سيهزم ذلك الجيش ففشا فيه الطاعون واهلك كثيرا منه فرجع ملك الآثوريين خائبا خاسرا ونجت دولة يهوذا ثم ان بنى اسرائيل عادوا لما كانوا عليه من البغى والطغيان واعرضوا عن نصائح اشعيا عليه السلام وجازوه عليها بالقتل هذا ولما توفى حزقيا قام مقامه ولده وكان فاسقا ظالما فسلط الله تعالى عليه الدولة الآثورية فقبضت عليه وحبسته مدة ثم اطلقته وجعلته ملك يهوذا على ان يؤدى اليها كل سنة مقدارا من الخراج ثم ان الله تعالى ارسل الى بنى اسرائيل فى القدس ارميا عليه السلام ليقيم فيهم احكام التوراة التى اضاعوها وكانت حينئذ الدولة الآثورية قد ارسلت جيشا الى جهة الشرق فلم يفز بالظفر فوجهته الى جهة الغرب فاتى الى القدس فهجم عليها ثم قتل قائد ذلك الجيش داخل خيمته قتلته بنت يهودية فتشتت

امرهم ونجت دولة يهوذا ثم ان الدولة الآثورية عقب هذا الانهزام خرج من طاعتها بعض الاقوام وصارت احكامها لا تتجاوز قاعدة ملكها نينوا فمن خرج عن طاعتها اهل بابل فانهم اقوتهم استقلوا وصاروا يحكمهم عاملها ثم ان عامل بابل عزم على محاصرة نينوا فارسل جيشا عرمرما يقوده ولده بختنصر ووافق على ذلك عامل بلاد مادي فصحبهم بجيش آخر فحاصر بختنصر نينوا فاستولى عليها وقتل اهلها عن آخرهم واحرقها وهدمها ثم عاد الى بابل فوجد اباه قد هلك فاستولى على عرش الملك بغير منازع لانقراض الدولة الآثورية حينئذ وقد ظهر موضعها دولتان احداهما دولة مادى ومحلها البلاد المشهورة الآن بالمملكة الايرانيه والاخرى دولة الكلدان ومحلها فى الجهة الغربيه من بلاد الآثوريين وقاعدة ملكها بابل ولما صارت بابل قاعدة الملك ثانية اعتنى بختنصر بعمرانها وبنى بها ابنية عالية جسيمة وحصنها وقد اختلف فى المدة التى بين وفاة موسى عليه السلام وابتداء سلطنة بختنصر والرواية المشهورة انها تسعمائة وتسع وسبعون سنة وبعد ان استقر بختنصر فى الملك قصد بلاد بنى اسرائيل فراى ملكها ان لاطاقة له به فاظهر له الطاعة والخضوع فبقاه على ملكه وكان فى الحقيقة بمنزلة عامل من عماله ثم بعد ثلاث سنين عصى عليه فارسل جيشا اخرجه من القدس واقام ابنه فى مقامه ثم بعد اشهر خلعه واخذه الى بابل واخذ معه جماعة من علماء بنى اسرائيل واشرافهم منهم دانيال وعزير

عليهما السلام فامر بحبسهم جميعا ثم بعد حين وقف على فضل دانيال فاطلقه واجل شأنه واكرم مثواه وبعد ان اخذ بختنصر ملك بنى اسرائيل الى بابل اقام مقامه ابن عمه صدقيا ملكا على بنى اسرائيل وارسله الى القدس فاطاع بختنصر مدة فاستقام له الأمر اذ ذاك وكان ارميا عليه السلام حينئذ هناك وكان يهدده ويهدد بنى اسرائيل بختنصر ان لم يقلعوا عن ذنوبهم ولم ينتهوا عن طغيانهم فلم يصغوا اليه سمعا فخرج من بين اظهرهم ولما اراد الله ان ينتقم من بنى اسرائيل لاصرارهم على فعل المنكرات عصى ملكهم وخرج على بختنصر فارسل بختنصر وزيره بجيش عظيم فحاصر القدس مدة ثم فتحها عنوة فاحرق القدس وهدم بيت المقدس واسر صدقيا وخلقا كثيرا من بنى اسرائيل واباد الباقين قتلا وتشريدا والشاردون ذهب اناس منهم الى مصر وذهب آخرون الى الحجاز واقاموا مع العرب ولم يبق فى القدس غير المستضعفين ثم ان بختنصر ارسل اناسا من بابل وغيرها واسكنهم فى جهات القدس مع بقايا بنى اسرائيل واقام عليهم عاملا من جهته وهذه الواقعة العظيمة وقعت فى السنة التاسعة عشر من ملك بختنصر وبها انقرضت دولة يهوذا وذهب الملك من بنى اسرائيل جملة وآخر ملوكهم هو صدقيا ولم يقم بعده ملك اصلا واما من ظهر بعده من الرؤساء فانما كانوا بمنزلة مشايخ البلد لا غير فلم يكن حكمهم يجرى خارج القدس ثم ان بختنصر استكمل البلاد الشامية ملكا

وصارت احكامه نافذة الى مصر وخافه الاقوام الذين كانوا في جواره ثم هلك بختنصر و صار الملك في ذريته و بقيت هذه الدولة ثمانية وستين سنة ثم انقرضت و استولت على بابل دولة الكيانيان التي ظهرت في ذلك العصر وهي من دول الفرس فاطلقت بني اسرائيل من الاسر فعادوا الى بلادهم وامتلأت القدس بهم فشرعوا بعمارة بيت القدس بعد ابقائه على التخريب سبعين سنة وكان من جملة العائدين الى القدس عزير عليه السلام وقدم معه الفان او يزيدون من بني اسرائيل العلماء وغيرهم وكانت التوراة قد فقدت من بني اسرائيل حين احراق بيت المقدس وهدمه وبذلك نسوا كثيرا من الاحكام الشرعية فتلاها الله تعالى في صدر العزير فتلاها على كثير من علماء بني اسرائيل فنسخوها وصاروا يعملون باحكامها هذا وبانقراض الدولة الكلدانية التي كان يملكها بختنصر ثم اولاده من بعده لم تستقل بنوا اسرائيل بل صاروا تحت حكم الدولة الايرانية المشهورة بدولة الكيانيان ولما غلب اسكندر الكبير على هذه الدولة وفتح بابل استولى على القدس ايضا فيما استولى عليه وصارت بنوا اسرائيل تحت حكم الدولة اليونانية ثم قويت شوكة الروم فملكوا بلاد اليونان بالقدس فصار بنوا اسرائيل تحت حكم الدولة الرومية وصاروا حينئذ يقيمون عليهم رئيسا منهم وهو بمنزلة شيخ البلد

❊ قصة زكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام ❊

كان زكريا عليه السلام الحبر الكبير فى بنى اسرائيل وهو الذى يقرب القربان فى بيت المقدس ويتلو عليهم التوراة وكان من ذرية سليمان عليه السلام وكانت حنة زوجة عمران احد كبار بنى اسرائيل اختا لزوجته ايساع وكانت قد امسك عنها الولد حتى أيست فتضرعت الى الله تعالى ان يهبها ولداً فقالت اللهم لك على ان رزقتنى ولدا ان اتصدق به على بيت المقدس فيكون من سدنته وخدمه نذرا وشكرا فحملت بمريم فحررت مافى بطنها اى جعلته عتيقا عن الدنيا واشغالها مفرّغا لعبادة الله تعالى فقالت ولم تدر ما فى بطنها اذكر هو ام انثى (ربّ انى نذرت لك مافى بطنى محررا فتقبل منى انك انت السميع العليم) ثم توفى زوجها عمران وهى حامل فلما وضعتها اذا هى انثى وكانت ترجو ان يكون غلاما ليصلح لخدمة بيت المقدس اذ كانت عادة بنى اسرائيل ان لايحرروا الا الغلمان فقالت اعتذارا الى الله تعالى (رب انى وضعتها انثى والله اعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى وانى سميتها مريم وانى اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم) ثم اخذتها امها وجاءتها الى المسجد ووضعتها عند الاحبار وقالت دونكم هذه المنذورة فتنافس فيها الاحبار لانها كانت بنت عمران احد ائمتهم واحب كل ان يحظى بتربيتها فقال لهم زكريا انا احق بها منكم لان عندى خالتها فاخذها زكريا ورباها فى حجر خالتها ايساع حتى اذا نشأت وبلغت مبالغ النساء بنى محرابا اى غرفة

فى المسجد لها فانزوت اليها وصارت تتعبد فيها ولم يكن يدخل عليها غير زكريا عليه السلام وكان قد شاخ وامراته ايساع صارت عقيما فأيس من الذرية وتحسر على عدم وجدان من يقوم مقامه من الولد ولكن اتيقنه بعظم قدرة الله تعالى ورحمته وخرقه للعوائد قال (رب هب لى من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء) فارسل الله تعالى اليه جبريل عليه السلام ليبشره بيحيي ويخبره بظهور كلمة الله يعنى عيسى فقال (يازكريا ان الله يبشرك بيحيي مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين) فحملت ايساع بيحيي ثم وضعته وذهب جبريل عليه السلام الى مريم فنفخ فى جيب قميصها فحملت بعيسى عليه السلام ثم وضعته وكان ذلك بعد وضع يحيي عليه السلام بستة اشهر ثم حملته مريم واتت به قومها فلما راوه (قالوا يامريم لقد جئت شيأ فريا) اى فظيعا عظيما (يااخت هارون ماكان ابوك امرء سوء وما كانت امك بغيا) فارادوا رجمها بالحجارة فاشارت لهم الى عيسى ان كلموه فغضبوا وقالوا (كيف نكلم من كان فى المهد صبيا) فقال عند ذلك عيسى عليه السلام (انى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا وجعلنى مباركا اينما كنت واوصانى بالصلاة والزكاة مادمت حيا وبرا بوالدتى ولم يجعلنى جبارا شقيا والسلام على يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا) فلما تكلم عيسى عليه السلام صاروا حيارى وتركوها ثم ان اليهود لانكارهم ظهور ولد من ام بدون اب اساؤا الظن بزكريا عليه السلام ورموه بالافك

ثم قتلوه وكان عمره حينئذ مائة سنة والعجب من اليهود انكارهم ظهور عيسى عليه السلام من ام بدون اب وتصديقهم بظهور آدم عليه السلام من غير اب وام معا على ان من قدر على انطاق عيسى عليه السلام وهو فى المهد قادر على توليد امراة من غير بعل   ثم اخذت مريم ابنها عيسى وسارت به الى مصر مع ابن عمها يوسف النجار واقاما هناك اثنى عشرة سنة ثم عاد عيسى وامه الى القدس ونزلا قرية الناصره واقاما بها حتى اذا بلغ عيسى ثلاثين سنة ارسله الله تعالى بشرع جديد نسخ به شرع موسى عليه السلام وانزل عليه الانجيل وكان يحيى عليه السلام قد نبئ صغيرا وكان اولا كأبيه مأمورا باتباع الشريعة الموسوية فكان يعمل باحكام التوراة ويعظ بنى اسرائيل بها ولما بعث عيسى عليه السلام بشرع ناسخ لشرع موسى عليه السلام امر يحيى باتباعه وكان عيسى قد حرم نكاح بنت الاخ وكان حاكم بنى اسرائيل حينئذ بنت اخ بديعة الجمال اراد ان يتزوجها حسبما هو جائز عند اليهود فنهاه يحيى فغضبت البنت وامها من ذلك والحا على ذلك الحاكم فى قتل يحيى فدعاه فلما حضر امر بذبحه فذبح لديهما هذا ماكان من امر يحيى عليه السلام   واما ماكان من امر عيسى عليه السلام فانه مع ما ظهر على يديه المعجزات الباهرة من احياء الموتى وابرآء الاكمه وهو الاعمى من اصل الخلقة والمشى على الماء وشبه ذلك لم يؤمن به غير اثنى عشر ويقال لهم الحواريون وهم شمعون الصفا المشهور باسم بطرس واندراوس اخوه

ويعقوب ابن زبدى ويوحنا اخوه وفيلبس وبرثولماوس وتوما
ومتى ويعقوب ابن حلفا وتداوس وشمعون القنانى ويهوذا
الاسخريوطى واما سائر اليهود فانهم لم يكتفوا بعدم الايمان به
بل عزموا على ان يقتلوه كما قتلوا يحيى عليه السلام ولما كانت
الليلة التى رفع بها الى السماء حضر اليه الحواريون فقال لهم
اينكرنى احدكم قبل ان يصيح الديك وليبيعنى احدكم بدراهم يسيرة
وكانت اليهود قد جدت فى طلبه فحضر بعض الحواريين وهو
يهوذا الاسخريوطى الى جماعة من اليهود وقال ما تجعلون لى
اذا دللتكم على المسيح فجعلوا له ثلاثين درهما فاخذها
ودلهم على موضعه فرفعه الله تعالى الى السماء كما رفع ادريس
عليه السلام وخلصه من غوائل الدنيا والقى شبهه على ذلك
الخائن الذى دلهم عليه فقبضت عليه اليهود فقتلوه وصلبوه
وهم يظنونه عيسى عليه السلام وقد صار اسم يهوذا عند النصارى
يطلق على كل خائن وخبيث لما نقلنا وبعد رفع عيسى عليه
السلام بنحو اربعين سنة قصدت الروم القدس واوقعوا باليهود
فقتلوا بعضا واسروا بعضا ونهبوا القدس وهدموا بيت المقدس
واحرقوا كتبهم وخلا القدس من بنى اسرائيل ولم تعد لهم بعد
رياسة ولا حكم وتشتتوا التشتت الذى لا اجتماع بعده وكان بين
وفاة موسى وولادة عيسى عليهما السلام الف وسبعمائة وستة
عشر سنه وكانت مدة دعوة عيسى عليه السلام ثلاث سنين
فانه نبئ وهو ابن ثلاثين سنة ورفع وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة

وانبث الحواريون بعد رفعه فى جهات الارض يدعون الناس الى دينه المبين قياما بوصيته الا ان الدنيا حينئذ كانت مملوءة بالشرك والكفر فلم يستطيعوا ان يصدعوا بالامر فظل الدين العيسوى اكثر من ثلاثمائة سنة وهو كالاسرار فى صدور الاحرار وكان اصحابه يعبدون الله تعالى سرًّا فى مواضع اعدوها تحت الارض او فى الكهوف والمغار واذا عثر على احدهم عوقب اشد عقاب واستمر الامر على ذلك الى ان اذن قسطنين ملك الروم باظهار الدين العيسوى وذلك بعد ثلاثمائة سنة وعشر من ميلاد عيسى عليه السلام ثم بنى قسطنطينة وانتقل من رومية التى كانت قاعدة ملك الروم اليها واتخذها قاعدة الملك ودخل فى الدين العيسوى فدخلت الناس فيه افواجا وانتشر فى الآفاق وقد ظهرت كتب كثيرة بعد انتشاره نسب بعضها الى الحواريين وبعضها الى تلاميذهم وسمى كل واحد منها بالانجيل وهى فى الحقيقة كتب تشتمل على سيرة عيسى عليه السلام وبعض احواله واوصافه فهى اشبه ما يكون بالتاريخ وقد يدرج فى بعض المواضع منها آيات من الانجيل الجليل الا ان بعض هذه الكتب لا يطابق بعضا ولما رات احبار النصارى كثرتها وعدم مطابقة بعضها بعضًا اختاروا منها اربع كتب وجدوها اقرب الى الصحة بالنظر الى الباقى وقالوا هذه هى الانجيل وادعوا ان ماسواها مزوّر وهذه الكتب الاربعة المتداولة بين النصارى فيها اختلاف وتناقض ايضا فالانجيل الاصلى كالاكسير

فى الكيمياء لم يظفر به ولما كانت الشريعة العيسوية لم تضبط اصولها وفروعها فى اول الامر كما ينبغى وفقدت نسخة الانجيل الاصلية صارت احكامها فى يد الاحبار فكثرت الاقوال و المذاهب فى اصولها فضلا عن فروعها واختلفوا فى محمولها و موضوعها وصار كل يحكم بما تزينه له نفسه وان انكره عقله وحسه * ثم ان الروم انقسموا الى دولتين شرقية وقاعدة ملكها القسطنطينيه وغربية وقاعدة ملكها رومية فصارت النصارى فرقتين فرقة تبعت مذهب حبر رومية الملقب بالبابا ويقال لها الروم الكاتوليك وفرقة تبعت مذهب بطريق القسطنطينيه ويقال لها الروم الارثودقس وكان هذا الاختلاف الواقع فى احكام الدين ناشئا عن الاختلاف فى الحكام والسلاطين ثم نشأت مذاهب اخرى كل مذهب يخالف الآخر فى الاصول والفروع ويباينه فى محمول الموضوع حتى اجتث الدين المبين العيسوى من اصله وخرج عما وضع لاجله وصارت كنائس النصارى كمعابد المشركين مزخرفة بالصور والتماثيل يخضعون لها خضوع المؤمنين للملك الجليل فشاركوا غيرهم من الامم فى الشرك مع انه اعظم ما يعد فى الشرائع الالهية من الضلال والافك فتشعبت فى الضلالة اسبل ومضى حين من الدهر على فترة من الرسل وكانت امة الروم حينئذ مستولية على البلاد الاوروبايه و مملكة الاناطولى وديار مصر والشام والعراق وهذه الامة وان كانت متمدنة بالنسبة الى غيرها من الامم الا انها فى حد ذاتها كانت مبتلاة بالفسق

والفجور وسوء الاخلاق والشيم وكانت اخلاقها قد سرت في رعاياها سريان الدم في الجسم فلم يبق للاخلاق الحسنة في اكثر الامم من رسم وقد حفظ الله تعالى جزيرة العرب فلم يملكوها فيما ملكوا وصان اهلها من اخلاق اولئك القوم فلم يسلكوا فيها فيه سلكوا الا ان العرب كانوا ايام الفترة في حال الجهل فمنهم من مال الى دين اليهود ومنهم من مال الى دين النصارى ومنهم من كان يعبد الاصنام وكان بعضهم على بقية من شريعة ابراهيم واسماعيل عليهما السلام فكانوا يغتسلون من الجنابة ويختتنون ويقصون الاظفار وفي كل سنة ترد في موسم الحج كثير من القبائل الى مكة فيزورون البيت الحرام ويطوفون بالكعبة ويعبدون ما وضعوه هنالك من الاصنام والحاصل ان ليل الكفر حينئذ كان قد ادلهم وتغشى جميع الاقطار وعم وكان صلاح الحال متوقفا على ارسال نبي عظيم يمحو شمس دينه ما دجى من ليل الضلال البهيم ويوضح للناس المحجة لتقوم عليهم الحجة وكانت الكتب السالفة المنزلة مبشرة بظهور نبي في ديار العرب من بني اسماعيل يكون ختاما للانبياء ووصفته وصفا رفع الابهام والخفاء وكان اهل الكتاب في انتظاره والترقب لبزوغ انواره وبينما هم يلهجون بذكره ويذيعون طيب نشره وبشائر الهواتف تتوالى بقرب ولادته واشراق الكون بشمس سعادته اذ ولد محمد صلى الله عليه وسلم وعلائم النبوة عليه ظاهره تبشر الناس بسعادتي الدنيا والاخره ولما بلغ

اربعين سنة ارسل شاهدا و مبشرا و نذيرا و داعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ‹ وقد › وقفت على قصيدة تناسب هذا المقام وتلتئم مع ماسبق احسن التئام ‹ وهى › قصيدة فريدة للشيخ الامام والحبر الهمام ناظم البردة والهمزية الشيخ شرف الدين الابوصيرى الصنهاجى ‹ لازال › منهاج شعره ليس له من هاجى وهى تشتمل على اربعة مطالب اولها يتضمن بيان ما اعترى اهل الكتاب من الشك والارتياب حتى صاروا حيارى فى امر الدين وضلوا عن سنن المهتدين والجدال معهم بالتى هى احسن وبيان ما هو اليق بهم وازين وثانيها يتضمن وقوع التغيير و التبديل فيما بايديهم من الكتب الالهية واثبات ذلك بالادلة اليقينية وثالثها يتضمن بيان العبارات المذكورة فيها التى تبشر بظهور نبينا محمد عليه السلام ‹ وكونه › رحمة للخاص و العام ‹ بعد › ان حرف منها ما حرف ‹ وصحف › ما صحف ‹ ورابعها › يتضمن بيان بعض ما ما خص به عليه الصلاة والسلام من المزايا و المناقب و المعجزات العظام والتوسل به فى النجاة من النار واللحاق بالسادة الاخيار وتمنى زيارة مدينته المنورة والاكتحال باثمد تراب روضته المطهرة وها نحن نلقيها عليك مع تقريرات وجيزة تقوم مقام الشرح لابياتها المستعصية على الطالب البعيدة المنال على الراغب والمقام لايحتمل اكثر من ذلك و قد قيل فى المثل السائر مالا يدرك كله لايترك كله قال الناظم قدس الله سره العزيز

جاء المسيح من الاله رسولا * فابى اقل العالمين عقولا

قوم راوا بشرا كريما فادّعوا * من جهلهم الله فيه حلولا
وعصابة ما صدّقته واكثرت * بالافك والبهتان فيه القيلا
لم يأت فيه مفرط ومفرّط * بالحق تجريحا ولا تعديلا
فكأنما جاء المسيح اليهموا * ليكذبوا التوراة والانجيلا
فاعجب لامته التى قد صيرت * تنزيهها لالهها التنكيلا
واذا اراد الله فتنة معشر * واضلهم رأوا القبيح جميلا
هم بجلوه بباطل فابتزّه * اعداؤه بالباطل التبجيلا
وتقطعوا امر العقائد بينهم * زمرا الم تر عقدها محلولا
هو آدم فى الفضل الا انه * لم يعط حال النفخة التكميلا
اسمعتموا ان الاله لحاجة * يتناول المشروب والمأكولا
وينام من تعب ويدعو ربه * ويروم من حر الهجير مقيلا
ويمسه الالم الذى لم يستطع * صرفا له عنه ولا تحويلا
ياليت شعرى حين مات بزعمهم * من كان بالتدبير عنه كفيلا
هل كان هذا الكون دبر نفسه * من بعده ام آثر التعطيلا
زعموا الاله فدى العبيد بنفسه * واراه كان القاتل المقتولا
اجزوا اليهود بصلبه خيرا ولا * تجزوا يهوذا الآخذ البرطيلا
ايكون قوم فى الجحيم ويصطفى * منهم كليما ربنا وخليلا
واذا فرضتم ان عيسى ربكم * افلم يكن لفدائكم مبذولا
واجلّ روحا قامت الموتى به * عن ان يرى بيد اليهود قتيلا
فدعوا حديث الصلب عنه ودونكم * من كتبكم ما وافق التنزيلا
شهد الزبور بحفظه ونجاته * افتجعلون دليله مدخولا

ايكون من حفظ الاله مضيعا * اومن أشيد بنصره مخذولا

ايجوز قول منزه لااله * سبحان قاتل نفسه فاقولا

اوجل من جعل اليهود بزعمكم * شوك القتاد لرأسه اكليلا

ومضى لحبل صليبه مستسلما * لموت مكتوف اليدين ذليلا

كم ذا ابكتكم ولم تستنكفوا * ان تسمعوا التبكيت والتخجيلا

ضل النصارى فى المسيح واقسموا * لايهتدون الى ارشاد سبيلا

جعلوا الثلاثة واحدا ولو اهتدوا * لم يجعلوا العدد الكثير قليلا

عبدوا الٓها من اله كائنا * ذا صورة ضلوا بها وهيولا

فدع النصارى واليهود ولاتكن * بهم على طرق الهدى مداولا

فالمدعوا التثليث قوم سوغووا * قد خالفوا المنقول والمعقولا

والعابدون العجل قد فتنوا به * ودوا اتخاذ المرسلين عجولا

فاذا اتت بشر اليهم كذبوا * بهوى النفوس وقتلوا تقتيلا

أبناء حيات ألم تر انهم * يجدون درياق السموم قتولا

اراد الناظم قدس سره ان يبين فى هذه الابيات احوال بنى اسرائيل وخوضهم فى بحار الزيغ والاباطيل وهو المطلب الاول ومحصل كلامه ان الله تعالى ارسل المسيح عيسى عليه السلام رسولا الى بنى اسرائيل فدلهم على اقوم سبيل ودعاهم الى عبادة الله تعالى وتوحيده وتنزيهه وتمجيده وجاءهم بالبينات والمعجزات الباهرات فافترقوا فرقتين فرقة افرطت فى حقه فادعت زورا وبهتانا ان الله تعالى حل فيه وانه ابن الله زعما منهم باستحالة وجود ولد

من غير اب وحيث ثبت انه لا اب له من البشر قالت ان الله
تعالى شأنه ابوه وهو ابن الله (تنزه الله عن ذلك) وهم النصارى
وفرقة فرطت فى حقه فكذبته ولم تؤمن برسالته وقالت على
أمه الطاهرة بهتانا عظيما زعما منهم باستحالة ظهور ولد من
البشر بغير والد منهم وهم اليهود وكلا الفريقين قد غوى
ونطق عن الهوى وشبهتهما ضعيفة وحجتهما سخيفة اما اليهود
فيرد عليهم ان عيسى عليه السلام ادعى النبوة واظهر المعجزة
وكل من كان كذلك فهو نبى على انه قد بشرت به التوراة
فتكذيب عيسى وعدم الايمان بكونه نبيا تكذيب فى المآل للتوراة
التى شهدت بصدق نبوته واما تكونه من غير اب فغير مستحيل
على من امره اذا اراد شيأ ان يقول له كن فيكون وهو ليس
باعجب من آدم الذى تكون من دون ام واب فما حملهم على
ماتقولوه فى حق عيسى عليه السلام وامه غير شدة الغباوة او
فرط التعصب والعناد ولا يستغرب ذلك منهم فهم الذين اتخذوا
العجل آلها بعد ما اتاهم موسى بالبينات والمعجزات الباهرات ولم
يكتفوا بذلك بل زادوا فى الضلال والافك فزعموا ان هارون عليه
السلام قد شاركهم فى هذا الشرك وكانوا يسعون فى قتل الانبياء
ويكتمون ما ورد فى حقهم من البشائر والانباء وقد سماهم
يحيى عليه السلام ابناء الحيات لسعيهم فيما ينتج الاذى والمضرات
واما النصارى فيرد عليهم ان عيسى عليه السلام لم يدّع سوى
انه رسول الله ففى الباب السابع عشر من انجيل يوحنا قول عيسى

عليه السلام يخاطب ربه (وهذه هى الحياة الابدية ان يعرفوك انت الاله الحقيق وحدك وعيسى المسيح الذى ارسلته) فاشار الى ان السعادة الابدية تكون بمعرفة ان الاله الحقيقى هو الله وحده وان عيسى رسوله وهذا عين مايعتقده المسلمون فهم اهل السعادة الابدية بشهادة عيسى عليه السلام واما ماورد فى الانجيل الموجود الآن من اطلاق ابن الله على عيسى عليه السلام فهو ان لم يكن مما حرف يكون مجازا بمعنى ابن المحبة كما يقال فلان من ابناء الدنيا ونظير ذلك قول عيسى عليه السلام لليهود حين ادعوا ان لهم ابا واحدا هو الله (لو كان الله اباكم لكنتم تحبوننى) ثم قال لهم (انتم من اب هو ابليس وشهوات ابيكم تريدون ان تعملوا) ادعت اليهود ان الله تعالى ابوهم اى انهم مطيعون له اطاعة الابن للاب فكذبهم عيسى عليه السلام وجعلهم ابناء الشيطان اى انهم مطيعون له ولا يخفى ان الابن والاب هنا مجازان تنبيه قد كثر اطلاق اسم الاب على الله تعالى واسم الابن على العبد الصالح فى الكتب السالفة فهو اما من الخبط فى الترجمة واما مؤول بما ذكرنا فلا تغفل لكن قد منع من هذا الاطلاق فى الملة المحمدية بالكلية تحرزا من الايهام والوقوع فى شرك الاوهام وهذا هو الطريق الرشد وعليك بتلاوة (قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد) ويرد عليهم ايضا ان عيسى عليه السلام كان يأكل ويشرب ويجوع ويعطش وينام ويقوم وتعتريه الاسقام والغموم ويؤلمه

حروقت الزوال فيفر منه ويقيل فى الظلال ويجتهد فى الصلاة والعبادة ويدأب فى الصيام والزهادة ويكثر من التضرع والابتهال والمناجاة والسوال فلو لم يكن عبدا فكيف تلحقه الاعراض الدالة على الحدوث والافتقار والعجز ولو كان ربا فمن كان يعبد ومن كان يتضرع اليه ويعول فى اموره عليه هل رب اعظم منه او رب مساوله او واحد من العباد ولعمرى ان اشتغال عيسى عليه السلام بالعبادة ادل دليل على كونه عبدا من العبيد الاخيار المطيعين الابرار والكون ما قالته النصارى من امر الحلول مضادا للعقول اختلفوا فى كيفيته اختلافا شديدا بعد ان اتفقوا على ان الله تعالى جوهر مركب من ثلاثة اقانيم اى اصول اقنوم الوجود ويعبرون عنه بالاب واقنوم العلم ويعبرون عنه بالابن واقنوم الحياة ويعبرون عنه بروح القدس وهذه الثلاثة عندهم واحد ثم قالوا ان اقنوم العلم منها ويسمى الكلمة اتحد بناسوت عيسى اى جسده وهذا الذى اتفقوا عليه فاسد لثلاثة وجوه الاول ان الاقانيم الثلاثة صفات والصفات عندهم احوال او وجوه واعتبارات لاتوجد الا فى الذهن فكيف تتركب منها الذات الموجودة بوجود حقيقى مستقل على انها لاتصلح للالوهية لان الآله هو الذات المنزهة عن صفات النقص والموصوفة بصفات الكمال لانفس الصفات الثانى انهم خصصوا تركيب ذات الآله من هذه الصفات الثلاثة اعنى الوجود والعلم والحياة مع ان له صفات اخرى ولما سئلوا عن سبب التخصيص

قالوا لان الابداع والايجاد لايتأتى الا بها فقيل انهم بل يتوقف الايجاد على صفات اخرى كالقدرة والارادة فلم لم تقولوا انه مركب من خمسة اقانيم مثلا فلم يأتوا بجواب الثالث جمعهم بين النقيضين الكثرة والوحدة فى قولهم هذه الثلاثة واحد واشهر مذاهبهم فى امر الحلول واتحاد الكلمة بعيسى ثلاثة احدها مذهب من فسره بقيام الكلمة به كما يقوم العرض بالجوهر كقيام اللون بالجسم مثلا وهو فاسد لانه يلزم منه مفارقة اقنوم العلم لذات الاله بسبب حلوله فى جسد عيسى لان المعنى الواحد لايقوم بمحلين فى آن واحد ببديهة العقل فينقسم الله (تعالى عن ذلك) الى قسمين احدهما حل فى جسد عيسى والآخر بقى بغير حلول ويلزم محذور آخر وهو ان يكون القسم الآخر قد تجرد عن العلم وان عيسى يعلم كل شئ والحال ان عيسى قد قال عن القيامة انه لايعلم وقتها هو والملائكة وانما يعلمه الله تعالى على ان الصفات كالوجود والعلم والحياة لايعقل انتقالها وحلولها وثانيها مذهب من فسر هذا الاتحاد بالمزج والاختلاط كما فى حلول ماء الورد فى الورد وهو فاسد ايضا لانه انما يصح لو كان اقنوم العلم جسما وهم مسلمون بانه ليس بجسم فاذا كان كذلك فكيف يمتزج ويختلط بجسم عيسى والامتزاج انما يكون بين جسمين كالورد ومائه لابين معنيين او بين معنى وجسم فلا يقال امتزج العلم بجسم زيد على طريق الحقيقة وثالثها مذهب من فسر هذا الاتحاد بالانطباع كانطباع صورة نقش الخاتم فى الشمع وانطباع صورة الانسان فى المرآة وهو فاسد ايضا

لان النقش الذى قام بالشمع ليس عين ماقام بالخاتم وكذلك صورة الانسان فى المرآة ليست عين الانسان بل مثاله والله تعالى لامثال له فى ذاته وصفاته وافعاله فكيف يقال ان مثال صفة علم الله انطبع فى جسد عيسى على انه لامعنى للانطباع هنا اذ الانطباع انما يكون بين جسمين كالمرآة والانسان وكالخاتم والشمع والعلم ليس بجسم فانطباعه فى جسد عيسى ليس بمعقول والعجب من النصارى انهم بعد ان افرطوا فى تعظيمه حتى اخرجوه من نوع البشر واثبتوا له الربوبية زورا وبهتانا فرطوا غاية التفريط فى حقه فزعموا ان اليهود وهم احقر الناس تسلطوا عليه فقادوه مكتوف اليدين وقتلوه وصلبوه وجعلوا شوك القتاد لرأسه اكليلا اهانة له وتذليلا وان صلبه كان لتكفير الخطيئة التى لحقت البشر بسبب اكل ابيهم آدم عليه السلام من الشجرة التى نهى عنها وان الناس قبل صلبه كانوا فى الجحيم حتى الانبياء والرسل كابراهيم وموسى عليهما السلام وهو قول فاسد لوجوه الاول ان الكتب الالهية للفريقين متوافقة على عدم مؤاخذة احد بذنب غيره ففى الباب الثامن عشر من كتاب حزقيال احد ابدا نهم هكذا ٢٠ النفس التى تخطى فهى تموت والابن لايحمل اثم الاب والأب لايحمل اثم الابن وعدل العادل يكون عليه ونفاق المنافق يكون عليه وفى القرآن الكريم (لاتزر وازرة وزر اخرى) فان فرضنا ان آدم عليه السلام اخطأ فكيف لحقت خطيئته اولاده لاسيما الانبياء الذين

لم يفتروا ساعة عن طاعة الله تعالى واجهاد النفس فيما فيه رضاه والاطفال الذين ماتوا قبل ان يكلفوا و تكتب عليهم الذنوب كلا بل الله تعالى حكم عدل لا يجازى الابناء بذنوب الآباء ولا الآباء بذنوب الابناء وما قاله النصارى محض افتراء الثانى ان آدم عليه السلام قد تاب من ذنبه والله تعالى يقبل توبة الكافر من الكفر الذى هو اعظم الذنوب فكيف لا يقبلها من ذنب صغير صدر من غير تعمد على ان الله تعالى قد جازاه باهباطه الى الارض دار المشقة والنصب وهذا جزاء كاف واف فما الموجب لادخاله واولاده فى النار بسبب ذنب صغير تاب منه وجوزى عليه الثالث ان ابراهيم وموسى عليهما السلام اذا كانا من اهل الجحيم قبل الصلب فكيف اصطفاهما الله تعالى واتخذ احدهما خليلا والآخر كليما ولعمرى ان هذا زور وبهتان تقشعر من ذكره الابدان الرابع ان آدم عليه السلام اذا خالف امر الله تعالى فى اكله من الشجرة فما الموجب لصلب ابنه على زعمهم كفارة لذنبه لاسيما وعيسى عليه السلام يتضرع الى الله تعالى ويستغيث به فى ان يصرف عنه ذلك كما ذكر فى الانجيل الذى فى ايديهم الآن وهل هذا (ولله المثل الاعلى) الا كملك خالفه احد رعيته فعمد ذلك الملك الى قتل ولده وفلذة كبده كفارة لذنب ذلك الخاطئ الجانى وابنه يستغيث فى رفع عقاب ذنب جناه غيره ويقول يا ابت مالك تعاقبنى على ذنب غيرى وقد كنت ارجو عفوك عنى لو كنت انا المذنب فهل يتصور احد وقوع ذلك واذا وقع

فهل يعد احد ذلك الملك حكيما عادلا فاذا كان آدم اخطأ مع الله تعالى فما ذنب عيسى الذى يزعمون انه ابن الله الوحيد (تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا) وكيف رضى بقتله واهانته وهلا قبل توبة آدم او عفا عنه وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات الخامس انهم يقولون بحلول الله تعالى فى عيسى واتحاده به وعدم انفصاله عنه فاذا كان الامر كذلك فاذا قتل عيسى فقد لحق القتل ذات الله تعالى لاتحاده به واذا قالوا بان القتل حل بناسوته فقط قيل لهم قد بطل الاتحاد اذا فان الشيئين لايقال انهما متحدان الا اذا لحق كل واحد منهما ما لحق الآخر والا فليسا بمتحدين وحيث قالوا بالاتحاد ثم قالوا بقتل عيسى لزمهم ان الله الحى الذى لايموت قد قتل ومات فحينئذ يقال لهم من دبر هذا الكون بعده هل دبر نفسه وهو محال ام بقى معطلا بغير آله يدبره وهو اشد استحاله وما احقر مذهبا يؤدى الى مثل هذا الامر المحال الذى تكاد تتصدع لثقله الجبال ولذلك قال العلامة فخر الدين الرازى فى المطالب العالية القول بالاب والابن والتثليث اقبح انواع الكفر وافحش اقسام الجهل ومثل هذا لايليق باجهل الناس وقال فى تفسيره لانرى فى الدنيا مقالة اشد فسادا واظهر بطلانا من مقالة النصارى السادس ان الكتب الالهية تصرح جميعها باثبات صفات الكمال لله تعالى وتنزيهه عن صفات النقصان فلو

صحت مقالة النصارى من كون عيسى ربا قد صلب اصح ان يقال سبحان قاتل نفسه او سبحان من غلبته اليهود وشبه ذلك السابع ان عيسى عليه السلام اذا كان صلبه لفداء البشر وتخليصهم من عذاب سقر فيجب على النصارى ان يشكروا اليهود ويجزوهم خير الجزاء لانهم هم كانوا سبب الفداء ولا ينبغي لهم ان يجزوا بالشر يهوذا الاسخر يوطي احد الحواريين حيث اسلم ربه عيسى بزعمهم لليهود وارتشى على ذلك بثلاثين درهما لانه يكون قد اعان على امر نافع لجميع الناس والعجب انهم يروون في حق يهوذا هذا انه كان رسولا صاحب معجزات الثامن انهم يزعمون انه قام حيا بعد ايام وصعد الى السماء فيقال لهم من احياه هل هو احيي نفسه او اله آخر غيره كان حيا أحياه وكلاهما محال التاسع انهم يزعمون ان المزمور السادس من مزامير داود عليه السلام في حق عيسى عليه السلام وفي آخره هكذا (٨ ابعدوا عني يافاعلي الاثم لان الرب قد سمع صوت بكائي ٩ سمع الرب تضرعي الرب يقبل صلاتي ١٠ جميع اعدائي يخزون ويرتاعون جدا يعودون ويخزون بغتة) وهذا يدل على ان عيسى عليه السلام قد سمع الله تضرعه واخزى اعداءه فيقتضي انه لم يقتل ولم يصلب وهو الصحيح لموافقته للكتاب العزيز الذي لاياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه قال الله تعالى (وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم) * وهنا سؤال يورده بعض النصارى وهو ان عيسى عليه السلام اذا

لم يصلب حقيقة وانما صلب رجل ألقى عليه شبهه ورفع هو الى السماء فلم لم يخبر الحوار بين بذلك قبل رفعه او بعده والجواب ان عيسى عليه السلام لم يخبر بذلك لعلمه بان اناسا سيفترون عليه ويقولون بالوهيته فابهم الامر ليكون ذلك ادل على كونه عبدا من عبيد الله لايقدر على جلب نفع ولا دفع ضر بخلاف مالو أخبر بانه لايصلب اولم يصلب وان المصلوب شبهه فانه ربما كان ذلك مقويا لشبهة اولئك الجماعة ولعدم كون هذه المسئلة من المسائل الاعتقادية فى الاصل اذ لو اعتقد احد قبل ارسال نبينا عليه الصلاة والسلام بصلب عيسى لم يضره ذلك لكن لما ورد نبينا الذى لاينطق عن الهوى ابان اخطاء النصارى فى الوجهين احدهما اعتقاد ان عيسى آله والآخر اعتقاد انه قد قتل وصلب وابان انه عبد من عبيد الله تعالى تولاه بالرسالة واصطفاه وحفظه من ايدى اعدائه ونجاه وقد قال عيسى عليه السلام مخاطبا للحواريين ومشيرا الى انه لم يخبرهم ببعض الاشياء لعدم كونه مأمورا باخبارهم بها حينئذ لعدم تحمل اذهانهم واحال الاخبار بها الى النبى صلى الله عليه وسلم (ان لى كلاما كثيرا اقوله لكم ولكنكم لستم تطيقون حمله الآن واذا جاء البارقليط (احمد) فهو يعلمكم جميع الحق لانه ليس ينطق من عنده بل يتكلم بكل ما يسمع ويخبركم بما سيأتى) واذا احطت خبرا بما ذكرناه عرفت صدق ما قلناه من ان الدين الشريف العيسوى قد اجتث

من اصله وخرج عما وضع لاجله وانه لافرق بين اهل الكتاب وبين غيرهم فى الوقوع فى شرك الشرك والضلال وتبين لك وجه الاحتياج الى نبى عظيم يبين لهم ما يسعدهم فى الحال والمآل

(قال الناظم قدس سره)

اخلوا كتاب الله من احكامه * غدرا وكان العامر المأهولا
جعلوا الحرام به حلالا والهدى * غيا وموصول التقى مفصولا
كتموا العبادة والمعاد وماردوا * الحق تعجيلا ولا تأجيلا
وادعاهموا ماضيعوا من فضله * ان ياؤه من الكلام فضولا
وكفاهموا ان مثلوا معبودهم * سبحانه بعباده تمثيلا
وبأنهم دخلوا له فى قبة * اذ ازمعوا نحو الشآم رحيلا
وبأن اسرائيل صارع ربه * فرمى به شكرا لاسرائيلا
وبأنهم سمعوا كلام آلههم * وسبيلهم ان يسمعوا منقولا
وبأنهم ضربوا ليسمع ربهم * فى الحرب بوقات لهم وطبولا
وبأنه من اجل آدم وابنه * ضرب اليدين ندامة وذهولا
وبأن رب العالمين بداله * فى خلق آدم ياله تجهيلا
وبداله فى قوم نوح والذى * اسفا بعض بنانه مذهولا
وبأن ابراهيم حاول اكله * خبزا ورام لرجله تغسيلا
وبأن اموال الطوائف حلات * لهم ربا وخيانة وغلولا
وبأنهم لم يخرجوا من ارضهم * فكانما حسبوا الخروج دخولا
لم ينتهوا عن قذف داود ولا * لوط فكيف بقذفهم رويلا

وعزوا الى يعقوب من اولاده * ذكرا من الفعل القبيح مهولا
والى المسيح وامه وكفى بها * صديقة جلت به وبتولا
ولئن تعلق بالصليب بزعمهم * لعنا يعود عليهم مكفولا
وابيك ما اعطى يهوذا خاتما * لزنا بمحصنة ولا منديلا
لووا بغير الحق السنة بما * قالوه في ليا وفي راحيلا
ودعوا سليمان النبي بكافر * واستهونوا افكا عليه مقولا
وجنوا على هارون بالعجل الذي * نسبوا له تصويره تضليلا
وبان موسى صور الصور التي * ما حل منها فيه معقولا
ورضوا له غضب الاله فلا عدا * غضب الاله عدوه الضليلا
وبان سحرا ما استطاع لانه * منه ولا استطاعت له تبديلا
وبان ما ابدى لهم من آية * ابدوا اليه مثله تخييلا
الا البعوض ولا يزال معاند * لالهه ببعوضة مخذولا
ورضوا لموسى ان يقول فواحشا * ختمت وصيته بهن فصولا
نقلوا فواحش عن كليم الله لم * يك مثلها عن مثله منقولا
واظنهم قد خالفوه فعجلت * لهم العقوبة بالخنا تعجيلا
فشكت رجالهم وامصادر زبلها * ونساؤهم غير البعول بعولا
امن الذين رأوا سبيل محمد * والمؤمنين به اضل سبيلا
عجبا لهم والسبت بيع عندهم * لم يلق منه المشترون مقيلا
هلا عصوا في السبت يوشع اذ غدا * يدعوا جنودا للوغى وخيولا
او جهلوا هارون في ذبح وفي * عجن وما كان النبي جهولا
او الحقوا بهما المسيح واوجبوا التحريم في الحالين والتحليلا

او ابدلوا النسخ الذى فى كتبهم * قد نص عن شعيا وعن يوئيلا
اولم يروا احكام العتيقة ناسخا * احكام كتب المرسلين الاولى
افيأنف الكفار ان يستدركوا * قولا على خير الورى منحولا
لا در درهموا فأن كلامهم * يذر الثرى من ادمعى مبلولا
فكأنى بالغيث مقلة ماجد * تبكى لوجعة تصيب عقيلا
ظنوا بربهم الظنون ورسله * ورموا انائنا بالاذى وفحولا
ان يبخسوا بالكيل زورا حقه * فلا وسعنهم الجزا تنكيلا
ومن الغبينة ان يجازى افكهم * صدقى واسنا فى الكلام شكولا
او يصدقوا كما اتت رسل لهم * اترى الطبيب غدا يزور عليلا

اراد الناظم قدس الله سره العزيز ان يبين فى هذه الابيات تحريف بنى اسرائيل للكتب الالهية التى اؤتمنوا عليها ويثبته بادلة قطعية وهو المطلب الثانى ومحصل كلامه ان بنى اسرائيل قد حذفوا من التوراة وما انزل من بعدها احكاما هى اساس الدين وزادوا فيها بعض امور هى من الضلال المبين اما الذى حذفوه من التوراة وكتب العهد القديم فهو بحث المعاد مع انه من اهم ما يذكر فى الكتب الالهية وعليه تبنى بعثة الانبياء وانزال الكتب ولولاه لاكتفت الناس فى انتظام امر دنياهم بما يهديهم اليه العقل السليم والطبع المستقيم ولم يضطروا الى كتاب منزل ونبى مرسل كما نرى ذلك فى بعض الامم الكافرة الغافلين عن امر الآخره وان كان بيان الانبياء لاسباب انتظام المعاش ايضا اوفى واوفروا بين واظهر

وانما كان بيان امر المعاد من اهم مايذكر فى الكتب الالهية لان الانبياء عليهم السلام ارسلوا لارشاد الناس الى مافيه انتظام امر الدنيا والآخرة فيجب ان يعرفوا الناس اولا انهم لم يخلقوا عبثا وان الله جل شأنه قد امرهم باشياء ونهاهم عن اشياء وانهم سيعادون بعد الممات كما كانوا ويحشرون اليه فمن اتى بما امر به وانتهى عما نهى عنه جوزى بالنعيم الدائم ومن اعرض عن اوامر مولاه واتبع نفسه وهواه جوزى بالعذاب الملازم فاذا عرفوا ذلك وتيقنوه بالادلة التى يوردها الانبياء وشواهد المعجزات التى تدل على صدق مايذكرون من الانباء تلقوا تلك الاحكام الالهية باليمين ففازوا فى الدارين الفوز المبين اما فوزهم فى امر الدنيا فلاجتناب غالبهم حينئذ امر التعدى على حقوق من سواهم خوفا من العقوبة الصغرى فى الدنيا والعقوبة الكبرى فى الاخرى فاذا امنوا العقوبة الصغرى فيما اذا غفل عنهم الحاكم الدنيوى او تغافل لم يقدموا ايضا على ذلك غالبا خوفا من العقوبة الكبرى من الملك العدل الذى لايضيع مثقال ذرة فيقل الظلم المركوز فى النفوس على قدر الامكان ويرتعون فى رياض الامان بخلاف غير الموقنين بامر الآخرة فانهم لايخشون غير العقوبة الصغرى فاذا امكنهم الخلاص منها بوجه من الوجوه ابرزوا ما كمن فى نفوسهم من العدوان واما فوزهم فى امر الآخرة فلسعيهم فى تخلية نفوسهم من النزعات الشيطانيه وتحليتها بالمعارف الربانيه فاذا فارقت هذا

العالم السفلى اتصلت بالعالم العلوى المناسب لها فى العلو والصفاء بخلاف غير المؤمنين فانهم لعدم معرفتهم بالمعاد يسيمون انفسهم فى موارد الضلالات ويزيدونها فوق ظلمتها ظلمات فاذا فارقت ابدانها نزلت الى اسفل سافلين وصارت فى العذاب المهين والحاصل ان بيان امر المعاد وحشر الاجساد ليجزى الذين اسؤا بما عملوا ويجزى الذين احسنوا بالحسنى امر لا يجوز ان يخلوا عنه كتاب منزل على نبى مرسل فعدم بيانه فى كتب العهد القديم لاسيما التوراة دليل على وقوع التحريف فيها بالحذف وحيث ثبت حذفهم لامر المعاد مع انه الاصل فلا يستغرب حذفهم لامر العبادة التى تبنى عليه ولا حذفهم لاسم نبينا عليه الصلاة والسلام واما ما زادوه فى تلك الكتب وهو عبارة من امور تنكرها ذوو الطباع السليمة والافكار المستقيمة وتحكم بانه اختلاق ينزه عنه كلام الخلاق فهو كثير * منها انهم مثلوا الله تعالى بعباده وجعلوا له صورة على شكل الانسان كما هو مذكور فى الباب الاول من سفر التكوين والحال ان الله تعالى منزه عن الشكل والصورة بالدليل القطعى تنبيه قد ورد فى القران الكريم والاحاديث النبوية بعض مايوهم التشبيه الا انه قريب التأويل بحسب اساليب اللغة العربية بخلاف ما فى التوراة فانه نص فى ذلك والاغرب ان فى بعض المواضع من التوراة التصريح بانه تعالى لا شبيه له ولا نظير وهو الحق المطابق لقوله تعالى ليس كمثله شئ وما سواه من يد فيها * ومنها انهم زعموا انهم دخلوا حين ارادوا الرحيل

الى الشام فى قبة فوجدوا الله تعالى فيها وهذا راى فاسد لان الله تعالى لا يحويه مكان وفى كتاب اشعياء عليه السلام اشارة الى ذلك وهو الحق لان كل ما يحويه مكان هو جسم وهو تعالى ليس بجسم ومنها انهم زعموا ان يعقوب عليه السلام صارع ربه واستمر الامر الى الصباح فقال له ربه اطلقنى فقال له لا اطلقك الا ان تباركنى فسأله عن اسمه فقال اسمى يعقوب فسماه اسرائيل وبارك عليه كما هو مذكور فى الباب الثانى والثلاثين من سفر التكوين وهذه خرافة اشد من خرافات كتاب الف ليلة وليلة بل هى خرافة لو سمعها اصحاب الخرافات لاستتروا وجوههم حياء منها فما هذا الاله الذى يصارعه عبد من عبيده ويقوى عليه ويطلب ان يطلقه فلا يطلقه الا بشرط ان يباركه ثم يجهل اسمه فيسأله عنه وهل هذا الا حديث مفترى وعذرا يا اهل الكتاب اذا ادعينا ان التوراة قد حرفت قطعا لاشتمالها على مثل هذه الخرافة المضحكة البينة البطلان فأنا مضطرون ان نقول ذلك تنزيها للكتب الالهية والانبياء الذين انزلت عليهم عن مطاعن الملحدين وصيانة لشرف الدين * ومنها انهم زعموا استماعهم كلام الله تعالى والحال انه مختص بالانبياء * ومنها انهم قالوا بأنهم ضربوا فى بعض الحروب الطبول وصوتوا بالبوقات ليسمعهم الله تعالى ولم اعثر على محل ذكر هذه القضية وهى قريبة مما ذكر فى الباب الحادى عشر من سفر التكوين من ان الرب تعالى نزل لينظر المدينة والبرج الذى كان يبنيه بنوا آدم فى بابل بعد الطوفان ليتخلصوا به من آفات

الزمان كأنهم لم يعلموا ان الله تعالى سميع بصير عليم لا يخفى عليه شئ فى السماء و الارض * ومنها انهم زعموا ان الله تعالى ندم على عمله الانسان على الارض وتأسف بقلبه داخلا اسلوك الانسان فى طريق الشر كما هو مذكور فى الباب السادس من سفر التكوين و هذا جهل عظيم منهم لان الندم انما يكون عن جهل بعاقبة الشئ واما الله تعالى فهو عالم بكل شئ فكيف يلحقه الندم تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ومنها انهم زعموا ان ابراهيم عليه السلام راى ربه فحاول منه ان يأكل خبزا ورام ان يغسل رجله كما هو مذكور فى الباب الثامن عشر من السفر المذكور وهذا افتراء محض على ابراهيم عليه السلام وكيف يجهل ابراهيم الخليل ان الله تعالى منزه عن الاكل و ما شاكله و عن الاعضاء والجوارح * ومنها ما ذكر فى الباب الحادى عشر من سفر صموئيل الثانى من أن داود عليه السلام افتتن بزوجة أوريا فقاربها زمهات منه واهلك زوجها بالمكر ثم تزوجها ولا شك ان هذا افتراء محض على حضرة داود عليه السلام وكيف يصدر من نبى عظيم مثل هذا الفعل الذميم قال الشيخ السنوسى فى مبحث اثبات العصمة للانبياء بعد ان انكر هذه القصة اشد انكار و لا شك ان فى كتب بنى اسرائيل تخليطا عظيما لا يليق ان يلتفت اليه وقد قال على ابن ابى طالب رضى الله عنه من حدث بما قال هؤلاء القصاص فى امر داود جلدته حدين لما انتهك من حرمة من رفع الله قدره * ومنها مازعموه

من ان لوطا عليه السلام سكر فواقع ابنتيه وحملتا منه وولدت كل واحدة منهما ولدا ذكرا صار بعد ابا لامة عظيمة كما هو مصرح به فى الباب التاسع عشر من سفر التكوين وهذا امر لا يصدر من آحاد الناس فكيف يصدر من نبى من الانبياء العظام (سبحانك هذا بهتان عظيم) * ومنها مازعموه من ان روبيل بن يعقوب ضاجع سرية ابيه وسمع ابوه بذلك كما هو مصرح به فى الباب الخامس والثلاثين من سفر التكوين وان يعقوب ما اجرى الحد والتعزير على ابنه ولا على سريته والظاهر ان حد الزنا حينئذ كان الاحراق بالنار والحال ان اعراض الانبياء عليهم السلام مبرأة من عروض مثل هذه الاعراض * ومنها مازعموه من ان يهوذا ابن يعقوب زنى بثامار زوجة ابنه وانها تعرضت له فى الطريق بعد موت زوجها وهى مستورة الوجه فظنها يهوذا زانية فطلب الدخول عليها فقالت له ماذا تعطينى فقال ارسل لك جديا فقالت اعطنى رهنا فقال ماذا اعطيك رهنا. فقالت خاتمك وعمامتك وعصاك فاعطاها ذلك ودخل عليها فحبلت منه ثم ارسل الجدى لياخذ الرهن فلم يجدها ثم بعد حين اخبروه ان كنته قد حبلت من الزنا فامر باحراقها فلما سمعت بذلك ارسلت الى حموها يهوذا واخرجت له الخاتم والعصى والعمامة وقالت له انى حبلت ممن هذه الاشياء له فعرفها يهوذا فسكت ثم ولدت منه توأمين فارض وزارح كما فى الباب الثامن والثلاثين من سفر التكوين وداود وسليمان وعيسى عليهم السلام كلهم من

اولاد فارض فانظر الى جرآءتهم على الانبياء حتى جعلوهم من غير ابناء الرشدة ولا يستغرب ذلك من قوم قذفوا المسيح عليه السلام وامه مريم الطاهرة الزكية وزعموا انهم قد صلبوه وفى كتبهم لعن كل من صلب والاعجب ان المسيحيين يعتقدون بان المسيح قد صلب ويسلمون بلعن كل من صلب نعوذ بالله من الجراءة على انبيآئه والطعن فى اصفيائه ويا ليت شعرى من المحب الحقيقى لعيسى عليه السلام هل النصارى الذين نسبوا ما نسبوا اليه ام المسلمون الذين يبرؤونه من ذلك وكلما ذكر اسمه سلموا عليه * ومنها ما زعموه من ان يعقوب تعلق قلبه براحيل فوعده ابوها لابان بتزويجها منه اذا خدمه سبع سنين ففعل يعقوب عليه السلام ذلك ولما كملت السنون طلب يعقوب انجاز الوعد فجمع ابوها جمعا كثيرا من المحبين وصنع طعاما ولما كان المسآء ادخل ابنة اخرى له اسمها ليا على يعقوب ودخل عليها يعقوب كالعادة ولما كان الصباح راها انها ليا فقال للابان ماهذا الذى صنعت بى الم اخدمك لاجل راحيل فلم خدعتنى فاجابه لابان ليس فى ارضنا عادة بان تزوج البنت الصغرى قبل الكبرى فاكمل هذا الاسبوع فاعطيك الاخرى عوضا من العمل الذى تعمل سبع سنين اخرى ففعل يعقوب هكذا وتزوج براحيل ايضا كما فى الباب التاسع والعشرين من سفر التكوين ثم زعموا بان راحيل اشترت مرة من اختها وضرتها ليا مبيت ابن لبا وهو روبيل عندها ليواقعها بنوبتها عن يعقوب ليبيت عند ليا كما فى الباب الثلاثين

من السفر المذكور وهذا على ما فى النسخة التى كانت فى زمن الناظم ولا يخفى ان هذه الامور منكرة بالنظر لمنزلة من نسبت اليهم ومنها مازعموه من ان سليمان عليه السلام ارتد فى آخر عمره وكان يعبد الاصنام من بعد الارتداد وبنى المعابد لها كما هو مصرح به فى الباب الحادى عشر من سفر الملوك الاول ونظير ذلك مازعموه من ان هارون عليه السلام صور العجل وعبده وامر بنى اسرائيل بعبادته كما اشير الى ذلك فى الباب الثانى والثلاثين من سفر الخروج فانظر الى جراءة بنى اسرائيل على الانبياء العظام وانظر الى انهم لم يكتفوا بنسبة المعاصى الكبار اليهم بل تجاوزوا الحد حتى اخرجوهم عن دائرة الدين بالكلية وحيث ظهر لك انهم يكفرون سليمان عليه السلام تعرف سر قوله تعالى (وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا) وانه اورد للردّ عليهم وتكذيبهم وليس واردا مورد المدح والا لم يكن فيه كبير امر الاترى انه لو قيل عن احد من اوساط الناس فى مقام المدح انه ليس بكافر لم يعد كبير مدح وربما اغضب من قيل فيه ذلك لان الكفر من اقبح العيوب ونفيه يشعر بامكان ثبوته ولا يستلزم نفى غيره بخلاف ما اذا اريد بذلك الرد على المفترى ومنها مازعموه من ان موسى عليه السلام امر بان يصنع من ذهب صورة كروبين باسطين اجنحتهما الى فوق ووجهاهما كل واحد الى الآخر يوضعان فوق غطاء تابوت الشهادة الذى فيه نسخة التوراة كما فى الباب السابع والثلاثين من سفر الخروج مع ان موسى عليه السلام قد نهى عن اتخاذ الصور اشد النهى

ومنها مازعموه من ان موسى عليه السلام استقل واستعفى من النبوة فاشتد غضب الله تعالى عليه كما فى الباب الرابع من سفر الخروج ولا اصل لذلك وكيف يتصور غضب الله على موسى وهو من انبيائه وغضبه انما يكون على اعدائه ومنها مازعموه من ان الله تعالى حرمه واخاه هارون عن الدخول الى الارض المقدسة لكونهما عصياه ولم يقدساه ولم يصدقاه وان آخر حياتهما ختمت باعراض الله عنهما وياعجبا لبنى اسرائيل كيف ساغ لهم ان يدخلوا هذا البهتان فى التوراة واذا حملهم الحسد لانبيائهم الذين هم من جنسهم فافتروا عليهم حتى ينفوا العصمة عنهم فلا تعجب من انكارهم اسم نبينا وحذفه وهو من غير جنسهم ومنها مازعموه من ان السحرة عارضوا موسى عليه السلام واتوا بمثل بعض ما اتى به من الآيات وانهم انما عجزوا عن اخراج البعوض الذى اخرجه موسى وهرون على ارض مصر كما ذكر ذلك فى اوائل سفر الخروج ولا يخفى ان المعجزات لا يمكن ان تعارض بالسحر والا لاشتبه النبى بالساحر وكانهم ما عرفوا ان جند الله هم الغالبون وانه لا يفلح الساحرون هذا وبما نقلناه من هذه القضايا التى يحكم بكذبها كل ذى طبع سليم وفكر مستقيم تعرف انهم قد غيروا وبدلوا وحرفوا وصحفوا وزادوا ونقصوا وان هذه القضايا لم تكن فى الاصل بل زيدت من تلقاء انفسهم فى الكتب الالهية المذكورة فيها وقد تعرض المصنف فى اواخر هذه الابيات لاثبات النسخ لتوقف بعض الطالب

عليه وهو من المسائل المهمة ومعنى النسخ بيان مدة انتهاء الحكم العملى الجامع للشروط كالقتال فى الاشهر الحرم فان الله تعالى حرمه اولا ثم نسخ ذلك اى ابان ان حكم تحريم القتال فيها قد انتهت مدته وابتدأ حكم حله ونظير ذلك كثير وقد اتفق المسلمون على جوازه ووقوعه وقد منعته النصارى واليهود اشد المنع ليتوصلوا بذلك الى انكار الشريعة المحمدية التى نسخت جميع الشرائع وسند منعهم ان الحكم الاول ان كان حسنا فكيف ينسخ وان كان غير حسن فكيف يشرعه الله تعالى والجواب ان الاحكام تختلف باختلاف الزمان فقد يوافق المكلفين حكم فى زمان ثم ياتى زمان يوافقهم فيه غيره فينسخ فيكون كل حكم حسنا فى وقته الا ترى ان الطبيب الحاذق يبدل الادوية والاغذية بملاحظة حالات المريض على حسب المصلحة التى يراها ولا يحمل احد فعله على العبث والله جل شأنه قد علم فى الازل احوال عباده فانزل عليهم فى كل زمن ما يوافق المصلحة والحكمة تفضلا منه ورحمة واوضح اعتراضهم رجع عليهم حيث يرون تبدل احوال الناس من الفقر والغنى والمرض والصحة وغير ذلك وتبدل احوال الزمان من الربيع والصيف والخريف والشتاء وكلها فعل الله تعالى فان اجابوا بان الحكمة تقتضى تبدل احوال الناس والازمنة قلنا نحن ايضا ان الحكمة تقتضى تبدل بعض الشرائع والاحكام ولعمرى ان جميع اعتراضاتهم كبيت العنكبوت ليس لها قرار وثبوت وحيث ان الاحكام تتبدل

بحسب المصلحة والحكمة وبعض الاحكام تقتضى المصلحة والحكمة دوامها وبقاءها لم تجز علماء الاسلام نسخ بعض الاحكام مثل حرمة الزنا واقتل بغير حق واللواطة والسرقة وشهادة الزور وشبه ذلك فانها لايلحقها النسخ اصلا لعدم تبدل المصلحة فى تحريمها بتبدل الاشخاص والازمنة وحيث ان النسخ انما يتعلق بالاحكام فلا يدخل فى القصص والاخبار لان نسخها يكون عبارة عن تكذيبها ولافى صفات الله تعالى فانه لايتغير ولا يتبدل ولذلك تطابقت اخبار الانبياء فى بيان صفات الله تعالى من الوجود والقدم والبقاء والواحدانية والقدرة والارادة والسمع والبصر والكلام واما ما ينقل عن النصارى من امر التثليث فهو من مخترعاتهم واستنباطاتهم ولم ينقل عن المسيح عليه السلام شئ من ذلك وهم يقرون بهذا الامر وهذه الاناجيل الموجودة بين ايدينا شاهدة بما نقول وقد اشرنا سابقا لذلك والدليل على وقوع النسخ فى الشرائع على خلاف ما زعم النصارى واليهود امور الاول ان تزوج الاخوة بالاخوات كان جائزا فى شريعة آدم عليه السلام فكان الاخ يتزوج بأخته التى لم تولد معه فى بطن واحد ولولا ذلك لم يتيسر تناسل الناس اصلا اذ اولاد آدم الذكور اخوة لاولاده الاناث وقد نسخ هذا الحكم فى الشريعة الموسوية فصار محرما ملعونا فاعله وكل من تزوج باخته يقتل هو وهى ولو لم يكن ذلك النكاح جائزا فى شريعة آدم عليه السلام ثم نسخ من بعد لكانت الناس كلهم ابناء حرام وهذا لايلزم على قول المسلمين القائلين بالنسخ بل يلزم على

قول من انكره وانا نخيرهم بين الامرين فليختاروا ما يحلو الثاني يفهم من الباب التاسع من سفر التكوين ان جميع الحيوانات كانت مباحة في شريعة نوح يجوز اكلها وحكمها حكم البقل الاخضر وقد نسخ هذا الحكم في الشريعة الموسوية فحرمت حيوانات كثيرة منها الخنزير وهذان الامران لالزام اليهود والنصارى معا وما سيأتي يرد لالزام النصارى فقط الثالث ان الطلاق كان جائزا في الشريعة الموسويه وللمرأة المطلقة ان تتزوج برجل آخر ثم نسخ هذا الحكم في الشريعة العيسوية وصار غيرجائز الا اذا زنت المرأة * الرابع ان تعدد الزوجات كان سائغا في الشرائع السالفة وقد تزوج بزوجات متعددة كثير من الانبياء العظام كابراهيم ويعقوب وداود وقد نسخ هذا الحكم في الشريعة العيسوية ومنع الرجل من تزوج سوى امرأة واحدة

الخامس ان العمل في السبت كان ممنوعا في الشريعة الموسوية اشد المنع ومن عمل فيه فجزاؤه القتل ولم يثبت بدليل صريح نسخه في الشريعة العيسوية وجواز العمل فيه مطلقا ولو ثبت فلم يثبت استبداله بالاحد والنصارى قد نسخوه وابدلوه بالاحد والذي يلوح من عبارة الناظم جنوحه الى ان حكم السبت نسخ من زمن يوشع عليه السلام وهو غير ظاهر والاغرب ان عبارة التوراة تشير الى انه مؤبد واذا كان مؤبدا فكيف ينسخ ولهم الخيار هنا بين التسليم بالتأبيد فيرد عليهم ان المؤبد لاينسخ وبين عدم التسليم به فيثبت انه زيد تحريفا

السادس حكم الختان ثابت فى شريعة ابراهيم عليه السلام وبقى هذا الحكم فى اولاد اسمعيل واسحق ولما جاء موسى عليه السلام قرره وامر بختان الصبى فى اليوم الثامن وقد نسخته النصارى من تلقاء انفسهم وكان عيسى عليه السلام ممن اختتن ولم يثبت عنه مايوجب نسخه اصلا * السابع ان الخنزير كان محرما اكله فى الشريعة الموسوية وقد نسخته النصارى من تلقاء انفسهم ولم يثبت عن عيسى عليه السلام مايوجب نسخه بل ثبت عنه مايوجب بقاء حرمته فقد ورد فى الباب الثامن من انجيل متى ان المسيح عليه السلام لما جاء الى العبر استقبله مجنونان هائجان جدا وصرخا مالنا ولك اجئت الى هنا قبل الوقت لتعذبنا وكان بعيدا عنهم قطيع خنازير كثيرة ترعى فالشياطين طلبوا اليه ان يأذن لهم فى الذهاب الى قطيع الخنازير ان كان عازما على اخراجهم فقال لهم امضوا فمضوا الى قطيع الخنازير واذا قطيع الخنازير قد اندفع من على الجرف الى البحر ومات فى المياه اما الرعاة فهربوا وذهبوا الى المدينة واخبروا عما صنع فاتاه اهلها وطلبوا ان ينصرف عن تخومهم فلو لم يكن الخنزير نجسا وغير مأكول اللحم لم يأذن لهم بذلك اذ كيف يأذن لهم باتلاف مال محترم متقوم وان قالوا راعى جانب الانسان لانه اهم قلنا الاعكنه صرف الشياطين بالكلية عندكم وعلى فرض عدم امكانه كان يلزم ان يضمن لهم ما تلف، فظهر من فعل المسيح عليه السلام ان الخنزير نجس غير مأكول اللحم ولا يضمن

متلفه وهذا بحث يطول استيفاؤه هذا واكثر ما نسخوه مما لم يثبت عن عيسى عليه السلام نسخه كان براى بولس وكان فى اول الامر حبرا عظيما من احبار اليهود شديد العداوة للملة المسيحيه فلما راى فشوها وانتشارها وعرف انه لاينجح فى مجاهرتها بالعداوة دخل فيها فى الظاهر وجعل لدخوله سببا لطيفا واستمال اليه قلوب المسيحيين ولما تمكن فيهم وعرف عظم منزلته لديهم وانه صار عندهم بمنزلة حذام شرع فى تاويل عبارات المسيح عليه السلام بما يريد وكان النصارى يعتقدون اذ ذاك ان المسيح عبد من عبيد الله اكرمه الله تعالى بالرسالة فسعى فى ازالة ذلك عن افكارهم وابان لهم ان فيه احتقارا للمسيح اذ لا يكون بينه وبين سائر الانبياء حينئذ فرق والقى فى اذهانهم انه ابن الله حقيقة (تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا) ولما راى اذعانهم قالة اكل ما يلقى اليها شرع فى ابطال الاحكام الشرعية وزعم ان الايمان بالمسيح عليه السلام كاف فى النجاة واباح لهم كل مايشتهون ولا يخفى مافى النفوس من الميل الى الاباحة والاطلاق فمالوا اليه اشد الميل ولبوا دعوته ورأوا انهم بواسطته قد تخلصوا من مشاق الاعمال وحازوا على الراحة فى الحال والمآل ولم تكن الشريعة الشريفة العيسوية حينئذ مضبوطة ومروية بالتواتر ومأخوذة عن الجهابذة النقاد للاسباب التى ذكرناها سابقا فحصل على المطلوب باقرب اسلوب ومن قابل بين ما ورد عن عيسى عليه السلام وبين ما ادخله هو ظهر له ما قلنا ظهورا بينا وقد نبه

كثير من العلماء الاعلام على احوال هذا الذكى النبيه الذى قل ان يلحق له فى الفطانة شبيه * وهاهنا فائدة تناسب المقام وهى ان احد علماء النصارى اسلم فى القرن الحادى عشر فاعترض عليه بعض احبائه منهم واوردوا عليه اسئلة كثيرة فاجاب عنها احسن جواب وكان ذلك سبب اسلام بعضهم ايضا ومن جملة تلك الاسئلة ان الشريعة اما عدلية اى تأمر باجراء العدل ومقابلة الاساءة بالاساءة واما فضلية اى تأمر بالمسامحة والتغاضى وعدم المقابلة او بمقابلة الاساءة بالاحسان وقد اتى موسى عليه السلام بالشريعة العدلية واتى عيسى عليه السلام بالشريعة الفضلية فقد وجدت اقسام الشرائع فلا حاجة الى شريعة اخرى فاجاب بما حاصله ان موسى عليه السلام اتى بشريعة عدلية لاقتضاء الحكمة ذلك اذ ذاك ثم اتى زمان لم تستطع الناس الاخذ بها للحرج فأدى الحال الى اهمالها كما لا يخفى على من طالع تواريخ بنى اسرائيل فاتى عيسى عليه السلام بشريعة فضلية تقتضيها الحكمة اذ ذاك ثم اتى زمان لم تستطع الناس ان تعمل بها نظرا لعدم اشتمالها على الزواجر العاجلة التى يخشاها كثير من الناس اكثر من الآجلة ولم تصبر على تحمل الاساءة فضلا عن مقابلتها بالاحسان فادى الحال الى اهمالها فاتى محمد عليه الصلاة والسلام بشريعة عدلية فضلية عدلية لمن لا يصلحه الا العدل فضلية لمن يصلحه الفضل ولذلك وافقت كل الامم على اختلاف مذاهبهم واطوارهم وازمنتهم وامكنتهم ولذلك لا تنسخ لان النسخ

انما يكون للحكمة والمصلحة وهذه الشريعة تقتضى الحكمة والمصلحة دوامها اقيامها بجميع مايراد من صلاح المعاد والمعاش وبذلك يظهر سر كون نبينا خاتم الانبياء فلا يأتى بعده نبى وانه لو جاء بعده موسى مثلا لم يسعه الا اتباعه وههنا سوال ينشأ عن السوال السابق وهو ان يقال اذا كانت الشريعة المحمدية عداية فضلية وهى اعدل الشرائع واقومها فلم لم يظهرها الله تعالى من اول الامر وبذلك يستغنى عن النسخ وتكون الشريعة حينئذ واحدة غير متعددة قلت قد تقرر فى العلوم الحكمية ان الله جل وعلا رتب المسببات على الاسباب وراعى التدريج فى الامور والترقى والشرائع السالفة هى معدات لظهور الشريعة المحمدية فلو ظهرت الشريعة المحمدية فى اول الامر وهى مشتملة على الدقائق والاسرار فربما لم تصل الاذهان الى كنه ما اشتملت عليه اذ الاذهان حينئذ لم تنتقش بشئ من العلوم والاسرار الالهية فلو ظهرت حينئذ لم تظهر بهذه الحالة الجامعة المانعة لان الله تعالى امر الانبياء ان يخاطبوا الناس على قدر عقولهم فلا يمكن ان تكون الشريعة المحمدية اول الشرائع لمخالفة ذلك سنة الله تعالى فى ترقى كل شئ فارسل الله تعالى فى كل مدة شريعة توافق اهل ذلك الزمن وترشدهم الى مافيه صلاحهم وفلاحهم على قدر استعدادهم وقابليتهم ولم تزل الافكار تترقى شيأ فشيأ الى ان اتى نبينا عليه افضل التحيات فارسله الله تعالى بشريعة جامعة لجميع الكمالات اذ كانت الافكار قد استعدت وتهيأت لفهم مافيها

من الحكم والاسرار فجاءت فى ابانها على ما تقتضيه حكمة الله الذى اعطى كل شئ خلقه ثم هدى

(قال الناظم قدس سره العزيز)

ان انكروا فضل النبى فانما * ارخوا على ضوء النهار سدولا
الله اكبر ان دين محمد * وكتابه اقوى واقوم قيلا
طلعت به شمس الهداية للورى * وابى لها وصف الكمال افولا
والحق ابلج فى شريعته التى * جمعت فروعا للهدى واصولا
لاتذكروا الكتب السوالف عنده * طلع الصباح فاطفأ القنديلا
درست معالمها الا فاستخبروا * منها رسوما قد عفت وطلولا
تخبركم التوراة ان قد بشرت * قدما باحمد ام باسماعيلا
ودعته وحش الناس كل ندية * وعلى الجميع له الايادى الطولا
تجدوا الصحيح من السقيم فطالما * صدق الحبيب هوى الحبيب نحولا
طوبى لموسى حين بشر باسمه * واسامع من قوله ماقيلا
وجبال فاران الرواسى انها * نالت من الدنيا به التفضيلا
من مثل موسى قد اقيم لاهله * من بين اخوتهم سواه رسولا
او ان اخوتهم بنوا العيص الذى * نقلت بكارته لاسرائيلا
تالله ما كان المراد به فتى * موسى ولاعيسى ولا شمويلا
اذ ان يقوم لهم نبى مثله * منهم ولو كان النبى مثيلا
واستخبروا الانجيل عنه وحاذروا * من لفظه التحريف والتبديلا
ان يدعه الانجيل فار قليطه * فلقد دعاه قبل ذلك ايلا
ودعاه روح الحق للوحى الذى * يوحى اليه بكرة واصيلا

فتأمل القول الذى ما احسنت * امم المسيح لحسنه تأويلا
اذ قال لا يأتيكموا الا اذا * ازمعت عنكم للاله رحيلا
ان انطلق عنكم يكن خيرا لكم * ليجيئكم من ترتضون بديلا
يأتى على اسم الله منه مبارك * ماكان وعد قدومه ممطولا
يتلو كتابا بالبيان كتابه * وترد امثالى به التأويلا
من فند العلماء غير محمد * منهم وجهل رأيهم تجهيلا
وازاح ملك الله منهم عنوة * ليبيحه اهل التقى ونبيلا
وكما شهدت له سيشهد لى اذا * صار العليم بما اتيت جهولا
يبدى الحوادث واغيوب حديثه * ويسوسكم بالحق جيلا جيلا
هو صخرة مازوحمت صدمت فلا * تبغوا لها الا النجوم وعولا
والآخرون الاولون فقومه * اخذوا على العمل القليل جزيلا
والمحمنا لا تشكوا ان اتى * لكمو فليس مجيئه مجهولا
وهو الوكل آخرا بالكرم لا * يختار مالله عنه وكيلا
وهو الذى من بعد يحيى جاءهم * اذ كان يحيى للمسيح رسيلا
وسل الزبور فان فيه الآن من * فصل الخطاب عن النبى فصولا
فهو الذى نعت الزبور مقلدا * ذا شفرتين من السيوف صقيلا
قرنت شريعته ببأس يمينه * فاراك اخذ الكافرين وبيلا
فاضت على شفتيه رحمة ربه * فاستشف من تلك الشفاه عليلا
ولغالب من حمده وبهائه * ملأ الاعادى ذلة وخمولا
فى امة خصت بكل كرامة * وتفيأت ظل الصلاح ظليلا
وعلى مضاجعهم وكل ثنية * كل يسر ويعلن التهليلا

رهبان ليل اسد حرب لم تلج * الا القنا يوم الكريهة غيلا
كم غادروا الملك الجليل مقيدا * والقرم من اشرافهم مغلولا
والله منتقم بهم من كل من * يبغي عن الحق المبين عدولا
خضعت ملوك الارض طائعة له * وغدا به قربانهم مقبولا
مازال للمستضعفين موازرا * ولعتفيه وذى الصلاح وصولا
لم يدعه ذوحاجة وضرورة * الا ونال بجوده المأمولا
ذاك الذى لم يدعه ذوفاقة * الا وكان له الزمان منيلا
تبق الصلاة عليه دائمة فخذ * وصف النبي من الزبور مقولا
وكتاب شعيا مخبر عن ربه * فاسمعه يفرح قلبك المتبولا
عبدى الذى سرت به نفسى ومن * وحيي عليه منزل تنزيلا
لم اعط ما أعطيته احدا من الـفضل العظيم وحسبه تخويلا
يأتى فيظهر فى الورى عدلى ولم * يك بالهوى فى حكمه ليميلا
ان غض من بصر ومن صوت فما * غض التقى والحلم منه كليلا
فتح العيون العور لكن العدى * عن فضله صرفوا عيونا حولا
احيي القلوب الغلف اسمع كل ذى * صمم وكم داء ازال دخيلا
يوصى الى الامم الوصايا مثل ما * يوصى الاب البر الرحيم سليلا
لا تضحك الدنيا له سنا وما * لم يؤت منها عده تنويلا
من غير احمد جاء يحمد ربه * حمدا جديدا بالمزيد كفيلا
وكتابه ماليس يطفأ نوره * والحق منقاد اليه ذليلا
خصم العباد بحجة الله التى * اضحى بها عذر العدى مبتولا
فرحت به البرية القصوى ومن * فيها وفاضلت الوعور سهولا

وزهت وضاهت حسن ابان الذى * لولا كرامة احمد مانيلا
ملئت مساكن آل قيدار به * عزا وطابت منزلا ونزولا
جعلوا الكرامة للاله فاكرموا * والله يجزى بالجميل جميلا
وابيته الحرم الحرام طريقه * تتلو رعيل المخلصين رعيلا
لاتخطر الارجاس فيه ولا يرى * لخطاهموا فى ارضهم تنقيلا
كتفاه بينهما علامة ملكه * لله ملكا لا يزال اثيلا
من كان من حزب الاله فلم يزل * منه بحسن عناية مشمولا
هو راكب الجمل الذى سقطت به * اصنام بابل قد اتاك دليلا
والغرس فى البدو المشار لفضله * ان كنت تجهله فسل حزقيلا
غرست بارض البدو منه دوحة * لم تخش من حر الفلاة ذبولا
فاتتك فاضلة الغصون واخرجت * نارا لما غرس اليهود اكولا
ذهبت بكرمة قوم سوء ذللت * بيد الغرور قطوفها تذليلا
وسلوا الملائكة التى قد ابدت * قيدار تبدى العلة المعلولا
وسلن حبقوق المصرح باسمه * وبوصفه وكفى به مسئولا
اذ وصل القول الصريح بذكره * للسامعين فاحسن التوصيلا
فالارض من تحميد احمد اصبحت * وبنوره عرضا تضيئ وطولا
رويت سهام محمد بقسيه * وغدا بها من ناضلت منضولا
واسمع رؤيا بختنصر والقس * من دانيال لها اذا تأويلا
وسلوه كم عقدت دعوة باطل * انزيح علة مبطل وتزيلا
وارم العدى ببشارة عن ارميا * نقلت وكان حديثه المقولا
اذ قال قد قدسته وعصمته * وجعلت للاجناس منه رسولا

وجعلت تقديسي قبيل وجوده * وعدا على كعبته مسئولا
وحديث مكة قد رواه مطولا * شعيا فخذه وجانب التطويلا
اذ راح بالقول الصريح مبشرا * بالنسل منها عاقرا معضولا
وتشرفت باسم جديد فادعها * حرم الاله بلغت منه السولا
فتنبهت بعد الخمول وكللت * ابوابها وسقوفها تكليلا
ونأت عن الظلم الذي لا نتقي * لخضابه شيب الزمان نصولا
حرم على حمل السلاح محرم * فكانما يسقي السيوف فلولا
وتخال من تحريم حرمته العدا * عزلا وقد حملوا السلاح ومبلا
لم يتخذ بيت سواه قبلة * فارد بذلك لما اقول قبولا
وبنوا نباوة لم تزل خدامها * لا ينبغي عنها لهم تحويلا
جمعت بها اغنام قيدار التي * قد كان منها ذبح اسمعيلا
فنمت وامن خوفها وعدوها * قد بات منها خائفا مهزولا
وكتاب شمعون النبي كلامه * لكلام موسى قد اتى تذييلا
وجميع كتبهموا على علاتها * نطقت بذكر محمد تعليلا
لم يجهلوه غير ان سيوفه * ابقت حقودا عندهم وذحولا
ان انكروا فضل النبي فانما * القوا على ضوء النهار سدولا
فاسمع كلامهموا ولا تجهل على * ما حرفوا من كتبهم تقويلا
لولا استحالتهم لما الفيتني * لك بالدليل على الغريم كفيلا
اوقد جهلت من الحديث رواية * ام قد نسيت من الكتاب نزولا
فاترك جدال اخي الضلال ولا تكن * برا من لا يهتدي مشغولا
مالي اجادل فيه كل اخي عمى * كيما اقيم على النهار دليلا

اراد الناظم قدس سره العزيز ان يذكر فى هذه الابيات مانقل عن الانبياء الماضين من العبارات المبشرة بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم والشاهدة بصدق نبوته الزاما لاهل الكتاب المقرين بنبوتهم وهذا الدليل وحده كاف بالنسبة اليهم فان شهادة من ثبتت نبوته لاحد بالنبوة دليل قاطع على نبوته وان لم تظهر معجزة على يده فكيف اذا ظهرت على يده معجزات وقامت على نبوته دلائل وبينات وهذا هو المطلب الثالث ومحصل كلام الناظم فيه ان نبوة نبينا عليه السلام واضحة اشهرت وان من انكرها هو كمن اراد ان يلق غطاء ليستر ضوء النهار فان من نظر الى ما اشتمل عليه دينه المبين وشرعه المتين من الاعتقادات والعبادات والمعاملات والسياسات والآداب والحكم وكذلك من نظر الى القرآن الكريم وما اشتمل عليه من العلوم والمعارف والاخبار عن المغيبات التى ظهرت بعد كما اخبر وجمعه للحكمتين العملية والنظرية اصولا وفروعا وعجز البشر عن الاتيان بمثله علم قطعا انه نبى من الانبياء العظام وان ما اتى به وحى والهام حتى ان كثيرا من الفلاسفة الذين لايقرون بالنبوة يسلمون بان شرع نبينا عليه الصلاة والسلام احسن الشرائع واعدلها وانه لايمكن ان يكون احسن منه ويلهجون بذكر ماخص به من الخصائص التى بهرت عقولهم وانظر الى فلاسفة اوربا الذين كانوا فى الاصل مسيحين ثم لما توغلوا فى الفلسفة اعرضوا عن دينهم حيث وجدوه عبارة عن امور لا توزن بمعيار العقل كيف يلهجون

بذكر الشرع المحمدي وما اشتمل عليه من الاسرار والحكم التي
يشهد بها الذوق السليم وكثيرا ما صرح بعضهم بانه لو اختار ان
يتدين بدين ما قبل غير الاسلام دينا وقد اسلم كثير منهم قديما وحديثا
على ان الشرع المحمدي والدين الاحمدي مستغن عن شاهد
سواه لان ما فيه من المحاسن والاسرار الظاهرة لكل منصف شاهد
عدل بكونه من الله تعالى وان من اتى به نبي كريم ورسول عظيم
فضلا عما ظهر على يد النبي عليه الصلاة والسلام
من المعجزات البينة الظاهره المشهورة المتواتره الا اننا مع
ذلك نرخي العنان لاهل الكتاب ونخاطبهم بما هو اقرب لفهمهم
ليتم المقصود في الالزام فنقول ان نبينا عليه الصلاة والسلام
قد بشرت به الانبياء السالفون وشهدوا بصدق نبوته
ووصفوه وصفا رفع كل احتمال حيث صرحت باسمه وبلده
وجنسه وحليته واطواره وسمته غير ان اهل الكتاب حذفوا اسمه
الان ذلك يجديهم نفعا لبقاء الصفات التي اتفق عليها المؤرخون
من كل جنس وملة وهي اظهر دلالة من الاسم على المسمى اذ
قد يشترك اثنان في اسم ويمتنع اشتراك اثنين في جميع الاوصاف
لكن من امد غير بعيد قد شرعوا في تحريف بعض الصفات ليبعد
صدقها على النبي عليه الصلاة والسلام فترى كل نسخة متاخرة تختلف
عما قبلها في بعض المواضع اختلافا لا يخفى على اللبيب امره ولا ما قصد به
ولم يفدهم ذلك غير تقوية الشبهة عليهم لانتشار النسخ بالطبع وتيسر
المقابلة بينها وها نحن نشرع في ايراد البشائر التي اشار اليها

الناظم قدس الله سره العزيز معينين الكتاب الذى نقلت منه
والباب الذى ذكرت فيه والتفاوت بين النسخ التى كانت فى زمنه
وبين نسخ الطبع الان اذا وجد وتوقف عليه فهم عبارة الناظم
وهى عشرون بشاره البشارة الاولى فى الباب السادس عشر من
سفر التكوين فى حق هاجر هكذا (١١ وقال لها الملك
انك حامل وستلدين غلاما وتدعين اسمه اسماعيل فان الله قد
سمع تعبدك ١٢ ويكون هو وحش الناس وتكون يده فوق
الجميع ويد الجميع مبسوطة اليه بالخضوع ويحلى على منتهى
اخوته كلهم) هذه اكرمك الله بشارة بمحمد صلى الله عليه
وسلم لا بجده اسماعيل لان اسماعيل عليه السلام لم تكن يده
فوق يد الجميع لا وكانت يد الجميع مبسوطة اليه بالخضوع بل
فى التوراة ان اسماعيل وامه هاجر اخرجا من وطنهما مكرهين
ولم يرث اسماعيل مع اسحق وكان الملك والنبوة فى بنى اسحق
وكان بنوا اسماعيل فى البرارى العطاش ولم يسمع ان الامم دانت لهم
حتى بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فدانت له الملوك
وخضعت له الامم وعلت يده وايدى بنى اسماعيل على كل يد
وصارت يد كل بهم فكان ذكر اسماعيل مقصودا به ولده كما
ان فى مواضع كثيرة من التوراة ذكر يعقوب والمقصود بالذكر
ولد يعقوب فمن ذلك قوله فى السفر الخامس يااسرائيل الا تخشى
الله ربك وتسلك فى سبيله وتعمل له فهذا خطاب لبنى اسرائيل
باسم ابيهم وكذلك قوله لقوم موسى اسمع اسرائيل ثم احفظ واعمل

يحسن اليك ربك ويكثرونعم ، كذلك قوله خطابا لبنى اسرائيل ما احسن منزلك يعقوب ومسكنك اسرائيل ونظير ذلك كثير فظهر انه قد يذكر اسم الاب ويراد الابن بقرينة وفى هذه البشارة ذكر اسماعيل عليه السلام وانه سيكون يده فوق الجميع ويد الكل مبسوطة بالخضوع اليه والمراد بذلك ابنه محمد صلى الله عليه وسلم مجازا بقرينة الحال والالزم الخلاف فى خبره تعالى وقد سلم بعض احبار اليهود بكون هذه البشارة فى حق محمد صلى الله عليه وسلم لكن زعموا انها بشارة بالملك دون النبوة والرسالة وقد رد عليهم بعض الافاضل والزمهم بان قال لهم هل الملك الذى بشر الله به هو ملك بعدل وحق ام لا فان لم يكن بحق وعدل فكيف يبشر الله تعالى به وان كان ملكا بعدل وحق فالملك الحق العدل يجب ان يكون صادقا على الله فيما يدعيه وقد ادعى نبينا عليه السلام النبوة فيكون صادقا وهو استنباط دقيق لطيف وقد ذكر العدد ١٢ فى بعض النسخ المطبوعة هكذا ١٢ سيكون انسانا وحشيا يده على كل واحد ويد كل عليه وامام جميع اخوته يسكن) ولا يخفى ما بين العبارتين من الفرق

البشارة الثانية فى الباب الثالث والثلاثين من سفر الاستثناء هكذا ١ (وهذه هى البركة التى بارك بها موسى رجل الله بنى اسرائيل قبل موته ٢ فقال جاء الرب من سينا واشرق لنا من ساعير واستعلن من جبل فاران ومعه الوف الاطهار وفى يمينه سنة نار) ولا غموض بان مجئ الله جل وعلا من سينا عبارة

عن انزاله التوراة على موسى بطور سينا هكذا يفسره
اهل الكتاب والامر كذلك فيجب ان يكون اشراقه
من ساعير عبارة عن انزاله الانجيل على المسيح وكان المسيح
يسكن ارض الخليل من ساعير بقرية تدعى ناصرة واسم
النصارى مأخوذ منها واستعلانه من جبال فاران عبارة عن
انزاله القرآن على محمد فى جبل فاران وفاران هى مكة لايخالفنا
فى ذلك اهل الكتاب ففى الباب الحادى والعشرين من سفر
التكوين فى حال اسماعيل عليه السلام هكذا (وكان الله
معه ونما وسكن فى البرية وصار شابا يرمى بالسهام وسكن برية
فاران) ولا شك ان اسماعيل عليه السلام كان سكناه فى مكة
وفيها مات وبها دفن وهذه البشارة صريحة فى حق نبينا عليه
السلام ظاهرة لاتخفى الا على الاكمه لايعرف القمر فاى نبى ظهر
فى مكة بعد موسى غير محمد وانتشر دينه فى مشارق الارض
ومغاربها كما يقتضيه الاستعلان المذكور فى البشارة تنبيه
قوله جاء الرب مجاز عقلى وهو اسناد الشئ لغير ماهو له لملابسة
بينهما اى جاء كتابه وامره وهو كقوله تعالى وجاء ربك اى
امر ربك وقوله تعالى فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا اى اتاهم
امره اذ اسناد المجئ الى الله تعالى حقيقة محال لكونه من
خواص الاجسام

البشارة الثالثة فى الباب الثامن عشر من سفر الاستثناء هكذا
١٧ (فقال لى الرب نعم جميع ماقالوا ١٨ وسوف اقيم لهم

نبيا مثلك من بين اخوتهم واجعل كلامي في فيه ويكلمهم بكل
شئ آمره به ١٩ ومن لم يطع كلامه الذي يتكلم به باسمي فانا
اكون المنتقم من ذلك) هذه البشارة في حق نبينا صلى الله
عليه وسلم قطعا لانه من ذرية اسماعيل وذريته يدعون اخوة
لبني ابراهيم بدليل ماذكر في التوراة في حق اسماعيل وانه قبالة
اخوته ينصب المضارب وقد جرت عادة الكتب المنزلة بتسمية
ابناء الاعمام عن بعد بعيد اخوة كما دعي في القرآن هود وصالح
اخوة لعاد وثمود مع انهما على بعد بعيد من اولاد الاعمام وكما
قيل في سفر العدد في الباب العشرين وارسل موسى من قادش الى
ملك ادوم قائلا هكذا يقول اخوك اسرائيل ..... مع انهما
ابناء اعمام على بعد بعيد وليست هذه الشهادة في حق احد من
انبياء بني اسرائيل والا لقال وسوف اقيم لهم نبيا مثلك منهم او من
انفسهم كما قال تعالى اخبارا بدعوة ابراهيم عليه السلام لاولاد
اسماعيل ربنا وابعث فيهم رسولا منهم وكما قال تعالى في خطاب
بني اسماعيل لقد جاءكم رسول من انفسكم واما مازعمته اليهود
من ان المراد يوشع فتى موسى فهو باطل من وجوه الاول ان
المبشر به من اخوة بني اسرائيل لامن نفس بني اسرائيل ويوشع
كان من نفس بني اسرائيل الثاني ان يوشع لم يكن مثل موسى عليه
السلام لما في آخر سفر الاستثناء من انه لا يقوم في بني اسرائيل نبي
مثل موسى ولان موسى عليه السلام صاحب كتاب وشريعة جديدة
مشتملة على اوامر ونواهي ويوشع ليس كذلك بل هو مأمور باتباع

شريعة موسى الثالث ان يوشع عليه السلام كان حاضرا هناك وقد اشير اليه بعبارة صريحة قبل هذه ففى الباب الاول من هذا السفر فليكن يوشع بن نون خادمك فهو يدخل عوضك وهو يقسم الارض لبنى اسرائيل فاى مقتضى للرمز والتلويح بعد هذا التصريح واى موجب لادخال سوف الدالة على الاستقبال على فعل حاصل فى الحال واما مازعمته النصارى من ان المراد به عيسى عليه السلام فهو ايضا باطل لوجوه الاول انه من بنى اسرائيل والمبشر به هنا من غيرهم الثانى ان موسى بشر بنبى مثله وهم يدعون ان عيسى اله وينكرون كونه نبيا مرسلا والالزم اتحاد المرسل والمرسل وهو غير معقول على ان مشابهة موسى لنبينا عليهما السلام اقوى من مشابهته لعيسى لاتحادهما فى امور الاول كونهما ذوى والدين وازواج بخلاف عيسى عليه السلام الثانى كونهما مأمورين بالجهاد بخلاف عيسى عليه السلام وقد اشار فى هذه البشارة بقوله ومن لم يطع كلامه الذى يتكلم به فانا اكون المنتقم من ذلك الى كون هذا النبى مأمورا بجهاد من كفر بما جاء به من عند الله والانتقام منه بسيفه البتار وزعمت النصارى ان الانتقام هنا بمعنى العذاب الاخروى لمنكريه وهو خطأ لان ذلك لايختص بهذا النبى بل كل من انكر ماجاء به نبى من الانبياء ينتقم منه فى الآخرة فلا معنى لتخصيص هذا النبى بالذكر حينئذ الثالث كون شريعتهما مشتملة على الحدود والقصاص والتعزير وايجاب الغسل على

الجنب والحائض والنفساء وايجاب الطهارة ووقت العبادة وهذه كلها ليست موجودة في شريعة عيسى عليه السلام على ما تقول النصارى ونظائر ذلك كثير فان قيل ان بني العيص اخي يعقوب يدعون اخوة ايضا لبني اسرائيل عن بعد بعيد قلنا نعم ولكن لم يوجد فيهم نبي كموسى على انه في الباب الخامس والعشرين من سفر التكوين ما يثبت ان العيص وهو الولد الاكبر لاسحق قد باع بكوريته التي بها استحقاق منصب النبوة والبركة لاخيه يعقوب بقليل من الخبز والعدس وهو مشتد الجوع لامتناع اخيه يعقوب ان يطعمه مجانا فيلزم ان لا يكون في بنيه نبي اصلا على ما زعموا تنبيه في هذه البشارة اشارة الى كون هذا النبي اميا لا يقرأ حيث قال اجعل كلامي في فمه وبذلك تعرف سر وصفه به في قوله تعالى الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل

البشارة الرابعة في الباب الرابع عشر من انجيل يوحنا في النسخة المطبوعة في لندن سنة ١٨٦٠ قول عيسى عليه السلام مخاطبا لحواريه هكذا ١٥ (ان كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي ١٦ وانا اطلب من الاب فيعطيكم فارقليط آخر ليثبت معكم الى الابد ١٧ روح الحق الذي لن يطيق العالم ان يقبله لانه ليس يراه ولا يعرفه وانتم تعرفونه لانه مقيم عندكم وهو ثابت فيكم) هذه بشارة من المسيح عليه السلام بان الله تعالى سيبعث للناس من يقوم مقامه وينوب في تبليغ رسالته وسياسة خلقه

مثابه وتكون شريعته باقية مخلدة ابدا وهل هذا الا محمد صلى الله عليه وسلم والاب هنا بمعنى الربّ والاله وهذه اللفظة ليست منكرة الاستعمال عند اهل الكتابين بمعنى الرب والاله كما سبق ولم تزل بنوا اسرائيل يقولون نحن ابناء الله أي المطيعون له والمحبون وقد اشار عيسى عليه السلام بكونه روح الحق الى ان الحق قبل مبعثه يكون كالميت لاحراك له ولا انتعاش وانه اذا بعث يكون كالروح له فيرجع حينئذ قائما في الارض ولا خفاء انه عليه الصلاة والسلام هو الذى أحيى الله به الحق بعد عيسى عليه السلام بعد ما اندرس ولم يبق فيه نفس ثم قال (٢٦ والفارقليط روح القدس الذى يرسله الاب باسمى هو يعلمكم كل شئ وهو يذكركم كلما قلته لكم) ولا شك بان محمدا صلى الله عليه وسلم هو الذى علم كل شئ من الحقائق واوضح ما خفى من الدقائق وذكر أمة عيسى ما نسوه من اقواله المتضمنة انه عبد من عباد الله تعالى قربه اليه بالرسالة واصطفاه وانه لم يدع لسوى عبادة الله وتوحيده وتنزيهه وتمجيده وقوله باسمى اى بالنبوة ثم ابان لهم سبب اخبارهم به قبل ان يأتى فقال (والآن قد قلت لكم قبل ان يكون حتى اذا كان تؤمنون) وفى الباب الخامس عشر من الانجيل المذكور ٢٦ فاما اذا جاء الفارقليط الذى ارسله انا اليكم من الاب روح الحق الذى من الاب ينبثق هو يشهد لاجلى وانتم تشهدون لانكم معى من الابتداء وفى الباب السادس عشر منه (٧ لكنى اقول لكم الحق انه

خير لكم ان انطلق لانى ان لم انطلق لم يأتكم الفارقليط فاما ان انطلقت ارسلته اليكم ٨ فاذا جاء ذاك فهو يوبخ العالم على خطيئة وعلى بر وعلى حكم ٩ اما على الخطيئة فلانهم لم يؤمنوا بى ١٠ واما على البر فلانى منطلق الى الاب ولستم ترونى بعد ١١ واما على الحكم فان اركون هذ العالم قد دين ١٢ وان لى كلاما كثيرا اقوله لكم ولكنكم لستم تطيقون حمله ١٣ واذا جاء روح الحق ذاك فهو يعلمكم جميع الحق لانه ليس ينطق من عنده بل يتكلم بكل ما يسمع ويخبركم بما سياتى ١٤ وهو يمجدون لانه ياخذ مما هو لى ويخبركم جميع ما هو للاب فهو لى فمن اجل هذا قلت ان مما هو لى ياخذ ويخبركم) ومن معن انظر فى هذه العبارات ولاحظ ما اشتملت عليه من الفحاوى والاشارات جزم بان الفارقليط هو محمد صلى الله عليه وسلم فانه هو الذى ظهر بعد عيسى عليه السلام وشهد لعيسى بالنبوة والرسالة ومجده وبرأه مما افتراه عليه النصارى من دعوى الربوبيه ومما افتراه عليه اليهود من كونه ساحرا كذابا وعلى والدته من كونها غير طاهرة الذيل بريئة الساحة وهو الذى وبخ العالم سيما اليهود على الخطايا لاسيما خطيئة الكفر بعيسى عليه السلام والطعن فى والدته الطاهرة البتول وهو الامين الصادق الذى علم جميع الحقائق وهو الذى ابان من الاسرار مالم تطق تحمله قبل تجيئه الافكار وهو الذى لاينطق عن الهوى ان هو الا

وحى يوحى علمه شديد القوى قال العلامة الشيخ محمد السنوسى فى شرح الجزائرية فى هذا البحث ومعنى انطلاق عيسى عليه السلام الى ربه جل وعز انطلاقه الى محل كرامته ورفعته والاستراحة من الناس بتوجيه القلب الى محض الجولان فى جلال الله وعظمته على حد قوله تعالى فى القرآن له عليه الصلاة والسلام (انى متوفيك ورافعك الىّ ومطهرك من الذين كفروا) ومعنى ارساله نبينا صلى الله عليه وسلم انه يتسبب فى ذلك برغبته الى الله تعالى ولما علم ان بعث سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم انما يكون بعد رفعه وتغيبه عن الناس كان رفعه من امارات بعثه صلى الله عليه وسلم فاسند ارساله الى نفسه بهذا المعنى وفسر العلامة ابن قتيبة روح الحق الذى من الاب ينبثق اى يصدر بكلام الله المنزل واستدل بقوله تعالى وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا والمراد به هنا القرآن الكريم لانه هو الذى يشهد للمسيح بالنبوة والنزاهة عما افترى عليه وبانه روح الله وكلمته وصفيه ورسوله كما شهد الحواريون الذين كانوا معه واهتدوا بهديه ولم يثبت شهادة كتاب غير القران بذلك فتعين ان يكون هو المراد اقول وفى قول عيسى عليه السلام انه خير لكم ان انطلق لانى ان لم انطلق لم يأتكم الفارقليط اشارة الى ان نبينا عليه السلام افضل وقد اختلفت احبار النصارى فى معنى الفارقليط وفى انه اتى ام لم يأت بعد

والمشهور عندهم ان الفارقليط هو روح القدس احد الاقانيم وزعموا انه حل على الحواريين يوم الدار فصاروا يتكلمون بالسنة جديدة وهو قول باطل وعن حلية التحقيق عاطل لامور اولها ان روح القدس احد الاقانيم هو عندهم عبارة عن صفة الحياة الثابتة لله تعالى ويستحيل حلولها فى الحواريين وارسالها اليهم ثانيها ان روح القدس المذكور غير منفصل عن عيسى عليه السلام بزعمهم ولا مفارق والحال ان عيسى عليه السلام قد علق مجئ الفارقليط بذهابه فلو كان هو الفارقليط يلزم ان يظهر زمن وجود عيسى عليه السلام لا زمن ذهابه بخلاف نبينا عليه الصلاة والسلام فان مجيئه كان موقوفا على ذهاب عيسى عليه السلام لعموم رسالته ولكونه خاتم الانبياء ثالثها ان من اوصاف الفارقليط ان يذكر المخاطبين بما قال عيسى عليه السلام والحواريون شاهدوا احواله بابصارهم وسمعوا كلامه بآذانهم فيبعد ان ينسوا ذلك سيما وهم احرص الناس على حفظه فلا معنى لتذكيرهم بما قال عيسى عليه السلام بخلاف النصارى الموجودين فى زمن محمد صلى الله عليه وسلم فانهم اخذوا اقوال عيسى بالواسطة وقد دخلها التغيير والتبديل فهم احوج الناس الى من يذكرهم باقوال عيسى عليه السلام رابعها ان من اوصاف الفارقليط ان يوبخ العالم على عدم الايمان بعيسى عليه السلام والروح الذى نزل على الحواريين بزعم النصارى لم يكن كذلك اذ كان ارساله للحواريين فقط وهم

كانوا مؤمنين بعيسى عليه السلام ولا معنى حينئذ لتوبيخهم
خامسها ان من اوصاف الفارقليط ان يعلمهم كل شئ ويخبرهم
بما لم يخبرهم به عيسى عليه السلام لعدم اطاقة افكارهم حينئذ تحمله
والروح الذى نزل على الحواريين لم يخبرهم بشئ ولو اخبرهم
لروى عنهم لانه من اهم الاشياء بخلاف محمد صلى الله عليه
وسلم فانه علمهم كل شئ واخبرهم ببعض الاسرار التى لم تكن
فى شريعة عيسى عليه السلام وقد اعترضت علماء النصارى على
ما ادعينا بثلاثة وجوه الاول ان المخاطبين فى هذه البشارة هم
الحواريون فيلزم ان يظهر الفارقليط فى عهدهم ومحمد عليه
السلام لم يظهر فى زمانهم والجواب ان خطاب بعض الامة
يشمل جميعها حاضرها وآتيها ولا يجب ان يختص الخطاب
بالموجودين حالة المخاطبة والا لزم ان تسقط كثير من الاحكام
الشرعية الواردة بصورة الخطاب عن الناس الذين لم يكونوا
زمن النبى صلى الله عليه وسلم وهو ظاهر البطلان فخطاب
المسيح عليه السلام موجه فى المعنى لجميع امته وقد ظهر النبى
صلى الله عليه وسلم وهم موجودون فصح ذلك ولو كان الخطاب
مختصا بالحواريين غير شامل لغيرهم للزم منه ان يكون
الحواريون الآن احياء لانه قال انهم يثبت معكم الى الابد ولا
نظن ان احدا يدعى هذه الدعوى فظهر ان الخطاب لمجموع
الامة وهى ثابتة الى الابد لانه كلما انقرض منها جيل
خلفه غيره ومعنى بقاء النبى صلى الله عليه وسلم فيهم بقاء شرعه

وبنه وذكره الثانى ان انفا رقليط قد اطلق عليه روح القدس فيدل على انه غير محمد عليه السلام والجواب ان اطلاق روح القدس وروح الحق على كل نبى غير منكر عندنا وعندهم لصحة المعنى لان روح الشئ ما به حياته ونبينا عليه الصلاة والسلام يصح ان يقال عنه روح القدس اى روح الطهارة والكمال وروح الحق اى العدل والانصاف وشبه ذلك لان هذه الاشياء به ظهرت وحييت بل هو أولى ان يوصف بذلك من غيره الثالث انه وقع فى وصف انفا رقليط ان العالم لايراه ولا يعرفه ومحمد عليه السلام يعرفه كل احد والجواب ان هذا مؤول بالضرورة وهم احوج الناس الى تأويله لان ماوصف به اولا من الاوصاف يدل على انه يرى ويعرف فاذا لم يؤول حصل التناقض فى كلام المسيح وهو عندنا غير ممكن وها نحن نؤوله تبرعا منا وتفضلا فنقول المقصود من عدم رؤيته عدم رؤيته بعين البصيرة التى هى اهم وانفع وهم لم يروه بها وانما رأوه بعين البصر وهذا وارد فى حق المنكرين وانما صح اطلاق لفظ العالم عليهم لانهم الأكثر وقد ورد فى القرآن الكريم مايؤيد ماذكرنا قال تعالى وتراهم ينظرون اليك وهم لايبصرون والمقصود من عدم معرفته عدم معرفة كنه قدره العظيم الذى لاتحيط بعشره الاسفار و عدم الاحاطة بحقيقة فضله الذى تقف حسرى دونه الافكار

(وقد اشار الناظم لهذا المعنى فى البردة فقال)

وكيف يدرك فى الدنيا حقيقته * قوم نيام تسلوا عنه بالحلم

تنبيه قد انكر بعض علماء بني اسرائيل انتظارهم لنبي بعد عيسى عليه السلام ايتوصلوا لنفي نبوة نبينا عليه الصلاة والسلام واخال ان الانجيل يصرح بخلاف ذلك ففي الباب الاول من انجيل يوحنا اثبات انتظارهم لثلاثة اشخاص المسيح وايليا والنبي حيث ارسلوا بعضهم الى يحيي عليه السلام يسألونه هل هو المسيح او ايلياء او النبي وقد ثبت ان عيسى عليه السلام هو المسيح وقد شهد المسيح ليحيي انه هو ايليا كما يشعر به ما في الباب الحادي عشر من انجيل متى فبقي الثالث وهو النبي والالف واللام فيه للعهد اي النبي المعهود الذي اشار اليه موسى عليه السلام في المواضع التي ذكرناها في البشارات الثابتة في التوراة وقد انجز الوعد به بظهور نبينا خاتم الانبياء واول الاصفياء وعبارة الناظم قدس الله سره تشعر بان ايليا ايضا هو نبينا عليه الصلاة والسلام الا ان الجمع بين العبارات انما يكون بما اخترناه تنبيه هذه البشارة هي سبب اسلام الفاضل عبد الله الترجمان صاحب تحفة الاديب في الرد على اهل الصليب وكان ميلاده في مدينة ميورقه وصرف بها ستة عشر سنة من عنفوان شبابه في طلب العلم فحصل على نصيب وافر من العلوم العقلية والنقلية وكان مغرما بمطالعة الانجيل واقرائه والبحث عن خبايا معانيه ثم ارتحل الى مدينة من مدن لومبارديا من ايطاليا مشهورة بالعلم قال في كتابه المذكور فسكنت كنيسة كبيرة بها قسيس كبير السن وعندهم كبير القدر اسمه نقولا مرتيل وكانت منزلته بينهم بالعلم والدين

والزهد رفيعة جدا انفرد بها فى زمنه عن جميع اهل دين النصرانيه فكانت الاسئلة خصوصا فى دينهم ترد عليه من الآفاق من جهة الملوك وصحبة الاسئلة من الهدايا الضخمة ما هو الغاية فى بابه ويرغبون فى التبرك به وفى قبوله لهداياهم ويتشرفون بذلك فقرأت على هذا القسيس علم اصول دين النصرانية واحكامه ولم ازل اتقرب بخدمتى له والقيام بكثير من وظائفه حتى صيرنى اخص خواصه وانتهيت فى خدمتى وتقربى اليه الى ان وقع مفاتيح مسكنه وخزائن ما كله على يدى ولم يستثن منها سوى مفتاح بيت صغير بداخل مسكنه كان يخلو فيه بنفسه والظاهر انه بيت خزائن امواله التى تهدى اليه والله اعلم بحقيقة ذلك فلازمته على ماذكر من القراءة عليه والخدمة له عشر سنين ثم اصابه مرض يوما من الدهر فتخلف عن اقرائه وانتظره اهل المجلس وهم يتذاكرون مسائل من العلوم الى ان افضى بهم الكلام الى قول الله عز وجل على لسان نبيه عيسى عليه الصلاة والسلام انه يأتى من بعدى نبى اسمه البارقليط وقال كل واحد منهم بحسب علمه وفهمه وعظم بينهم فى ذلك مقالهم وكثر جدالهم ثم انصرفوا عن غير تحصيل فائدة فى تلك المسألة فاتيت مسكن الشيخ صاحب الدرس المذكور فقال لى ما الذى كان عندكم اليوم من البحث فى غيبتى عنكم فاخبرته باختلاف القوم فى اسم البارقليط وان فلانا قد اجاب بكذا واجاب فلان بكذا وسردت له اجوبتهم فقال لى وبماذا

اجبت انت فقلت بجواب القاضى فلان فى تفسيره الانجيل فقال لى ماقصرت وقربت وفلان اخطأ وكاد فلان ان يقارب ولكن الحق خلاف هذا كله لان تفسير هذا الاسم الشريف لايعلمه الا العلماء الراسخون فى العلم وانتم لم يحصل لكم من العلم الا القليل فبادرت الى قدميه اقبلهما وقلت له ياسيدى قد علمت انى ارتحلت اليك من بعيد ولى فى خدمتك عشر سنين حصلت عنك فيها جملة من العلوم لااحصيها فلعل من جميل احسانكم ان تكمل علىّ بمعرفة هذا الاسم الشريف فبكى الشيخ وقال ياولدى والله لتعزّ علىّ كثيرا من اجل خدمتك لى وانقطاعك الىّ وأنّ فى معرفة هذا الاسم فائدة عظيمة لكن اخاف ان يظهر ذلك عليك فتقتلك عامة النصارى فى الحين فقلت له ياسيدى والله العظيم وحق الانجيل ومن جاء به انى لااتكلم بشئ مما تسرّ به الاّ عن امرك فقال ياولدى انى سألتك فى اول قدومك الىّ عن بلدك وهل هو قريب من المسلمين يغزونكم وتغزونهم لأختبر ماعندك من المنافرة للاسلام فاعلم ياولدى ان البارقليط هو اسم من اسماء نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم وعليه نزل الكتاب الرابع المذكور على لسان دانيال عليه الصلاة والسلام واخبر انه سينزل هذا الكتاب عليه وان دينه دين الحق وملته هى الملة البيضاء المذكورة فى الانجيل فقلت ياسيدى وما تقول فى دين النصارى فقال ياولدى لو أنّ النصارى اقاموا على دين عيسى عليه الصلاة والسلام لكانوا على دين الله لأنّ

عيسى وجميع الانبياء دينهم دين الله فقلت ياسيدى وكيف الخلاص من هذا الامر فقال ياولدى بالدخول فى دين الاسلام فقلت له هل ينجو الداخل فيه فقال لى نعم ينجو فى الدنيا والآخرة فقلت له ياسيدى ان العاقل لايختار لنفسه الا افضل مايعلم فاذا علمت فضل دين الاسلام فما يمنعك عنه فقال لى ياولدى ان الله لم يطلعنى على حقيقة ما اخبرتك به من فضل دين الاسلام وشرف نبى اهل الاسلام الابعد كبر سنى ووهن جسمى ولا عذر لنا فيه بل حجة الله علينا قائمة ولو هدانى الله لذلك وانا فى سنك لتركت كل شئ ودخلت فى دين الحق وحب الدنيا رأس كل خطيئة فانت ترى ما انا فيه عند النصارى من رفعة الجاه والشرف وكثرة عرض الدنيا ولو انى ظهر على شئ من الميل الى دين الاسلام لقتلتنى العامة فى اسرع وقت وهب انى نجوت منهم وخلصت الى المسلمين واقول انى قد جئتكم مسلما فيقولون لى قد نفعت نفسك بالدخول فى دين الحق فلا تمن علينا بدخولك فى دين خلصت به نفسك من عذاب الله فابقى بينهم شيخا كبيرا فقيرا ابن تسعين سنة لاافقه لسانهم ولا يعرفون حقى فاموت بينهم بالجوع وانا الحمد لله على دين عيسى وعلى ماجاء به يعلم الله ذلك منى فقلت له ياسيدى افتدلنى ان امشى الى بلاد المسلمين وادخل فى دينهم فقال لى ان كنت طالبا للنجاة فبادر الى ذلك تحصل لك الدنيا والآخرة ولكن ياولدى هذا امر لم يحضره احد معنا الآن فاكتمه بغاية جهدك

وان ظهر عليك شئ منه تقتلك العامة حينئذ ولا اقدر على نفعك ولا ينفعك ان تنقل ذلك عنى فانى اجحده وقولى مصدق عليك وقولك غير مصدق علىّ وانا برئ من دمك ان فهت بشئ من هذا فقلت له ياسيدى اعوذ بالله من سريان الوهم لهذا وعاهدته بما ارضاه واخذت فى اسباب الرحلة وودعته فدعا لى بخير وزودنى بخمسين دينارا ذهبا وركبت البحر منصرفا الى بلدى مدينة ميورقة فاقمت بها ستة اشهر ثم سافرت منها الى جزيرة صقلية فاقمت بها خمسة اشهر وانا انتظر مركبا يتوجه لارض المسلمين فحضر مركب يسافر الى مدينة تونس فسافرت فيه من صقليه واقلعنا عنها قرب مغيب الشفق فوردنا مرسى تونس قرب الزوال فلما نزلت بديوان تونس وسمع بى الذين بها من احبار النصارى اتونى بمركوب وحملونى معهم وصحبتهم بعض التجار الساكنين ايضا بتونس فاقمت عندهم فى ضيافتهم على ارغد عيش اربعة اشهر وبعد ذلك سألتهم هل بدار السلطان احد يحفظ لسان النصارى وكان السلطان اذ ذاك مولانا ابا العباس احمد رحمه الله فذكروا لى أنّ بدار السلطان رجلا فاضلا من كبراء خدامه اسمه يوسف الطبيب وكان طبيبه ومن خواصه ففرحت بذلك فرحا شديدا وسألتهم عن مسكن هذا الرجل فدلت عليه واجتمعت به وذكرت له شرح حالى وسبب قدومى للدخول فى الاسلام فسرّ الرجل سرورا عظيما بذلك بان يكون تمام هذا الخير على يده ثم ركب فرسه واحتملنى معه لدار السلطان

ودخل عليه بمحدثي واستأذنه لى فأذن لى فمثلت بين يديه فاول ماسألني السلطان عن عمرى فقلت له خمسة وثلاثون سنة ثم سألني كذلك عما قرأت من العلوم فاخبرته فقال لى قدمت قدوم خير فأسلم على بركة الله تعالى فقلت للترجمان وهو الطبيب المذكور قل لمولانا السلطان انه لايخرج احد من دين ألا ويكثر اهله القول فيه والطعن عليه فارغب من احسانكم ان تبعثوا الى الذين بحضرتكم من تجار النصارى واحبارهم وتسألوهم عنى وتسمعوا مايقولون بجانبي وحينئذ اسلم فقال لى بواسطة الترجمان انت طلبت كما طلب عبدالله بن سلام من النبي صلى الله عليه وسلم حين اسلم ثم ارسل الى احبار النصارى وبعض تجارهم وادخلني فى بيت قريب من مجلسه فلما دخل النصارى عليه قال لهم ماتقولون فى هذا القسيس الجديد الذى قدم فى هذا المركب قالوا يامولانا هذا عالم كبير فى ديننا وقال شيوخنا مارأينا اعلى منه درجة فى العلم والدين فى ديننا فقال لهم ماتقولون فيه اذا اسلم فقالوا نعوذ بالله من ذلك هو مايفعل ذلك ابدا فلما سمع ماعند النصارى بعث الىّ فحضرت بين يديه وتشهدت بشهادة الحق بمحضر النصارى فصلبوا على وجوههم وقالوا ماحمله على الاسلام الا حب التزويج فان القسيس عندنا لايتزوج وخرجوا مكروبين محزونين انتهى كلامه بلفظه ثم انه تعلم اللغة العربية بامر ذلك السلطان والف هذا الكتاب

البشارة الخامسة فى الباب الحادى والعشرين من انجيل متى قول عيسى

عليه السلام هكذا (٣٣ اسمعوا مثلا آخر كان انسان رب بيت
غرس كرما واحاطه بسياج وحفر فيه معصرة وبنى برجا وسلمه
الى كرامين وسافر ٣٤ ولما قرب وقت الاثمار ارسل عبيده الى
الكرامين ليأخذ اثماره ٣٥ فاخذ الكرامون عبيده وجلدوا بعضا
وقتلوا بعضا ورجموا بعضا ٣٦ ثم ارسل ايضا عبيدا آخرين
اكثر من الاولين ففعلوا بهم كذلك ٣٧ فاخيرا أرسل أليهم ابنه
قائلا يهابون ابنى ٣٨ واما الكرامون فلما رأوا الابن قالوا فيما
بينهم هذا هو الوارث هلموا نقتله ونأخذ ميراثه ٣٩ فاخذوه
واخرجوه خارج الكرم وقتلوه ٤٠ فمتى جاء صاحب الكرم
ماذا يفعل باولئك الكرامين ٤١ قالوا له اولئك الأردياء يهلكهم
هلاكا رديا ويسلم الكرم الى كرامين آخرين يعطونه الاثمار فى
اوقاتها ٤٢ قال لهم عيسى اما قرأتم قط فى الكتب الحجر
الذى رفضه البناؤن هو قد صار راس الزاوية من قبل الرب
كان هذا وهو عجيب فى اعيننا ٤٣ لذلك اقول لكم ان ملكوت
الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل اثماره ٤٤ ومن سقط على
هذا الحجر يترضض ومن سقط هو عليه يسحقه ٤٥ ولما سمع
رؤساء الكهنة والفريسيون امثاله عرفوا انه تكلم عليهم) اقول هذا
المثل يدل باشارته على ارسال نبى عظيم بعد عيسى عليه السلام
من غير بنى اسرائيل وعلى ان امته تحافظ على شريعته
وتعمل بمقتضاها والنبى الذى ارسل بعد عيسى ليس هو
الا محمدا صلى الله عليه وسلم والامة التى عملت بمقتضى الشريعة

وعضت عليها بالنواجذ هى امته وقد اوضح هذا المثل وابان عما فيه من الاشارات بعض افاضل عصرنا فقال ان رب بيت كناية عن الله والكرم كناية عن الشريعة واحاطته بسياج وحفر المعصرة فيه وبناء البرج كناية عن بيان المحرمات والمباحات والاوامر والنواهى وان الكرامين الطاغين كناية عن بنى اسرائيل كما فهم رؤساء الكهنة والفريسيون والعبيد المرسلين كناية عن الانبياء عليهم الصلاة والسلام والابن كناية عن عيسى عليه السلام وقد عرفت ان هذا الاطلاق مجازى وقد قتله اليهود ايضا بزعمهم والحجر الذى رفضه البناؤن كناية عن محمد صلى الله عليه وسلم والامة التى تعمل اثماره كناية عن امته وهذا هو الحجر الذى كل من سقط عليه ترضض وكل من سقط هو عليه سحقه وانما كان عجيبا فى اعين بنى اسرائيل جعل الله تعالى نبينا عليه الصلاة والسلام راس الزاوية اى افضل الانبياء لانه كان من بنى اسماعيل وكان بنوا اسرائيل يزدرون بهم غاية الازدراء ولو كان هذا النبى الذى اشار اليه عيسى عليه السلام من بنى اسرائيل لم يكن موجبا لعجبهم لاعتقادهم انهم شعب الله الخاص وانهم افضل من غيرهم وفى قوله من سقط على هذا الحجر يترضض ومن سقط هو عليه يسحقه اشارة واضحة الى كون هذا النبى مأمورا بالجهاد وكونه منصورا على اعدائه وان من عاداه لايفلح

البشارة السادسة فى الباب العشرين من انجيل متى قول عيسى

عليه السلام هكذا ١ فأن ملكوت السموات يشبه رجلا
رب بيت خرج من الصبح ايستأجر فعلة لكرمه ٢ فاتفق مع
الفعلة على دينار فى اليوم وارسلهم الى كرمه ٣ ثم خرج نحو
الساعة الثالثة ورأى آخرين قياما فى السوق بطالين ٤ فقال
لهم اذهبوا انتم ايضا الى الكرم فاعطيكم مايحق لكم فمضوا
٥ وخرج ايضا نحو الساعة السادسة والتاسعة وفعل كذلك
٦ ثم نحو الساعة الحادية عشرة خرج ووجد آخرين بطالين
فقال لهم لماذا وقفتم هاهنا كل النهار بطالين ٧ قالوا له لانه
لم يستأجرنا احد قال لهم اذهبوا انتم ايضا الى الكرم
فتاخذوا مايحق لكم ٨ فلما كان المساء قال صاحب الكرم
او كيله ادع الفعلة واعطهم الاجرة مبتدأ من الآخرين الى
الاولين ٩ فجاء اصحاب الساعة الحادية عشرة واخذوا دينارا
دينارا ١٠ فلما جاء الاولون ظنوا انهم يأخذون اكثر فاخذوا
هم ايضا دينارا دينارا ١١ وفيما هم يأخذون تذمروا على
رب البيت ١٢ قائلين هؤلاء الآخرون عملوا ساعة واحدة
وقد ساويتهم بنا نحن الذين احتملنا ثقل النهار والحر ١٣ فاجاب
وقال لواحد منهم ياصاحب ماظلمتك اما اتفقت معى على دينار
١٤ فخذ الذى لك واذهب فانى اريد ان اعطى هذا الاخير
مثلك ١٥ اوما يحل لى ان افعل ما اريد بمالى ام عينك شريرة
لانى انا صالح ١٦ هكذا يكون الآخرون اولين والاولون
آخرين لان كثيرين يدعون وقليلين ينتخبون

فالآخرون الذين صاروا اولين هم امة محمد صلى الله عليه وسلم وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم نحن الآخرون السابقون وذكر صاحب اليواقيت في المواقيت حديثا بمعنى هذا المثل وعزى روايته الى البخاري وهو انما زمانكم فيمن سلف من قبلكم من الامم كما بين صلاة العصر الى غروب الشمس اوتي اهل التوراة التوراة فعملوا بها الى الظهر ثم عجزوا فاعطوا قيراطا قيراطا ثم اوتي النصارى الانجيل فعملوا به الى العصر ثم عجزوا فاعطوا قيراطا قيراطا ثم اوتينا القرأن فعملنا به الى غروب الشمس فاعطينا قيراطين قيراطين فقال اهل الكتاب اى ربنا اعطيت هؤلاء قيراطين قيراطين واعطيتنا قيراطا قيراطا ونحن اكثر عملا منهم فقال الله سبحانه وتعالى ذلك فضلي اوتيه من اشاء واذا دققت النظر بين معنى المثل المروى عن عيسى عليه السلام وبين معنى ماروى عن نبينا عرفت ان لا اختلاف بينهما اذ المقصود الأصلي منهما هو اثبات فضل الآخرين وهم امة محمد عليه الصلاة والسلام على الاولين وهم امم الانبياء الماضين في الثواب والاجر وتقدمهم عليهم في الأخذ وهو عبارة عن دخول الجنة قبل غيرهم وهو مفهوم منهما والامثال يراد بها التقريب

البشارة السابعة في الزمور الخامس والاربعين من مزامير داود عليه السلام هكذا (فاض قلبي كلمة صالحة انا اقول اعمالي للملك ٢ لساني قلم كاتب سريع الكتابة بهي في الحسن افضل من بني البشر ٣ انسكبت النعمة على شفتيك لذلك باركك الله

الى الدهر ٤ تقلد سيفك على فخذك ايها القوى بحسنك وجمالك ٥ استله وانجح واملك من اجل الحق والدعة والصدق وتهديك بالعجب يمينك ٦ نبلك مسنونة ايها القوى فى قلب اعداء الملك الشعوب تحتك يسقطون ٧ كرسيك يا الله الى دهر الداهرين عصى الاستقامة عصى ملكك ٨ احببت البر وابغضت الاثم لذلك مسحك الله الهك بدهن الفرح افضل من اصحابك ٩ المر والميعة والسليخة من ثيابك من منازلك الشريفة العاج التى ابهجتك ١٠ بنات الملوك فى كرامتك قامت الملكة عن يمينك مشتملة بثوب مذهب موشى ١٧ ويكون بنوك عوضا من آبائك وتقيمهم رؤساء على سائر الارض ١٨ ساذكر اسمك فى كل جيل وجيل من اجل ذلك تعترف لك الشعوب الى الدهر والى دهر الداهرين) قد اتفق اهل الكتاب على ان هذا المزمور بشارة بظهور نبى بعد داود عليه السلام موصوف بالاوصاف المذكورة فيه ولم يظهر الى هذا الحين عند اليهود نبى يكون موصوفا بالصفات المذكورة وادعت النصارى ان المشار اليه فى هذا المزمور هو عيسى عليه السلام وادعت علماء الاسلام قديما وحديثا ان المشار اليه هو محمد صلى الله عليه وسلم لانطباق جميع الاوصاف المذكورة فيه عليه اذ كان يفيض من قلبه كلمة صالحة وهى الشهادة بالتوحيد وكانت اعماله متجهة نحو الملك المتعال سبحانه وتعالى وكان لسانه قلما سريع الكتابة لفرط فصاحته وفيه اشارة الى كونه اميا لا يكتب ولا يقرأ لاستغنائه بالوحى عن قراءة كتب تجمع

بين الصحيح والسقيم والمعوج والمستقيم وبالحفظ الذى لايعتريه نسيان عن الكتابة بالبنان وكان بهيا فى الحسن افضل من بنى البشر وقد اقر الحكماء المنصفون قديما وحديثا بانه لم يأت بشر مثله فى الكمال ولم يأت بمثل ما اتى به من محاسن الخلال وهو القوى الذى كان سيفه على فخذه واستله ففتح وملك وملكه باق الى آخر الدهر وهو صاحب الحسن والجمال وهو الذى اجرى الحق ورأفة العدل بشريعته التى جمعت بين العدل والفضل وهو القوى الذى نبله مسنونة وقد رشق بها من عصى دينه الشريف من الكفار بعد تحديه لهم فتساقطت تحته الشعوب وكرسى ملكه يدوم الى دهر الداهرين وعصى الاستقامة عصى ملكه وهو الذى احب العدل وابغض الاثم وهو الذى مسحه الله تعالى بدهن البهجة افضل من رفقائه الانبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام وكانت منازله وثيابه تفوح منها الروائح الطيبة بل كانت الروائح الطيبة مخلوقة فى جسمه الطاهر تفضلا من الله تعالى الذى مسحه بدهن البهجة وارسله رحمة للعالمين ورسولا الى كافة الخلق اجمعين وكانت اصحابه الكرام اذا صافحوه تبقى رائحة المسك فى ايديهم المدة الطويلة وهو الذى خدمته بنات الملوك وتزوج بهن فقد كانت ام المؤمنين صفيه رضى الله عنها بنت حيى بن اخطب ملك اليهود فى الحجاز وكانت ام المؤمنين ام حبيبة رضى الله عنها بنت ابى سفيان من امراء العرب ورؤسائهم وقد اصدقها النجاشى ملك الحبشة

عن النبى صلى الله عليه وسلم اربعمائة دينار وماتت فى خلافة اخيها معاوية وهو الذى صار من اولاده سلاطين وامراء فى سائر الجهات وهو الذى هابته الملوك وارسلت اليه الهدايا وخضعت له الشعوب وهو الذى يذكر اسمه جيلا بعد جيل مع التعظيم والتبجيل وينضم الى اسم الله فى الذكر اذا قال المؤذن اشهد ويصلى عليه فى كل حين ومشهد وحيث ان الاوصاف الكائنة فى هذه البشارة موجودة فى نبينا عليه الصلاة والسلام حقيقة فهو المراد ولو حملت على عيسى عليه السلام لاحتيج الى ارتكاب المجاز والحال ان الحقيقة اذا امكنت لايعدل عنها الى المجاز كسل السيف مثلا فانه حقيقة بالنسبة الى نبينا عليه الصلاة والسلام فلا يوصف به غيره ممن لم يستل سيفا كسيدنا عيسى عليه السلام وكذلك اكثر الاوصاف الأخر تصدق على نبينا حقيقة ولاتصدق على عيسى عليه السلام فانه لم يكن له ابناء ولم يتزوج لابنات الملوك ولا بغيرهن ولم ترسل اليه الهدايا ولم تخضع له الشعوب بل تزعم النصارى ان اذل الطوائف وهم اليهود تسلطوا عليه ولم يكن فى زعمهم ذا فصاحة ولا ملاحة وان كنا نجزم بانه افصح اهل عصره واملحهم تنبيه فى قوله كرسيك يا الله الى دهر الداهرين التفات الى خطاب الله تعالى اشارة الى ان ملك النبى صلى الله عليه وسلم ملك نبوة ورحمة فله نسبة خاصة الى الله تعالى وقال بعض علمائهم الذين اسلموا ان الاسم الشريف هنا مترجم من لفظة الوهيم فى العبرانى بمعنى العظيم فتطلق على

لله تعالى وعلى العظماء من البشر فيكون تحريفا من المترجمين وتكون الترجمة الصحيحة لهذه الجملة هكذا كرسيك ايها العظيم الى دهر الداهرين فيكون المراد بالعظيم هو النبي عليه الصلاة والسلام ويكون الكلام جاريا على مقتضى الظاهر وهو الظاهر

البشارة الثامنة في المزمور التاسع والاربعين والمائة هكذا

١ (سبحوا الرب تسبيحا جديدا سبحوه في مجمع الابرار ٢ فليفرح بنوا اسرائيل بخالقهم وبنوا صهيون يبتهجون بملكهم ٣ فليسبحوا اسمه بالمصاف بالطبل والمزمار ويرتلوا له ٤ لان الرب يسر بشعبه ويشرف المتواضعين بالخلاص ٥ تفتخر الابرار بالمجد ويبتهجون على مضاجعهم ٦ تكبير الله في حلوقهم وسيوف ذات حدين في ايديهم ٧ ليصنعوا انتقاما في الأمم وتوبيخات في الشعوب ٨ ليقيدوا ملوكهم بالقيود واشرافهم باغلال من حديد ليصنعوا بهم حكما مكتوبا ٩ هذا المجد يكون لجميع الابرار) هذه البشارة في حق محمد صلى الله عليه وسلم قطعا لان الصفات المذكورة بها لا يمكن حملها على غير امته فهم الذين معهم السيوف ذات الشفرتين المنتقمون من جبابرة فارس وطغاة الروم وغيرهم وهم الذين قيدوا الملوك وساقوا اجلتهم في السلاسل والاغلال وهم الذين يبتهجون على مضاجعهم بذكر الله تعالى ويكبرونه في كل وقت

البشارة التاسعة في المزمور الحادي والسبعين من صفته انه يملك من البحر الى البحر ومن النهر الى اقاصي الارض وتجثو امامه الحبشة ويلحس اعداؤه التراب وتأتيه ملوك اليمن والجزائر

بالقرابين وتخضع له وتدين له الامم بالطاعة والانقياد لانه يخلص المضطهد البائس ممن هو اقوى منه وينقذ الضعيف الذى لاناصر له ويرؤف بالضعفاء والمساكين وينقذ انفسهم من الربا والظلم وانه يعطى من ذهب بلاد سبا ويصلى عليه فى كل وقت ويبارك عليه فى كل يوم ويكون مثل الزرع الكثير على وجه الارض وتطلع ثماره على رؤس الجبال كالذى تطلع من لبنان وينبت من مدينته مثل عشب الارض ويدوم ذكره الى الابد وان اسمه موجود قبل الشمس والامم كلها تتبرك به وتحمده هذه البشارة لايمكن صرفها عن محمد صلى الله عليه وسلم لوجود جميع الصفات المذكورة فيها فيه فهو الذى ملك مابين البحر الى البحر وما بين دجلة والفراة الى منقطع الارض وهو الذى جثت امامه الحبشة وخضعوا له لايمان ملكهم النجاشى به وكان اولا نصرانيا وهو الذى قدمت الملوك الهدايا الى اعتابه وهو الذى انقذ الانفس من الربا والظلم وناهيك بما ورد فى القرآن من الوعيد الشديد لآكل الربا وهو الذى اعطى من ذهب بلاد سبا من اليمن وهو الذى يدوم ذكره الى الابد وتتبرك به الامم وهو الذى كان اسمه موجودا قبل الشمس لم يمض عصر الا بشرت قومها به الانبياء ويمكن ان يراد بذلك انه هو نتيجة هذا الكون وغايته فهو سابق حكما وان كان لاحقا ظهورا وقد احسن من قال عن لسانه مشيرا الى هذا المعنى

وانى وان كنت ابن آدم صورة * فلى فيه معنى شاهد بابوتى

البشارة العاشره فى الباب الثانى والاربعين من كتاب اشعيا عليه

السلام هكذا ١ (هوذا عبدى الذى اعضده مختارى الذى
سرت به نفسى وضعت روحى عليه فيخرج الحق الامم ٢ لايصيح
ولا يرفع ولا يسمع فى الشارع صوته ٣ قصبة مرضوضة
لايقصف وفتيلة خامدة لايطفئ الى الامان يخرج الحق ٤ لايكل
ولاينكسر حتى يضع الحق فى الارض وتنتظر الجزائر شريعته
٥ هكذا يقول الرب خالق السموات وناشرها باسط الارض
ونتائجها معطى الشعب عليها نسمة والساكنين فيها روحا ٦
انا الرب قد دعوتك بالبر فامسك بيدك واحفظك واجعلك عهدا
للشعب ونورا للامم ٧ لتفتح عيون العمى لتخرج من الحبس
المأسورين من بيت السجن الجالسين فى الظلمة ٨ انا الرب
هذا اسمى ومجدى لا اعطيه لآخر ولا تسبيحى للمنحوتات ٩ التى
قد كانت اولاها قد اتت وانا مخبر ايضا بالاحداث قبل ان
تحدث واسمعكم اياها ١٠ سبحوا للرب تسبيحة جديدة حمده
من اقصى الارض ايها المنحدرون فى البحر وملؤه والجزائر
وسكانها ١١ لترفع البرية ومدنها صوتها الديار التى سكنها قيدار
لتترنم سكان سلع من رؤس الجبال ليهتفوا ١٢ ليعبدوا الله تعالى
ويخبروا بتسبيحه فى الجزائر

هذه البشارة فى حق محمد صلى الله عليه وسلم قطعا وهو المختار الذى
أيده الله تعالى ورضى عنه وانزل عليه الوحى وسعى فى اظهار دين الحق
من غير كلال ولا ملال وهو الذى انتظرت اهل الجزائر شريعته
التى عرفوا قبل ظهورها انها اشرف الشرائع لما رووه عن

الانبياء السالفين عليهم السلام وفتح بها العيون العمى واخرج
بها الناس من الظلمات الى النور وكان رؤفا رحيما وهو الذى اتى
بالتسبيحة الجديدة اى العبادة على النهج الجديد المعروف فى
الشريعة المحمدية ونشرها فى اقاصى الارض واهل الجزائر والمدن
والبرارى وهو الذى كان ساكنا فى مكة ديار جده قيدار بن
اسماعيل وبسببه ارتفع صوتها وهتف الناس بها من رؤس الجبال
بتمجيد الملك المتعال وفى ذلك اشارة الى الحج وقول الحجاج جهارا
لبيك اللهم لبيك لاشريك لك لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك
لاشريك لك تنبيه قد حرفوا بعض الجمل من هذه البشارة من ذلك
الجملة العاشرة فانها فى التراجم القديمة هكذا مشقح يحمد الله
حمدا جديدا من اقصى الارض ومشقح بمعنى محمد فى لغتهم لان
الشقح عندهم بمعنى الحمد ومع ذلك فلا يضرنا مافعلوا لعدم انطباق
بعض الصفات المذكوره فى هذه البشاره على غير نبينا عليه الصلاة
والسلام كالظهور من مكة ديار قيدار ابن اسماعيل فانه لم يظهر
نبى بعد اشعيا من مكة المكرمة غير نبينا عليه الصلاة والسلام
فتعين القصد والمرام البشارة الحادية عشر فى الباب الخامس
والثلاثين من كتاب اشعيا عليه السلام
تفرح البرية والارض اليابسة ويبتهج القفر ويزهر كالنرجس ٢
يزهر ازهارا ويبتهج ابتهاجا ويرنم يدفع اليه مجد لبنان بهاء كرمل
وشارون هم يرون مجد الرب بهاء الهنا ٣ شددوا الايادى المسترخية
والركب المرتعشة ثبتوها ٤ قولوا لخائفى القلوب تشددوا

لاتخافوا هوذا الهكم الانتقام يأتى جزاء الله هو يأتى
ويخلصكم ٥ حينئذ تنفتح عيون العمى واذان الصم ٦ حينئذ
يقفز الاعرج كالأيل ويترنم لسان الاخرس لانه قد انفجرت
فى البرية مياه وانهار فى القفر ٧ ويصير السراب اجما والمعطشة
ينابيع ماء فى مسكن الذئاب فى مربضها دار للقصب والبردى ٨
وتكون هناك سكة وطريق يقال لها الطريق المقدسة لا يعبر
فيها نجس بل هى لهم من سلك فى الطريق حتى الجهال
لايضل ٩ لايكون هناك اسد وحش مفترس لايصعد اليها لا يوجد
هناك بل يسلك المفديون فيها ١٠ ومفديو الرب يرجعون ويأتون
الى صهيون بترنم وفرح ابدى على رؤسهم ابتهاج وفرح يدركانهم
ويهرب الحزن والتنهد) اقول فى هذه البشارة اظهر اشارة الى بعثة
النبى صلى الله عليه وسلم وفرض الحج الى البيت الحرام فى مكة بدل
بيت المقدس وما يحصل فى طريق مكة من المياه والمصانع والقصور
والقلاع بعد ان كان مقفرا وانه يصير طريقا مقدسا لايمر به
الانجاس اى الكفار وانما يمر به الاطهار تنبيه من لاحظ ما تقتضيه
هذه الجمل عرف ان هذه البشارة يتعين صرفها الى مكة المكرمة
دون بيت المقدس لامور الاول ان بيت المقدس لم يكن واقعا فى
البرية بخلاف مكة الثانى ان طريق القدس يسلكه اهل الملل
المختلفة التى يكفر بعضها بعضا فلا يكون طريق الاطهار فقط لا
على تفسيرنا ولا على تفسير اهل الكتاب بخلاف طريق مكة
فانه لايسرى فيه سوى اهل ملة واحدة ومع ميل كثير عن

غير المسلمين الى رؤيتها لابتهيأ لهم ذلك الثالث ان صهيون جزء من القدس وقد شاع اطلاقها على القدس فلو كان المقصود هو بيت المقدس الكائن فى القدس لما صح ما فى الجملة العاشرة اعنى ومفديو الرب يرجعون ويأتون الى صهيون لان الرجوع الى صهيون يفيد انهم ذهبوا من صهيون الى غيرها وعادوا اليها وسترى مايؤكد لك ان المقصود مكة دون غيرها فى مواضع متعددة من كتاب اشعيا عليه السلام

البشارة الثانية عشر فى الباب التاسع من كتاب اشعيا الشعب السالك فى الظلمة ابصر نورا عظيما الجالسون فى ارض ظلال الموت اشرق عليهم نور * فالشعب السالك فى الظلمة الجالس فى ارض ظلال الموت هم العرب فى ايام الجاهلية لانهم كانوا فى ظلمة الكفر والنفاق وديجور الشقا والشقاق يعبدون الاصنام ولا يفرقون بين الحلال والحرام لم يأتهم بعد اسماعيل من يهديهم سوآء السبيل دأبهم قتل بعضهم بعضا وفعل ماتقضيه العداوة والبغضا ووقائعهم فيما بينهم مشهورة وفى التواريخ مسطورة فجاءهم محمد صلى الله عليه وسلم فازال عنهم بنور شريعته ظلمة الكفر والشقاق واطلع عليهم انوار الايمان والاتفاق فصاروا اهدى الامم واصبح عزهم اظهر من نار على علم وتمتعوا بالحياتين وفازوا بالحسنيين والذى يدل على ان هذه البشارة فى حق محمد صلى الله عليه وسلم ماذكر فى هذا الباب بعد ذلك من الاشارة الى خاتم النبوة الذى كان بين كتفيه ولم يثبت ذلك لاحد من الانبياء غيره وتص تلك

العبارة لانه يولد لنا ولد ونعطى ابنا وتكون علامة سلطانه على كتفه ويدعى اسمه عجيبا مشيرا الله مقتدرا أبا العالم الآتي رئيس السلام ليكثر سلطانه وسلامه ليس له فناء على كرسي داود وعلى مملكته يجلس ليقيمها ويعضدها بالانصاف والعدل منذ الآن والى الأبد انتهى ولا يخفى على منصف ان هذه الاوصاف هى اوصاف محمد صلى الله عليه وسلم فهو الذى على كتفيه علامة ملكه اى نبوته كما يوجد فى بعض التراجم القديمة وهو الذى يدعى باحسن الاسماء واغربها وهو محمد فانه لم يسم بهذا الاسم أحد قبله او المراد بالاسم خاتم الانبياء فأنه مما لم يدع به احد سواه ولا يمكن ان يدعى وهو المقتدر الذى سلطه الله على اعدائه وجعله حرزا لاوليائه وهو الذى ملك اصحابه مقر حكم داود وحكموا فيه بالعدل والانصاف ولم يزل حكم امته فيها الآن والى آخر الزمان وان ادعى اهل الكتاب انه ليس هو المراد بهذه البشارة فليبينوا احدا غيره فيه هذه الاوصاف لتكون اليه الاشارة

البشارة الثالثة عشر فى الباب الحادى والعشرين من كتاب اشعيا ٦ قال الرب اذهب اقم الحارس ليخبر بما يرى ٧ فابصر راكبين مقبلين احدهما على حمار والآخر على جمل فاصغى اصغاء شديدا ٨ ثم صرخ كاسد ايها السيد انا قائم على المرصد دائما فى النهار وانا واقف على المحرس كل الليالى ٩ واذا احدهما يجيب الآخر ويقول سقطت بابل وانكسرت

اصنامها والقيت على الارض) هذه البشارة صريحة الدلالة على محمد عليه الصلاة والسلام لانه هو راكب الجمل لامحالة ولان ملك بابل انما ذهب بنبوته وعلى يد اصحابه كما ان راكب الحمار هو عيسى عليه الصلاة والسلام وفى آخر هذا الباب اشارة الى قتال النبى عليه الصلاة والسلام لمشركى العرب وظفره بهم وذهاب شوكتهم

البشارة الرابعة عشر ما فى الباب التاسع عشر من كتاب حزقيل حيث ذكر اليهود وظهورهم وعزتهم وكفرانهم للنعم وعتوهم وشبههم بالكرمة ثم قال لم تلبث تلك الكرمة ان قطعت بالسخطة ورمى بها على الارض فاحرقت السمائم ثمرتها فعند ذلك غرس فى البدو وفى الارض المهملة العطشى غرس فخرجت من اغصانه الفاضلة نار فاكلت تلك الكرمة حتى لم يوجد فيها قضيب ولا يخفى ان ارض البدو والمهملة العطشى هى ارض العرب وغرس الله الذى غرسه هو محمد عليه الصلاة والسلام وقد اخزى الله به اليهود اهل الكفر والجحود

البشارة الخامسة عشر فى الباب الثالث من صحف حبقوق ٣ يأتى الله من تيمان والقدوس من جبل فاران السموات مضيئة بمجده والارض ممتلئة من حمده ٤ شعاعه يكون مثل النور ويده مظهر العزة والقدرة ٥ تسير المنايا امامه وتخرج الحمى من عند قدميه ٦ وقف ومسح الارض نظر فرجف الامم وتضعضعت الجبال القديمة وانحنت الآكام مسالك الأزل له)

اقول ان المراد باتيان الله تعالى من جبل فاران التى هى من ارض الحجاز هو مجئ نبينا صلى الله عليه وسلم منه وارساله فيه من حضرة القدوس جل شأنه اذ اتيان الله تعالى حقيقة محال كما تقرر فى علم الكلام على ان العبارات المذكورة فى هذا الباب تعين ان المراد التبشير بظهور نبى يؤمر بالجهاد واذلال اهل العتو والفساد ويكون منصورا مؤيدا قاهرا للاعداء ذوى الاعتداء ولم يظهر فى الحجاز من هو كذلك غير محمد عليه الصلاة والسلام فتعين القصد والمرام تنبيه ان هذه البشارة نقلناها عن النسخة المترجمة فى عصرنا كما هو عادتنا ليتجه الالزام ولا يبقى للمعارض كلام وهى فى النسخة التى كانت فى زمن الناظم قدس سره هكذا جاء الله من التيمن وظهر القدوس من جبال فاران وقد اضاءت السماء من بهاء محمد وامتلأت الارض من حمده فتزيد هذه العبارة على العبارة السابقة التصريح باسمه الكريم الا انا فى غنية عن الاستدلال بها لما عرفت من ان الالزام انما يتيسر بالعبارة التى يقرون بها ولكون ما فى النسخة الحديثة المترجمة كافيا لنا فى اثبات المقصود وبذلك مع ما سبق ويأتى تعلم ان اهل الكتاب يعرفون نبينا كما يعرفون ابناءهم ومن انكر نبوته منهم اما جاهل بكتابه او متجاهل وقد ذكر العلامة ابن ظفر فى كتابه خير البشر بخير البشر بشارة ثانية نقلا عن هذا الكتاب أعرضنا عن ذكرها صفحا لعدم تعرض الناظم لها ولحذفهم لها فيما حذفوه من هذا الكتاب لزعمهم انه قد ادخل فيه اشياء ليست

من الاصل ولا ادرى ما الذى دلهم على انها ليست من الاصل وكيف تيسر ادخال ما ليس من الاصل فى نسخهم الموجودة فى ايديهم اذ ذاك واخشى ان يأتى زمن تحذف فيه هذه البشارة الموجودة فى النسخة الحديثة بمثل هذا الزعم

البشارة السادسة عشر ماذكر فى الباب الثانى من صحف دانيال عليه السلام من رؤيا رآها بختنصر وتفسير دانيال لها وحاصل ذلك ان بختنصر رأى فى المنام صنما جسيما مرتفع القامة مهول المنظر واقفا امامه وكان رأس هذا الصنم من ذهب ابريز وصدره وذراعاه من فضة وبطنه وفخذاه من نحاس وساقاه من حديد وقدماه قسم منهما من حديد وقسم من خزف وبينما هو ينظر اليه اذ قطع حجر بغير يدين وضرب الصنم على قدميه فسحقهما فانسحق الصنم كله حتى اختلط ذهبه وفضته ونحاسه وحديده وخزفه وصارت هذه كغبار البيدر فى الصيف فحملتها الريح فلم يوجد لها اثر ثم ان الحجر الذى ضرب الصنم ربا وعظم وصار جبلا عظيما ملأ الارض كلها فانزعج بختنصر لهذه الرؤيا وفزع فزعا عظيما ولما افاق من الرقاد لم تبق فى ذهنه فطلب العرافين والسحرة الذين عنده وطلب منهم ان يخبروه بها فقالوا له هذا تكليف ما لا يطاق انا لا نعلم نحن ولا احد الغيب وانما نعلم تفسيرها ان انبأتنا بها فغضب غضبا شديدا وقال اذا لم تخبرونى بما رأيت لم يظهر لى ان تفسيركم للحلم صحيح وعزم على قتلهم فاخبره ناس من خواصه بدانيال عليه السلام وعلمه ومعرفته وكان اسيرا هناك فاحضره فاخبره دانيال

بما رأى وفسر له الصنم بدول تظهر متتابعة مختلفة فى الضعف والقوة بعضها يشبه الذهب وبعضها يشبه الفضه وبعضها يشبه الحديد وبعضها يشبه النحاس وبعضها يشبه الحديد والخزف من جهتين وابان له عن حال كل دولة منها من الضعف والقوة والاختلال والانتظام والنقص والكمال ثم قال دانيال وهو محل الشاهد وفيه البشارة وفى ايام هذه الممالك يقيم اله السموات مملكة لن تنقرض ابدا وملكها لايترك لشعب آخر وتسحق وتفنى كل هذه الممالك وهى تثبت الى الأبد لانك رأيت انه قد قطع حجر بغير يدين فسحق الحديد والنحاس والذهب والفضة والخزف الله العظيم قد عرف الملك ماسيأتى بعد هذا الحلم حق وتعبيره يقين فانظر ايدك الله بتوفيقه الى هذه البشارة الواضحه فى حق محمد عليه الصلاة والسلام فانه هو الذى بعث فى آخر الزمان الى جميع الامم وظهر عليها كلها وخلط بين اجناسها وجعلها على اختلاف اديانها ولغاتها جنسا واحدا على لغة واحدة اذ كلهم يقرؤن القرآن بلغة العرب ويدينون بدين واحد وهو الذى ملكه ابدى اذ المقصود هنا انه خاتم الانبياء فلا يأتى من ينسخ احكام شرعه الذى عبر عنه بالملك الالهى تنبيه قد اشار المصنف الى عبارة اخرى منقولة عن دانيال لم اقف عليها فى النسخة المتداولة الآن تدل على ان نبينا عليه الصلاة والسلام نبى صادق وبالحق ناطق وهى ان دانيال بعد ان نعت الكاذبين الذين يفترون على الله الكذب قال لاتمتد دعوتهم ولا يتم قربانهم واقسم الرب بساعده

لايظهر الباطل ولا تقوم لمدع كذاب دعوة اكثر من ثلاثين سنة ولاشك ان هذه العبارة تدل على صدق نبينا عليه الصلاة والسلام اذ دعوته قد مضى عليها اكثر من الف وثلاثمائة سنة وهى قائمة ظاهرة فلو كان غير صادق لم تمتد دعوته اكثر من ثلاثين سنة على ماتقتضيه عبارة دانيال عليه السلام وانظر الى حال مسليمة الكذاب يرتفع عنك الشك والارتياب فانه لما ادعى النبوة زورا وبهتانا محى الله اثره واثر انصاره وعجل على يد الصحابة الكرام بدماره

البشارة السابعة عشر فى الباب الاول من صحف ارميا عليه السلام هكذا قبل ان اصورك فى الحشا عرفتك وقبل ان تخرج من الرحم قدستك وجعلتك نبيا للشعوب اقول الذى يظهر ان الناظم النحرير اراد بقوله وارم العدى ببشائر عن ارميا هذه البشارة وجعلها فى حق نبينا عليه الصلاة والسلام الا ان ذلك غير ظاهر بالنظر للنسخة المتداولة لكون هذه العبارة مكتنفة بعبارات تدل على انها فى حق نفس ارمياء عليه السلام

البشارة الثامنة عشر مافى الباب الرابع والخمسين من صحف اشعيا عليه السلام من خطاب مكة حيث يقول

سبحى ايتها العاقر التى لم تلد انشدى بالحمد وهللى ايتها التى لم تمخض لان الكثيرين من بنى الوحشة افضل من بنى ذات البعل قال الرب ٢ اوسعى موضع خيمتك وابسطى سرادق مساكنك لاتشفقى أطيلى اطنابك وثبتى اوتادك ٣ لانك

تعدين الى اليمين والى اليسار ويرث نسلك الامم ويعمر المدن
الخربة ٤ لاتخافي لانك لاتخزين ولاتخجلي فانك لاتستحيين فانك
تنسين خزي صباك وعار ترملك لاتذكرينه بعد ٥ لان وليك
هو صانعك الذي اسمه رب الجنود ومنقذك هو قدوس
اسرائيل الذي يدعى اله كل الارض ٦ لانه كامرأة مهجورة
وحزينة النفس دعاك الرب وكزوجة الصبا اذا تركت قال الهك ٧
لحظة تركتك وبمراحم عظيمة سأجمعك ٨ في ساعة الغضب حجبت
وجهي عنك لحظة وبالرحمة الأبدية ارحمك قال وليك الرب ٩ كما
اقسمت بنفسي ايام نوح ان لااعيد الطوفان على الارض كذلك
اقسمت اني لااسخط عليك ولا ازجرك ١٠ فان الجبال تزول
والآكام تتزعزع اما احساني فلا يزول عنك وعهد سلامي
لايتزعزع قال راحمك الرب ١١ ايتها الذليلة المضطربة
هاانا ذا ابني بالجص حجارتك وازينك بالجوهر ١٢ واكلل باللؤلؤ
سقفك واجعل ابوابك حجارة بهرمانية وكل حدودك حجارة كريمة ١٣
وكل ابنائك من اولياء الله وكثرة السلام لهم ١٤ بالبر
تؤسسين وتبعدين عن الظلم فلا تخافين وعن الارتياع فلا يدنو
منك ١٥ هاياتي الجار الذي لم يكن معي والذي قد كان غريبا
فيقترب اليك ١٦ هاانا قد خلقت الحداد الذي ينفخ الفحم في
النار ويخرج آلة لعمله واني خلقت المهلك ليخرب ١٧ كل آلة
صورت ضدك لاتنجح وكل لسان يقوم عليك بالخصومة تحكمين
عليه هذا هو ميراث عبيد الرب وبرهم من عندي يقول الرب

اقول هذا خطاب لمكة وعدها الله تعالى فيه بان يجعل كثيرين من بنيها بنى الوحشة وهم العرب افضل من بنى ذات البعل وهم بنوا اسرائيل وان يظفرهم بالامم ويجعلها ملكا لهم وارثا وان يوفقهم لعمارة المدن الخربة وان لايخزيها ولا يخجلها ولايخيفها ويمنع السلاح من ان يعمل بها ويهلك كل من قصدها بسوء وان يغمرها بالرحمة ولا يسخط عليها اصلا وان يسخر لها من يبنيها بالحجارة الثمينة ويزينها بالجواهر ويدعوا اهلها اهل الله ويجعل عليهم السلام والامان وامرها بالتسبيح والتهليل وانشاء الشكر على ماقدر لها فى سابق الازل وقد ظهر مصداق جميع ذلك فى حق مكة المكرمة بظهور محمد عليه السلام فانه بظهوره صارت مكة واسعة الرحاب ممدودة الاطناب بعيدة عن الظلم والوجل لايلحقها العار والخجل تأوى اليها الغربا فينالون بها من خيرى الدارين اربا وكل من التجأ اليها عصم وكل من قصدها بسوء قصم وصارت مقر الرحمة التى لاتزول ومظهر النعمة التى لاتحول لايعمل فيها سلاح ولا يعضد مافيها من الشجر فضلا عن ذوات الارواح وصار بناؤها متينا مستكمل الظرف قيد اللب والطرف مزينا بالجواهر واللآلى يضئ بها اضاءة النجوم فى الليالى وصار اهلها افضل من بنى اسرائيل واهدى الى اقوم سبيل وملكوا المشارق والمغارب والامم على اختلاف الاديان والمذاهب وعمروا المدن التى اشرفت على الخراب ورفعوا بالعدل كل ظلم واضطراب وهل يوجد محل غير مكة بهذه الاوصاف ليكون فى المسئلة خلاف كلا بل

لايمكن تطبيق هذه الاوصاف على غير مكة الا بتكلف شديد
وركه وانما سمى مكة بالعاقر لعدم وجود نبى بها فى ذلك الزمن
وانما سمى العرب بنى الوحشة لعدم سكناهم المدن واختلاطهم بالامم
اذ ذاك وقد سمى جدهم اسماعيل فى التوراة وحش الناس لذلك
ولا يصح ان يكون الخطاب موجها للقدس لعدم كونها عاقرا
لكثرة من ظهر بها من الانبياء فى ذلك العصر وبعده ولسكنى أهلها المدن
واختلاطهم بالامم ولعدم ظهور مصداق هذه المواعيد الى الآن
بخلاف مكة المكرمه وحيث عرفت ان هذا الخطاب فى حق مكة
وان البشارات التى بشرت بها انما حصلت على يد محمد عليه
الصلاة والسلام ظهر لك ان هذه بشارة به معنى

البشارة التاسعة عشر ما فى الباب الستين من صحف اشعيا عليه
السلام فى خطاب مكة ايضا هكذا

١ قومى فاضيئ فانه قد آن ضياؤك وكرامة الرب ظهرت
عليك ٢ لان الظلمة قد غطت الارض والظلام الدامس الامم
اما عنك فتجلى وتجلى عليك كرامة الرب ٣ فتسير الامم فى نورك
والملوك فى ضياء اشراقك ٤ ارفعى عينيك حواليك وانظرى
قد اجتمعوا كلهم جاؤ واليك يأتى بنوك من بعيد وتحمل بناتك
على الايدى ٥ هنالك تستضيئين وتفرحين لانه تتحول اليك
ثروة البحر ويأتى اليك غنى الامم ٦ قوافل الجمال تغشاك نجائب
مدين وعيفا كلها تأتى من سبأ تحمل ذهبا ولبانا وتبشر بتسابيح
الرب ٧ كل غنم قيدار تجمع اليك سادات نبايوت تخدمك تصعد

مقبولة على مذبحى وازين بيت جمالى ٨ من هؤلاء الطائرون
كالسحاب وكالحمام الى بيوتها ٩ ان الجزائر تنتظرنى وسفن البحر
فى الاول لآتى باولادك من بعيد وفضتهم وذهبهم معهم لاسم الرب
الهك وقدوس اسرائيل لانه قد مجدك ١٠ وبنوا الغرباء يبنون
اسوارك وملوكهم يخدمونك لانى بغضبى ضربتك وبرضوانى
رحمتك ١١ وتنفتح ابوابك دائما نهارا وليلا لاتغلق ليؤتى اليك
بغنى الامم وتقاد ملوكهم ١٢ لان الامة والمملكة التى لاتخدمك
تبيد وخرابا تخرب الامم ١٣ مجد لبنان ياتى اليك الآبنوس والبقس
والصنوبر جميعا لزينة بيت مقدسى واجد موضع رجلى ١٤
وبنوا الذين قهروك يسيرون اليك خاضعين وكل الذين اهانوك
يسجدون لدى باطن قدميك ويدعونك مدينة الرب صهيون
قدوس اسرائيل ١٥ عوضا عن كونك مهجورة ومبغضة
لايجوز بك احد اجعلك فخرا ابديا فرحا جيل فجيل ١٦ وترضعين
لبان الامم وترضعين ثدى الملوك وتعرفين انى انا الرب مخلصك
ووليك عزيز يعقوب ١٧ عوضا عن النحاس آتى بالذهب
وعوضا عن الحديد آتى بالفضة وعوضا عن الخشب بالنحاس
وعوضا عن الحجارة بالحديد واجعل وكلاءك سلاما وولاتك
عدلا ١٨ لايسمع بعد ظلم فى ارضك ولاخراب او سحق فى
تخومك بل تسمين اسوارك خلاصا وابوابك تسبيحا ١٩ لاتكون
من بعد لك الشمس لضوء النهار ولا ينيرك نور القمر بل يكون
الرب لك نورا ابديا والهك زينتك ٢٠ ولا تغرب ايضا شمسك

ولا ينقص قمرك لان الرب يكون لك نورا ابديا وتزول ايام بكائك
٢١ وشعبك كلهم ابرار يرثون الارض الى الابد نبت غرسي
عمل يدي لأتمجد ٢٢ الاصغر يكون لألف والصغير لأمة قوية
جدا انا الرب في زمانه اصنع هذه بغتة

اقول هذا الخطاب كالخطاب في البشارة السابقة يجب صرفه الى مكة المكرمة وهو ابعد عن التأويل مما في البشارة السابقة الا تسمع ألى ذكر قيدار وهو ابن اسماعيل أبي العرب والى ذكر نبايوت وهو نبت ابن قيدار والى ذكر قوافل الجمال وهي ليست لغير العرب والى ذكر سبا وهو من بلاد اليمن التي هي جزء من بلاد العرب وقوله مدينة الرب هو كقولنا حرم الله وقوله كل غنم قيدار تجمع اليك تصريح بذكر الهدايا المجلوبة اليها في ايام الحج وقوله سادات نبايوت يخدمونك يريد سدنة الكعبة وهم من ولد نبت ابن قيدار واذا ظهر لك ان كثيراً من الاوصاف المذكورة في هذه البشارة لايوجد في القدس اذ لاتجتمع فيه جميع غنم قيدار ليكون منها القربان ولا تخدم فيه سادات نبايوت ولا تقصده قوافل الجمال من بلاد اليمن تحمل ذهبا ولبانا وتبشر بتسابيح الرب ولا ورثت اهله الارض سنة فضلا عن انهم يرثونها الى الابد ولم يسمع بان اصغرهم صار لالف وصغيرهم لامة قوية جدا بل الذي سمع وثبت انهم كانوا ولم يزالوا ميراثا لغيرهم وتحت حكمهم وقهرهم ظهر لك ان المراد بصهيون هي مكة المكرمة بطريق الاستعارة لعلاقة المشابهة اذ

كل منهما من المعاهد المقدسة والمشاهد التى هى على التقوى مؤسسة يضاعف فيهما ثواب الاعمال ويبلغ الداعى فيهما اقصى الآمال والقرينة ما ذكرنا من عدم وجود كثير من الاوصاف المذكورة فى هذا الباب فى صهيون التى هى من ارض القدس وفى هذا المجاز سر بديع وهو الاشارة الى أن مكة بعد ظهور محمد عليه الصلاة والسلام هى بمنزلة القدس قبل ظهوره وانهم اذا زاروها فكانما زاروا القدس تلبينا لعريكتهم التى هى اقسى من الحجارة ولو اريد بصهيون معناها الحقيقى لكانت هذه العبارات غير مطابقة للواقع وهو محال لامتناع الكذب فيما يروى عن الانبياء و الرسل البشارة العشرون قول شمعون عليه السلام جاء الله بالبيان من جبال فاران وامتلأت السموات والارض من تسبيحه وتسبيح امته

اقول ان كتاب شمعون ليس من الكتب المتداولة الآن بينهم على ان هذه البشارة هى فى معنى بشارة موسى عليه السلام المار ذكرها اعنى قوله جاء الرب من سينا و اشرق لنا من ساعير واستعلن من جبال فاران ومعه الوف الاطهار فى يمينه سنة نار هذا و فى كتبهم بشائر اخرى تعرض لذكرها بعض العلماء وقد اقتصرنا على ما ذكر المصنف روما للاختصار ولكونه كافيا لاولى الابصار

تنبيه مهم لم اورد ما اوردت هنا من المطالب الثلاث الا ليكون المبتدى على بصيرة من الامر اذا اتى سوفسطائيا من اهل الكتاب يتعرض له ويريد ان يحول بينه و بين الصواب

او رأى كتابا من الكتب المؤلفة فى الرد على اهل الاسلام التى يصرفون الوف الالوف عليها لاضلال العوام ليعلم المبتدى ان دين الاسلام هو الدين الصحيح والحق الصريح وان الشبه التى يلقيها المنكرون هى وهم محض لا تظهر له زبدة عند المخض ولم اورده لايقاد نار الجدال فانها تخرج المرء عن الاعتدال وتورث الاحقاد ولا تنتج المراد وقد نهينا اشد النهى عن ايذاء اهل الذمة وان ندخل عليهم الغمة وقد ورد ان لهم ما لنا وعليهم ما علينا فاوصى من يطالع هذا الكتاب بان يجعل ما تضمنه هذه المباحث فى خزانة الضمير الا اذا ابتدى وعليه اعتدى ولا يظهر ما عنده الا للمقابلة لكن بشرط ان لا يخرج عن دائرة قول من انعم عليه بالهدى واحسن ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتى هى احسن وهو الهادى الى الصواب واليه المرجع والمآب

(قال الناظم لازالت تبل ثراه غيوث المراحم)

فاعدل الى مدح النبى محمد * قولا غدا عن غيره معدولا
فاذا حصلت على الهدى بكتابه * لا تبغ بعد لغيره تحصيلا
ذكر به ترقى الى رتب العلى * فتخال حامل آيه محمولا
فتلق ما تستطيع من انواره * أن كان رأيك فى الفلاح اصيلا
فلو استمد العالمون سيوله * مدتهم القطرات منه سيولا
ولربما القى عليك بيانه * قولا من الحق المبين ثقيلا
يذر المعارض ذا الفصاحة ألكنا * فى قوله واخا الحجا مخبولا
لا تنصبن له حبال معاند * فترى بكفة آفة محبولا

ان كنت تنكر معجزات محمد * يوما فكن عما جهلت سؤولا
شهدت له الرسل الكرام واشفقوا * من فاضل يستشهد الفضولا
وحنين جذع النخل و العام الذى * غرس الودى به فصرن نخيلا
والوحش والشجر التى سجدت له * اغصانها وكفى بهن عدولا
والله عزز الاثنين بثالث * منه فجردت الجريد نصولا
والجن والاملاك والسحب التى * سارت خفافا والرياح قبولا
قارنت ضوء النيرين بنوره * فرأيت ضوء النيرين ضئيلا
ونسبت فضل العالمين لفضله * فنسبت منه الى الكثير قليلا
واراني الزمن الجواد بجوده * لما وزنت به الزمان بخيلا
مازال يرقى فى مواهب ربه * وينال فضلا من لدنه جزيلا
حتى غدى اغنى الورى واعزهم * ينقاد مفتقرا اليه ذليلا
بث الفضائل فى الوجود فمن يرد * فضلا يزده بفضله تفضيلا
كالشمس لاتغنى الكواكب جملة * فى الفضل مغناها ولا تفصيلا
سل عالم الملكوت عنه فخيرما * سأل الخبير عن الجليل جليلا
فمن المخبر عن علي من دونها * نلت البراق واخرت جبريلا
اذ لا العبارة تستقل بحمل ما * راح النبى له هناك حمولا
فاسمع شمائله التى ذكرى لها * قدكاد تحسبه العقول شمولا
انى لاورد ذكره لتعطشى * فاخال انى قد وردت النيلا
والنيل يذكرنى كريم بنانه * فاطيل من شوقى له التقبيلا
من لى بانى من بنان محمد * بالاثم نلت المنهل المعسولا
من راحة هى فى السماحة كوثر * لكن واردها يزيد غليلا

سارت بطاعتها السحاب كانما * امرت بما تختار ميكائيلا
واظنه او لم يرد اقلاعها * لاتت بسيل ما يصيب مسيلا
او ما ترى الدين الحنيف بسيفه * جعل الظهور له دما مطلولا

يا رحمة للعالمين الم تكن * طفلا لضر العالمين مزيلا
اذ قام عمك فى الورى مستسقيا * بك سائلا اجرى الغيوث سيولا
فسقوا بيمنك در كل سحابة * كادت تجر على البطاح ذيولا
ورفعت عام الفيل عنهم فتنة * القيت فيها التابعين الفيلا
بسحائب الطير الابابيل التى * جادتهم مطر الردى سجيلا
ففدوك مولودا وقيت نفوسهم * شيبا وشبانا يفعا وكهولا
حتى اذا ما قمت فيهم منذرا * ابدوا اليك عداوة وذحولا
فكفيتهم فردا بعزم ما انثنى * عنهم وحسن تصبر ما عيلا
ووكلت امرك للاله وبالها * ثقة بنصر من اتخذت وكيلا
وطفقت يلقاك الصديق معاديا * والسلم حربا والنصير خذولا
ودعوتهم بالبينات من الهدى * وهززت فيهم صارما مسلولا
واقمت بين رضى الاله وسخطهم * زمنا تسيغ العلقم المغسولا
واقمت لا تنفك تتلو آية * فيهم وتحسم بالحسام اثيلا
واقمت ذلك العضب فيهم قاضيا * ونصبت تلك البينات عدولا
حتى اقتضى بانصر دينك دينه * وغدا الدين الكافرين مزيلا
وعنت لدعوتك الملوك ولم تزل * برا رحيما بالضعيف وصولا
لم تخش الا الله فى امر ولم * تملك طباعك عادة فتحولا

الله اعطى المصطفى خلقا على * حب الاله وخوفه مجبولا
علم البرية عدله فصديقه * وعدوه لايظلمون فتيلا
واذا اراد الله حفظ وليه * خرج الهوى من قلبه معزولا
عرضت عليه جبال مكة عسجدا * فابى لعفته وكان معيلا
ركب الحمار تواضعا من بعد ما * ركب البراق السابق المذلولا
داع بامر الله اسمع صوته الثقلين حتى ظن اسرافيلا
لم يدعهم الا لما يحييهموا * ابدا كما يدعو الطبيب عليلا
تحدو عزائمه البعاد كانما * صحبت عزائمه القصار سبيلا
يهدى الى دار السلام من اتقى * وغدا بنور كتابه مكحولا
ويظل يهدى للجحيم بسيفه * ممن عصى بعد القتيل قتيلا
حتى يقول الناس اتعب مالكا * بحسامه واراح عزرائيلا
فالارض طهرها بصارمه الذى * جعل الطهور لها دما مطلولا
اعذرني انى مطيل مديحه * من عد موج البحر عد طويلا
ان امرأ متبتلا اثنائه * متبتل لالهه تبتيلا
فاذا على من مد حبل مدائح * منه بحبل مودة موصولا
اتقنت من اخلاص ودى مدحه * واخذت فيه لبابه المنخولا
قيدته بالنظم الا انه * سبق الجياد الى العلى مشكولا
واضاءت الايام من انواره * اذ حليت غررا له وحجولا
انى امرؤ قلبي يحب محمدا * ويلوم فيه لائما وعذولا
أأحبه واملّ من ذكرى له * ليس المحب لمن يحب ملولا
من خلقه القرآن جل ثناؤه * عن أن يكون حديثه مملولا

ياليتني من معشر شهدوا الوغى * معذزما نا فى الكفاح طويلا
فأقوم فيه بقول وبصارم * ابدا قؤولا فى رضاه فعولا
طورا بقافية يريك ثباتها * كف الردى عن عرضه مشاولا
وبضربة يدع المدجج وترها * شفعا كما شاء الردى مجدولا
وبطعنة حكت السنان فثلت * عينا لعينك فى الكمى كحيلا
فى موقف غشى اللحاظ فلا يرى * لحظ به الا قناة ميلا
فرشفت من فيه زلالا باردا * ولثمت خد السيف فيه أسيلا
والخيل تسبح فى الدماء وتتقى * ايدى الكماة من النجيع وحولا
فاطرب اذا غنى الحديد فخيرما * سمع المشوق الى النزال صليلا
تالله يثنى القلب عنه ما ثنى * خوف المنية عامرا وسلولا
ايضن عنه بماله وبنفسه * صب يرى لهما الفوات حصولا
فلأقطعن حبال تسويفى التى * منعت سواى الى حماه وصولا
ولأزجرن النفس عن عاداتها * ولا هجرن الكاعب العطبولا
ولأمنعن العين فيه منا مها * ولاجعلن لها السهاد خليلا
ولا رمين له الفجاج بضمر * كالنبل سبقا والقسى نحولا
من كل دامية الاظل يزيدها * عنقا اذا كلفتها التمهيلا
وتمد من طول المسافة جيدها * فكأنما ماست تميل ميلا
حرف تريك الحرف من صلدالصفا * اخفا فيها بدمائها مشكولا
وكأنما ضربت بصخر مثله * من منسم فتكاد تقدح تقتيلا
قطعت حبال البعد لما اعملت * شوقا لطيبة ساعدا مفتولا
حتى اضم بطيبة الشمل الذى * انضى اليها العرمس الشملالا

واريح من تعب الخطايا ذمة * ثقلت عليها للذنوب حمولا
ويسر بالغفران قلب لم يزل * حينا بطول اساءتي مثلولا
واعود بافضل العظيم منولا * وكفى بفضل منه لى تنويلا
واذا تعسرت الامور فانى * راج لها بمحمد تسهيلا
يارب هبنا للنبى وهب لنا * ماسولته نفوسنا تسويلا
واستر علينا ماعلمت فلم يطق * منا امرؤ بخطيئة تخجيلا
واعطف على البشر الضعيف اذارأى * هول المعاد فاظهر التهويلا
يوم جبان الصبر فيه من الورى * تبقى كثيبا لايقر مهيلا
يوم تضل به العقول وتشخص الا * بصار خوفا عنده وذهولا
ويسر فيه المجرمون ندامة * حينا وحينا يعلنون عويلا
ويظل مرتاد الخلاص مقلبا * للشافعين لحاظه ومجيلا
لتنال من ظمأ القيامة نفسه * ريا ومن حر السعير مقيلا
فاجعل لنا اللهم جاه محمد * فرطا تبلغنا به المأمولا
واصرف به عنا عذاب جهنم * كرما وكف ضرامها المشعولا
واجعل صلاتك ديمة منهلة * لم تلف دون ضريحه تهليلا
ماهزت القضبا نسيم ورجعت * ورقاء فى غصن الاراك هديلا

اراد الناظم قدس الله تعالى سره ان يبين فى هذه الابيات بعض ماخص به عليه الصلاة والسلام من المزايا والمعجزات العظام وختم ذلك بالتوسل به فى النجاة من النار واللحاق بالسادة الاخيار وهو المطلب الرابع وحيث ان غالب هذا المطلب سيأتى ذكره

فى مواضع متفرقة من هذا الكتاب لم نتعرض لشرحها روما للاختصار واكتفاء بما سيأتى

(مبحث خوارق العادات التى ظهرت قبل ولادة نبينا عليه الصلاة والسلام ارهاصا لبعثته وتأسيسا لنبوته) من ذلك اخبار الانبياء عليهم السلام بظهور نبى من اولاد اسماعيل فى ديار العرب فى آخر الزمان يكون خاتم الانبياء و وصفه بحليته و شمائله وقد اقتضت الحكمة ان يكون خاتم الانبياء و نخبة الاصفياء فخر العالم وافضل بنى آدم من العرب لبقائهم على الفطرة الاصلية من حيث الأخلاق و بعدهم عن العادات الردية التى الفها اهل الحضر من الروم وغيرهم وهم وان لم يكونوا ماهرين فى الصنائع والعلوم الا انهم كانوا فى الطبقة العليا من البلاغة والفصاحة واحسان المنثور و المنظوم فظهرت فيهم شعرآء اذا نظموا شعرا ودت الشعرى ان تنظم فى سلك نظامهم وخطباء اذا خطبوا أزالوا الخطوب بحسن كلامهم وكان غالبهم اميين لايقرؤن ولايكتبون وكانوا يتفاخرون بالبلاغة والفصاحة ويتباهون بالحماسة والسماحة حتى كانوا يجتمعون كل سنة فى شهر ذى القعدة فى سوق عكاظ فيبرز منهم كل فائق المعانى رائق الالفاظ فيتلو بصوت جهورى ماانتجته فكرته من شعر او خطبة ايظهر ماله فى فن المنظوم او المنثور من الرتبة وارباب المجالس ناءتون فى مكانهم يرمقونه و يلحظونه و يحرصون على التقاط جواهر مايلقيه من الكلام و يحفظونه و الغالب على فحواهم

ان ينشؤا ماينشدونه فى ذلك المجال بطريق البديهة والارتجال
وكان كلامهم مختلفا باختلاف الاغراض والمذاهب
ومتنوعا بتنوع الافكار والمآرب فمنهم من يميل الى الفخر
فيذكر ماله او لقومه من محاسن الشيم وعلو الهمة والقدر
ومنهم من يميل الى الغزل والنسيب فيذكر مايتعلق باوصاف
المحب والحبيب ومنهم من يميل الى المواعظ والحكم فيذكر
مايكون من محاسن الاخلاق والشيم ومنهم من يميل الى المديح
فيذكر ما لممدوحه من كل وصف مليح ومنهم من يميل الى
الهجاء فيخلع عن مهجوه حلل الثناء ومنهم من يميل الى الاحتجاج
لنفسه ودفع اللوم عنها والعار فيميل الى التنصل والاعتذار
ومنهم من يميل الى الزهد فى هذه الدار فيذكر ما فيها من التقلب
وتحول الآثار الى غير ذلك من الفنون الكلامية التى لا تدخل فى
حد وتتنوع بتنوع الغرض والقصد فاذا فرغ الخطيب او الشاعر
من التلاوة والانشاد اظهر الحاضرون ماظهر لهم من انتقاء
او انتقاد فان اجاد اظهروا له الاستحسان وحاز ثناء جميلا لايبلى
على مر الزمان وقد وصل بهم التغالى ببعض القصائد ان
علقوها على الكعبة المشرفه فنال اصحابها من الثناء الجميل اجله
واشرفه وهى سبعة قصائد فضلها العرب على الدرر الفرائد
اولاها لامرئ القيس بن حجر الكندى وكانت وفاته
قبل الهجرة بنحو اثنين وثمانين سنة ومطلعها

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل * بسقط اللوى بين الدخول فحومل

ومنها في وصف الليل وفيه استعارة بعيدة بديعة

وليل كموج البحر ارخى سدوله * على بانواع الهموم ليبتلى
فقلت له لما تمطى بصلبه * واردف أعجازا وناء بكلكل
ألا أيها الليل الطويل الا انجلى * بصبح وما الاصباح منك بامثل

ولم تزل هذه القصيدة معلقة على الكعبة حتى بعث النبى صلى الله عليه وسلم

وقد كان للخطب الرائقة والأشعار الفائقة مقام عظيم عند العرب فكانوا يميلون اشد الميل الى انشائها وانشادها واستماعها وقد اتتهم بفوائد جمة من تهذيب النفوس والميل الى مكارم الاخلاق واكتساب الفضائل فكانوا احرص الامم على منقبة تذكر واسداء نعمة تشكر وحماية الجار واخذ الثار وانجاز الوعد والوفاء بالعهد وكانوا اصدق الناس لهجة واكرمهم ببذل مال او مهجة وقد وصلت لغتهم فى الحسن والرونق وحسن السبك والوفاء بما يراد من افادة ما فى النفس الى حد لم تصل الى عشر معشاره لغة اخرى من لغات الأمم ولا يتصور نحرير فى اصول اللغة ان يلاقى نظيرها فى الخيال وكان فى ترقى اللغة العربية الى هذه الدرجة السامية فى زمن الجاهلية وترقى العرب الى اعلى درجات الفصاحة فيها عبرة لمن ينظر الى الحقائق ويبحث فى الدقائق واشارة لطيفة الى ان الله تعالى سينزل كتابا بلسان هذه الامة

التى وصلت الى اعلى درجات الكمال فيه ووصل هو الى اعلى درجات الكمال فى اللغات وكان ابو الانبياء ابراهيم عليه السلام قد دعا لابنه اسماعيل عليه السلام بأن يظهر الله منه أمة عظيمة ويبعث فيهم رسولا منهم فبشره الله تعالى باجابة ذلك وكان اسحاق اخو اسماعيل لابيه قد ظهر من ذريته كثيرون من الانبياء وانتهت نوبة النبوة فى نسله وجاءت النوبة لنسل اسماعيل ولم يكن ظهر منه احد من الانبياء فاراد الله تعالى عناية بشأن اسماعيل ان يجعل من نسله مايقابل من اتى من نسل اخيه من الانبياء الكرام والرسل العظام فاظهر منه خاتم الانبياء وتاج الاصفياء فحصل بذلك التعادل و التساوى و التقابل

ولما كثر نسل اسماعيل وصار يسامى النجوم عددا تفرقوا فى جهات جزيرة العرب وانقسموا الى قبائل وصارت كل قبيلة تحفظ نسبها وتلاحظ مابينه وبين نسب غيرها من التساوى او التفاوت فى الفضل ليتم التناصر و التعاضد بين افرادها لاجتماعها فى الانتساب الى شخص واحد هو ابو القبيلة ولئلا يصاهروا من يكون دونهم فى النسب اذ كان هذا عندهم عارا عظيما فكان ذو النسب السامى لايزوج بنته لمن هو دونه فى النسب ولو كان هو شديد الفاقة وكان ذلك كفارون فى النشب ولذا بقيت انسابهم محفوظة على تطاول الاعصار وكان اشرف العرب عندهم بنو عدنان واشرف بنى عدنان بنو مضر واشرف بنى مضر قريش واشرف قريش بنوا هاشم ولما قدر الله فى الازل

ان تكون بنوا هاشم خيار خيار خيار العرب الذين هم خيار الامم كلها اظهر نبيه من بنى هاشم ليتم له الفضل من كل وجه وهذا نسبه الكريم المزرى بالدر النظيم فهو

محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن ألياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان هذا هو النسب الذى اجمع عليه اهل العلم بالانساب وعدنان من نسل قيدار بن اسماعيل عليه السلام وهؤلاء الاجداد العظام للنبى عليه الصلاة والسلام كان لهم اولاد غير من ذكر فى عمود النسب تناسلوا وكثرت ذريتهم حتى صاروا شعوبا وقبائل ألا أن من كان على عمود النسب له الرجحان والفضل على اخوته وكذلك بنوه والقبيلة التى تنتمى اليه لها الفضل والرجحان على بنى اخوته والقبائل التى تنتمى اليهم وبنوه ايضا من كان منهم على عمود النسب له الفضل والرجحان على اخوته ومن ينتمى اليه له الفضل والرجحان على من ينتمى لأخوته كبنى نزار فانهم اربعة مضر وأياد وربيعة وأنمار ألا أن مضر على عمود النسب اى انه من اجداد رسول الله عليه الصلاة والسلام فله الفضل والرجحان على اخوته الثلاث والقبيلة التى تنتمى اليه اى بنو مضر وذريته جميعا لها الفضل والرجحان على القبيلة التى تنتمى الى أياد او ربيعة او انمار وكبنى مضر فانهما اثنان ألياس وقيس

ألا أن ألياس على عمود النسب فله الفضل و الرجحان على قيس والقبيلة التى تنتمى اليه لها الفضل والرجحان على القبيلة التى تنتمى الى قيس و قس على ذلك و قدميز الله تعالى اجداده الكرام بنور ساطع يبد و منذ الميلاد و بهذا كان يعلم من قدر له ان يكون جد النبى عليه الصلاة والسلام و يكون النبى من نسله وكانت العرب تعترف لمن يظهر عليه بالتقدم والرجحان وتعرف بان لذلك النور سرا سيظهره الزمان وهذا النور هو النور المحمدى وكان يتلألأ تلألؤ الثريا وأول من ظهر عليه آدم عليه السلام ولم يزل ينتقل من واحد الى واحد حتى وصل الى ابراهيم عليه السلام ثم الى ابنه اسماعيل عليه السلام ثم لم يزل ينتقل الى ان وصل ألى عدنان ثم الى ابنه معد ثم الى ابنه نزار و يقال ان سبب تسميته نزارا انه لما ولد ورأى ابوه ذلك النور يتلألؤ فى وجهه تلألؤ الثريا فرح فرحا شديدا وصنع وليمة عظيمة ودعا اليها الناس وقال هذا كله نزار اى قليل لحق هذا المولود فسمى بذلك نزارا ولم يزل هذا النور ينتقل من كريم الى كريم حتى وصل الى النبى عليه الصلاة والسلام فاستقر فيه استقرارا لايقبل الانتقال وكان وجهه المبارك يخجل البدر فضلا عن الهلال هذا والجد الاعلى لقريش هو فهر بن مالك فكل من كان من ولده فهو قرشى ومن لم يكن من ولده فليس قرشيا وولد لفهر ثلاثة اولاد اشرفهم غالب وقد عرفت ان الاشرف هو من كان على عمود النسب وولد لغالب ولدان اشرفهما لؤى وولد للؤى

ستة اولاد اشرفهم كعب وقد كان كعب يجمع قومه يوم الجمعة فيقوم فيهم خطيبا وكان يخبرهم بان الله تعالى سيبعث من نسله نبيا عظيما ويوصيهم باتباعه والايمان به ان ادركوا زمن بعثته وولد لكعب ثلاثة اولاد اشرفهم مرة وولد لمرة ثلاثة ايضا اشرفهم يسمى كلابا وهو مأخوذ من المكالبة بمعنى المغالبة

وولد لكلاب ولدان احدهما قصى وهو جد النبي من جهة ابيه والآخر زهرة وهو جد النبي من جهة أمه فان السيدة المصونة آمنة من بنى زهرة وهذان ألاخوان يكاد ان يتقاربان فى شرف النسب لانتماء النبي الى كل منهما غيران قصيا كان له فى قريش المكان الاول والمقام الذى لايجهل لانه هو الذى جمع كلمتهم وقوى شوكتهم واثل مجدهم واكمل سعدهم وهو الذى ارتجع مفاتيح الكعبة من بنى خزاعة لخ ز على خدمة الكعبة والرياسة على مكة وكانت اولا فى اجداده بنى اسماعيل ثم صارت الى بنى جرهم ثم صارت الى بنى خزاعة وهم قبيلة من قبائل اليمن هاجرت الى جهة مكة ثم قويت شوكتها فاخذت سدانة الكعبة وصارت لها الرياسة على اهل مكة فارتجع قصى مفاتيح الكعبة منها واخرجها من مكة فصارت سدانة الكعبة والرياسة له ووسد الامر لاهله وولد لقصى ثلاثة اولاد عبد مناف وعبد الدار وعبدالعزى ولما توفى قصى صارت الرياسة والسيادة لولده عبد مناف جد النبي عليه السلام وصارت سدانة الكعبة لعبد الدار ومن نسله بنو شيبة الحجبة وولد لعبد مناف اربعة اولاد هاشم وعبدشمس والمطلب

ونوفل وقد اعقب كل واحد منهم وكثرت ذريته والأمويون ينسبون الى امية بن عبد شمس المومى اليه وكانت الرياسة والسيادة على قريش لهاشم من بين اخوته والى هاشم ينتسب الهاشميون ومنهم النبى عليه الصلاة والسلام وحيث ان قريشا كانت تجارا كانوا يرحلون فى كل سنة الى اليمن فى الشتاء والى الشام فى الصيف لاجل ذلك وكانوا يعودون باوفى ربح فخرج مرة هاشم فى قافلة قاصدا الشام فلما وصل الى المدينة نزل بها وتزوج بامرأة من بنى النجار من اشراف المدينة اسمها سلمى وبنى بها ثم سار الى الشام فتوفى فى غزة وكانت زوجته الطاهرة حاملا فوادت غلاما فسمته شيبة وكان النور المحمدى يتلألأ فى وجهه فكل من رآه بهره وعرف ان اباه ليس من قبيلة بنى النجار اذ لم يعهد فيهم مثل ذلك ولما شب وترعرع صار يمشى مع بنى اخواله فرآه ثابت والد حسان شاعر النبى عليه الصلاة والسلام وكان قاصدا المسير الى مكة فلما وصل اليها اخبر المطلب اخا هاشم بما رأى من ابن اخيه واطنب له فى وصف جماله وكماله وأبان له بانه اشبه الناس بابيه فتعلق قلب المطلب برؤية شيبة وعرف بتلك الاوصاف التى ذكرت له انه هو الذى يكون خلفا عن والده فان هاشما وان كان له ولد آخر وهو اسد الا انه توفى ولم يخلف غير بنت وهى فاطمة ام على كرم الله وجهه فذهب المطلب الى مكة فرأى شيبة بين ابناء من بنى النجار فعرفه من سيماه والنور الذى يتلألأ فى محياه فذرفت عيناه بالدموع

وظهر عليه اثر الولوع وقد اشار الى ذلك فى ابيات انشأها ثم كساه حلة من الثياب وذهب به الى والدته واستأذنها فى اخذه معه الى مكة فأذنت له بذلك فاخذه ولما وصل الى مكة المكرمة رآه اهلها فلم يعرفوه وظنوه عبد المطلب فصاروا يقولون هل هذا عبد المطلب فاشتهر بذلك وغلب على اسمه شيبة ولما توفى عمه المطلب قام مقامه فى الرياسة والسيادة وكانت قريش تجل مقامه جدا للنور الذى انتقل الى جبينه وكانوا اذا قحطوا ولم ينزل الغيث يستسقون به فيسقون بيمن النور الذى فى محياه ولما قرب اوان ميلاد النبى عليه الصلاة والسلام كثر ظهور الخوارق للعاده وصار الكهنة يخبرون بقرب طلوع بدر السعاده فمن ذلك ماروى ان عبد المطلب بينما هو نائم فى الحجر انتبه مذعورا وأتى كهنة قريش يجر رداءه فقالوا ياابا الحارث مابالك كالخائف الوجل قال رايت رؤيا قالوا وما هى قال رايت كأن سلسلة بيضاء خرجت من ظهرى لها أربعة اطراف طرف قد بلغ مشارق الارض وطرف قد بلغ مغاربها وطرف قد جاوز عنان السماء وطرف قد جاوز الثرى فبينما انظر اليها عادت شجرة خضراء لها نور فبينما انا كذلك قام على شيخان فقلت لاحدهما من انت فقال انا نوح نبى رب العالمين وقلت للآخر من انت فقال الآخر انا ابراهيم خليل رب العالمين ثم انتبهت فقالوا له ان صدقت رؤياك ليخرجن من ظهرك نبى يؤمن به اهل السموات واهل الارض

ثم بعد حين ولد له عبد الله والد النبى عليه السلام من فاطمة
بنت عمرو احدى عقائل قريش فظهر فى محياه ذلك النور المحمدى
وقد كانت لعبد المطلب الرياسة والتقدم فى قريش قبل حفر
زمزم ولما حفرها ازداد بذلك فى قريش عظما وجاها وكان من
خبرها ان جرهما حكام مكة لما تسلط عليهم عدوهم واضطروا
الى مهاجرة مكة والذهاب الى اليمن اخرجوا ماكان فى الكعبة
من السيوف والدروع وتمثالى الغزال من الذهب والقوها فى
بئر زمزم وردموها بالتراب خوفا من ان يأخذها العدو فاندرست
بئر زمزم وصار موضعها مجهولا وبقى الحال كذلك مدة مديدة
فرأى عبد المطلب فى منامه شخصا يخبره بموضع زمزم ويذكر
له علائمها فقام عبد المطلب وذهب الى الناحية التى اخبر عنها
فراى العلائم ثم حفرها هو واولاده فأخرج مافيها واخذه
ووضع تمثالى الغزال من الذهب عند باب الكعبة فلما رات قريش
ظهور زمزم اقبلوا عليها لما كان من عذوبة مائها ولكونها من
اثر جدهم اسماعيل عليه السلام وازداد عندهم عبد المطلب
جاها وقدرا وافتخرت بذلك بنو عبد مناف على قريش وعلى
سائر العرب وولد لعبد المطلب ثلاثة عشر ولدا وهم الحارث
وابو طالب وابو لهب والغيداق وحجل وعبد الكعبة والمقوم
والزبير وضرار وقثم وعبد الله وحمزة والعباس الا ان قثم توفى
وهو صغير وكان عبد الله احب اولاد عبد المطلب اليه اذ كان
اعظم اخوته كمالا وجمالا وعفة وصيانة ولما اراد ابوه عبد المطلب

ان يزوجه اختار له افضل نساء بنى زهرة حسبا ونسبا فزوجه آمنة بنت وهب فبنى بها فحملت بالنبى صلى الله عليه وسلم وكانت قريش اذ ذاك فى قحط وغلاء فبدل الله تعالى حالهم الى خصب ورخاء وكانوا يسمون تلك السنة سنة الفتح والابتهاج

وبينما كانت آمنة حاملا بالنبى عليه الصلاة والسلام ذهب والده عبد الله مع قافلة الى الشام فى تجارة فلما فرغوا من تجارتهم عادوا فمروا بالمدينة وعبد الله يومئذ مريض فتخلف عند اخواله بنى عدى بن النجار واقام شهرا مريضا ثم توفى وهو ابن خمس وعشرين سنة والنبى يومئذ حمل فوجد عبد المطلب عليه وجدا شديدا وفى هذه السنة ظهرت حادثة اصحاب الفيل وفيها لشرف ذلك الحمل اعظم دليل

وخلاصة قصة اصحاب الفيل ان الحبشة ملكوا اليمن بعد حمير فلما صار الملك الى ابرهة منهم بنى كنيسة عظيمة فى صنعاء قاعدة ملكه واراد ان يصرف حج العرب اليها ويبطل حج الكعبة فجاء شخص من العرب فاحدث فى تلك الكنيسة فغضب ابرهة لذلك وسار بجيشه ومعه الفيل ليهدم الكعبة فلما وصل الى الطائف ارسل مقدارا من فرسانه الى مكة ليسوقوا اموال اهلها فهم اهلها بقتالهم ثم راوا ان لاطاقة لهم بابرهة وجنوده فتركوهم فساقوا الاموال واحضروها الى ابرهة وارسل ابرهة الى قريش يقول لهم انى لم آت الى حربكم وانما جئت لاهدم الكعبة فان لم تتعرضوا دونها بحرب فلاحاجة لى بدمائكم فقال عبد المطلب لرسوله والله مانريد حربه هذا بيت الله فان منع عنه فهو بيته وحرمه

وان خلى بينه و بينه فوالله ماعندنا من دفع ثم انطلق عبد المطلب مع رسول ابرهة اليه فلما استؤذن لعبد المطلب قالوا لأبرهه هذا سيد قريش فأذن له ابرهة و اكرمه ونزل عن سريره وجلس معه وسأله عن حاجته فقال عبد المطلب حاجتى ان يرد على الملك مأتى بعير اخذت لى فقال ابرهة كنت اظن انك تطلب منى ان لاخرب الكعبة التى هى معتقدك ومعتقد آبائك فقال عبد المطلب انا رب الابل فاطلبها واما البيت فله رب سيمنعه و يحميه فأمر ابرهة برد ابله عليه فاخذها عبد المطلب وانصرف الى قريش فامرهم بالخروج من مكة الى الجبال والشعاب ثم قام فاخذ بحلقة باب الكعبة و قال

لاهم ان المرء يمنع حله فامنع حلالك
لا يغلبن صليبهم * ومحالهم غدوا محالك
جروا جموع بلادهم * والفيل كى يسبوا عيالك
عمدوا حماك بكيدهم * جهلا وما رقبوا جلالك
ان كنت تاركهم وكعبتنا فامر ما بدا لك

ثم ارسل حلقة الباب وانطلق هو ومن معه من قريش الى الجبال ينظرون ما ابرهة فاعل بمكة اذا دخلها ولما قارب ابرهة مكة وتهيأ لدخولها صار الفيل كلما وجهوه جهة مكة يبرك واذا وجهوه الى غير جهة مكة قام يهرول و بينما هم كذلك اذ ارسل الله عليهم طيرا ابابيل امثال الخطاطيف مع كل طائر ثلاثة احجار فى منقاره ورجليه فقذفتهم بها وهى مثل الحمص والعدس فلم تصب احدا منهم الا

هلك وليس كلهم اصابت والذى سلم منهم ولى هاربا مع ابرهة
الى اليمن يبتدر الطريق وصاروا يتساقطون بكل منهل واصيب
ابرهة فى جسده وسقطت اعضاؤه ووصل الى صنعاء كذلك ومات
ولما جرى ذلك خرجت قريش الى منازلهم وغنموا شيأ كثيرا
ولما رات قبائل العرب ماحل باصحاب الفيل زادوا فى تعظيم قريش
واجلالها وقالوا هم اهل الله وان الله قاتل عنهم وكفاهم
مؤنة عدوهم واقر المنازع لقريش بالتقدم والرجحان وصار مما
لايختلف فيه اثنان   وكل ذلك ببركة ذلك الجمل الذى هو اضوأ
من الشمس فى الحمل   وانور من الهلال اذا كمل   ولما هلك ابرهة
ملك اليمن بعده ابناه واحد بعد واحد ثم اخذت من الثانى وزال تسلط
الحبشة على اليمن وقد اشتهر هذا العام بعام الفيل وكان قدوم
اصحابه الى مكة فى منتصف المحرم تلك السنة وكان ميلاد النبى
عليه الصلاة والسلام بعد ذلك بنحو شهرين وسنة ميلاده هى
سنة خمسمائة وتسع وستين من ميلاد عيسى عليه السلام

(مبحث مولد النبى عليه الصلاة والسلام)

ولد النبى عليه الصلاة والسلام ليلة الاثنين سحرا صباحا لاثنتى عشرة
خلت من ربيع الاول من عام الفيل وذلك فى شهر نيسان من فصل
الربيع فتهلل وجه الدنيا بالمسار وامتلأ العالم بالانوار

يقول لنا لسان الحال منه * وقول الحق يعذب للسميع
فوجهى والزمان وشهر وضعى * ربيع فى ربيع فى ربيع

وانتقل ذلك النور الذى كان فى وجه أمه الطاهرة آمنة الى كريم

محياه وكان انتقل اليها حين حملها بالنبي من ابيه عبد الله فازداد في محياه اشراقا ووضوحا وصار يضاهي بتلألؤه يوحا وهذا النور هو الذي ظهر في وجه آدم ومن بعده من اصوله بطريق الاستعارة والمجاز اذ هو نور ختم النبوة ليس له في الحقيقة الا في خير الخلق مساغ ومجاز وروي عن امه آمنة بنت وهب انها قالت لقد حملت به فما وجدت له مشقة حتى وضعته ورايت في منامي ليلة وضعه قائلا يقول لي يا آمنة انك حامل بخير العالمين فاذا وضعتيه فسميه محمدا وقالت لما دنا وقت ولادته سمعت رجة عظيمة شديدة فاخذني الرعب فرايت كأن جناح طائر قد مسح على ظهري فذهب عني الرعب وكل وجع كنت اجده ثم التفت فاذا انا بشربة بيضاء ظننتها لبنا فشربتها فاذا هي احلى من العسل فأضاء مني نور غالب ثم رايت نسوة طوالا كانهن من بنات عبد مناف احدقن بي فانا اعجب من ذلك واقول من اين علمن هؤلاء بي وبينما انا في ذلك اذ اخذني المخاض واشتد بي الطلق فحينئذ ولدته وهو مختون مسرور وقد كشف عن بصر آمنة الحجاب فرأت حور الجنان والملائكة الكرام وكثيرا من خوارق العادة وقد ذكرت الشفاء رضي الله عنها وكانت ليلتئذ عند آمنة انها رأت حين ولادته نورا ملأ الدنيا روى ذلك عنها ابنها عبد الرحمن بن عوف احد العشرة رضي الله عنه وكان عبد المطلب حينئذ في المسجد الحرام مناجيا للحق ومتوجها اليه وبينما هو في ذلك اذ سمع هاتفا يقول له بشراك يا عبد المطلب قد ولد لآمنة ولد هو

رحمة للعالمين فذهب الى دار آمنة فشاهد هناك خوارق كثيرة
وروى عن عائشة ان يهوديا اتى مجمع قريش فقال هل ولد
البارحة فيكم مولود فقالوا نعم ولد ولد لعبد الله بن عبد المطلب
فقال لهم هو خاتم الانبياء وبين كتفيه علامة وهو خاتم النبوة
وهو مما يلى منكبه الايمن فيه شامة سوداء تضرب الى الصفرة
حولها شعرات متواليات كأنها عرف فرس ثم قام هو ومن هناك
ليروه فلما وقع بصر اليهودى عليه ونظر الى شكله وشمائله ورأى
خاتم النبوة على كتفيه عظم عليه الامر واشتد به الخطب
ودهش وقال ذهبت النبوة من بنى اسرائيل واتى خاتم الانبياء
فلا يأتى بعده نبى اصلا وقد آن أن تمتد دولة قريش من
المشرق الى المغرب وتقوى شوكتها تنبيه ان الذين
بشروا بقرب ميلاد النبى عليه الصلاة والسلام او بانه ولد او بما
سيبدو من الحوادث بعده منهم من عرف ذلك بما وصل اليه من
اخبار الانبياء الماضين ومنهم من عرف ذلك بالكهانة وكان
الكهان يتلقون الاخبار من الشياطين الذين يسترقون السمع من
السماء ولما بعث النبى صلى الله عليه وسلم زال اثرها بسببه
ومنهم من عرف ذلك بواسطة بعض المرائى وتعبيرها
وروى عن حسان بن ثابت انه قال والله انى لعلى اطم فارع
(حصن عال) فى السحر اذ سمعت صوتا لم اسمع قط صوتا كان
انفذ منه واذا هو صوت يهودى على اطم من آطام
اليهود معه شعلة نار فاجتمع الناس اليه وانكروا صراخه

وقالوا مالك ويلك قال حسان فسمعته يقول هذا كوكب قد طلع وهو كوكب لايطلع الا بالنبوة ولم يبق من الانبياء الا احمد قال حسان فجعل الناس يضحكون منه ويتعجبون لما اتى به فحسبت ذلك بعد فوجدته موافقا لليلة ميلاد النبى صلى الله عليه وسلم ولما رأى عبد المطلب مارأى من علائم السعادة سر سرورا لايحاط بكنهه وحظى عنده وقال ليكونن لابنى هذه شأن وانشأ فى ذلك قصيدة ولما كان السابع من ولادته ذبح عنه ودعا له قريشا فلما اكلوا قالوا ياعبد المطلب ارايت ابنك هذا الذى اكرمتنا على وجهه ماسميته قال محمدا قالوا فيم رغبت به عن اسماء اهل بيته قال اردت ان يحمده الله تعالى فى السماء وخلقه فى الارض تنبيه كنية النبى عليه الصلاة والسلام ابو القاسم والقابه كثيرة منها محمود مصطفى صاحب البيان صاحب الخاتم صاحب المقام المحمود صاحب القضيب صاحب الهراوة ولما كانت الليلة التى ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتجس ايوان كسرى (اى صوت مثل صوت الرعد وانشق) وهذا الايوان فى المدائن وكانت قاعدة ملك الفرس وسقطت منه اربعة عشر شرافة وخمدت نار فارس ولم تخمد قبل ذلك بالف عام وغاضت بحيرة ساوه وفاض وادى سماوه ورأى الموبذان وهو قاضى الفرس فى منامه ابلا صعابا تقود خيلا عرابا قد قطعت دجلة وانتشرت فى بلاد فارس فلما اصبح كسرى افزعه ذلك وتصبر عليه تشجعا ثم رأى ان لايكتم ذلك عن وزرائه وخواصه

فامر بحضورهم فلما اجتمعوا عنده قال اتدرون فيم بعثت اليكم قالوا الا الان يخبرنا الملك فشرع يخبرهم وبينماهم فى ذلك ورد عليه خبر خمود النار وغيض البحيرة وفيض الوادى فازداد غما الى غمه فقال الموبذان وانا قد رايت فى هذه الليلة رؤيا وقص عليه ماراى فقال كسرى أى شئ يكون هذا فقال الموبذان وكان عالما حادث عظيم يكون من جهة العرب فكتب كسرى الى النعمان بن المنذر ان يبعث اليه اعلم مافى ارضه من العرب فوجه اليه بعبد المسيح ابن عمرو الغسانى فاخبره كسرى بما كان من ارتجاس الايوان وغيره فقال علم ذلك عند خال لى يسكن مشارف الشام يقال له سطيح قال كسرى فاذهب اليه وأرسله او ائتنى بتأويل ماعنده . فسار عبد المسيح حتى قدم على سطيح وقد اشفى على الموت فسلم عليه وحياه فلم يجبه فانشأ عبد المسيح يقول

اصم ام يسمع غطريف اليمن * ام فاذ فاض ام به شأو النبن
يا فاصل الخطة اعيت من ومن * وكاشف الكرب عن وجه الغضن
اتاك شيخ الحى من آل سنن * وامه من آل ذئب بن حجن
ابيض فضفاض الرداء والبدن * رسول قيل العجم كسرى باوسن
لايرهب الذعر ولاريب الزمن * تجوب بى الارض علنداة شجن
ترفعنى وجناء تهوى فى وجن * حتى أتى عارى الجآجى والقطن
بلغه فى اللوح بوغاء الدمن * كانما حثحث من حضنى ثكن

فرفع سطيح راسه وقال عبد المسيح على جمل مشيح يهوى الى سطيح

وقد اوفى على الضريح بعثك ملك ساسان لارتجاس الايوان وخمود النيران ورؤيا الموبذان رأى أبلاصعابا تقود خيلا عرابا قد قطعت دجلة وانتشرت فى بلادها ياعبد المسيح اذا كثرت التلاوة وظهر صاحب الهراوة وفاض وادى سماوه وغاضت بحيرة ساوه وخمدت نار فارس لم تكن بابل للفرس مقاما ولا الشام لسطيح شاما يملك منهم ملوك وملكات على عدد الشرافات وكل ماهو آت آت ثم قضى سطيح مكانه ثم قدم عبد المسيح على كسرى واخبره بقول سطيح فقال الى ان يملك منا اربعة عشر ملكا تكون امور وقد ظن كسرى ان الامر الذى خشى حدوثه انما يكون بعد زمن مديد لان الاكثر فى تملك اربعة عشر ملكا واحد بعد واحد على مملكة انما يكون بعد مضى قرون الا ان الامر كان على خلاف الاكثر أذا ختلت دولة بنى ساسان فملك منهم عشر فى مدة اربع سنين وملك الباقون الى اوائل خلافة عثمان رضى الله تعالى عنه وكان الرابع عشر منهم السلطان يزد جرد وقد قتل فى احدى الوقائع التى كانت بينه و بين المسلمين فانقرضت بذلك الدولة الساسانيه ودخلت بلاد الفرس تحت حكم الخلفاء الراشدين قالوا وكان سطيح لحما على وضم لم يكن فيه عظم ولا عصب الا الجمجمة والكفين وكان يطوى من رجليه الى ترقوته كما يطوى الثوب ولم يكن منه شئ يتحرك الا لسانه وذكر صاحب العقد ان سطيحا كان على زمن نزار بن معد بن عدنان وهو الذى قسم الميراث بين بنى نزار وهم مضر واخوته فيكون من الذين عاشوا دهرا

طويلا قال ابن الوردى فى تاريخه مفسرا لبعض الكلمات التى مضت فى هذا الباب الارتجاس الاضطراب وقد يكون من الصوت وغاضت اى نضبت وذهب ماؤها وفاذ وفاض مات بافاصل اى باقاطع والخطه الامر الشديد واعيت من اى لم يدر ماجهتها والغضن الكثير الغضون وتجوب تقطع والعلنداة الشديدة الصلبة يعنى الناقة والوجن والوجس الغليظ من الارض والجاجئ جمع جؤجؤ وهو عظم الصدر والقطن مأوى العجز من الظهر واللوح شدة الحر والعطش والبوغاء التراب اقول أو الغطريف بالكسر السيد الشريف والشأو الغاية والغبن النسيان والفضفاض من الدروع والثياب الواسع ومن الناس الجسيم الطويل وكلاهما مما يرغب فيه عند العرب والقيل الملك والذعر الخوف والشجن المتداخلة الخانق من النوق والوجناء الناقة الشديدة وحثحث حض او اسرع وثكن اسم جبل والهراوة والقضيب بمعنى وقد كان صلى الله عليه وسلم يمسك فى يده القضيب كثيرا وقد فسر بعضهم القضيب بالسيف وهو مأخوذ مما ذكر فى حقه فى كتاب مشاهدات يوحنا الحوارى من انه يرعى الامم بقضيب من حديد (السيف) ويعطى كوكب الصبح (القرآن) *(ذكر احواله وسيرته عليه الصلاة والسلام من مولده لبعثته)* كانت المراضع يقدمن من البادية الى مكة يطلبن ان يرضعن الاطفال فقدمت عدة منهن واخذت كل واحدة طفلا ولم تجد حليمة طفلا تأخذه غير رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يتيما قد

مات ابوه عبد الله فلذلك لم يرغبن فى اخـذه لانهن كن يرجين الخير من ابى الطفل ولا يرجين من امه فأخذته حليمة بنت ابى ذؤيب الحارث السعديه وتسلمته من آمنة ومضت به الى بلادها وهى بادية بنى سعد وكانت تلك السنة مجدبة والاغنام فيها عجاف شوّل مالها من لبن لقلة المرعى وكان لحليمة شويهات كذلك فلم تمض مدة من اخذ النبى عليه الصلاة والسلام الا واصبحت شويهاتها سمانا غزيرة اللبن ورأت فى بيتها من الخير والبركة مالم تعهده قبل ذلك فقال لها زوجها الحارث بن عبد العزى ياحليمة انى لأراك قد اخذت نسمة مباركة الم ترى الى ماصرنا اليه من الخير والبركة حين اخذناه ولما انقضت مدة الرضاع قدمت به حليمة الى مكة وهى احرص الناس على مكثه عندها فقالت لآمنة لو تركت ابنك عندى حتى يضخم جسمه فانى اخشى عليه وباء مكة ولم تزل بها حتى تركته معها فأخذته وعادت به الى بلاد بنى سعد وكانت تغار من تمسك النسيم برياه ووقوع عين الشمس على محياه ولاتدعه يذهب مكانا بعيدا فغفلت عنه مرة فذهب مع ابنتها الشيماء وقت الظهر فخرجت حليمة تطلبه فوجدته مع الشيماء اخته من الرضاع فقالت فى هذا الحر فقالت اخته ياامّاه ماوجد اخى حرّا رأيت غمامة تظلّ عليه اذا وقف وقفت واذا سار سارت حتى اتى الى هذا الموضع ولم يزل النبى عليه الصلاة والسلام يزداد عظما عند حليمة وزوجها الحارث ويزدادان به شغفا لما يشاهدانه منه من خوارق

العادة ولوائح السعادة والميل لاخلاق كمل الرجال وعدم الجنوح للعب واللهو الذى هو من طبائع الاطفال حتى بلغ نحو اربع سنين فظهر له من خوارق العادة مالم يتحمله عقل حليمة وزوجها الحارث فقال لها ياحليمة احسب ان هذا الولد اصيب فالحقيه باهله فاحتملته حليمة وقدمت به على امه آمنة فقالت مااقدمك به وكنت حريصة عليه فأبدت حليمة عذرا لم تقبله آمنة منها وسألتها عن الصحيح فقالت حليمة تخوفت عليه الشيطان فقالت امه كلا والله ماللشيطان عليه من سبيل ان لابنى شأنا وتسلمته امه ثم قدمت به على اخواله من بنى عدى ابن النجار تزيره اياهم فرآه بعض كهنة اليهود ونظروا الى شمائله وشكله فقالوا انه سيكون نبى هذه الامة ثم عادت به امه فتوفيت فى اثناء الطريق فصار النبى عليه الصلاة والسلام يتيما من الأبوين فكفله جده عبد المطلب وكانت قد تتابعت على قريش سنون امحلت الضرع وارقت العظم فالتمسوا من عبد المطلب ان يستسقى لهم فاجابهم لذلك فخرجوا حتى ارتقوا ابا قبيس فقام عبد المطلب ومعه النبى عليه الصلاة والسلام وهو ابن سبع سنين فدعا فما هبطوا من ذلك الموضع حتى تفجرت السماء بمائها وامتلأ الوادى بالمطر وذلك كرامة للنبى عليه الصلاة والسلام وقال بعض العرب يمدح عبد المطلب ويذكر ذلك

بشيبة الحمد اسقى الله بلدتنا * وقد فقدنا الحيا واجلوذ المطر
فجاد بالماء جونى له سبل * سحا فعاشت به الانعام والشجر

مُناً من الله بالميمون طائره * وخير من بشرت يوما به مضر
مبارك الامر يستسقى الغمام به * ما فى الانام له عدل ولا خطر

(الحيا هو الغيث واجلوذ امتد وقت تأخره والجونى السحاب الأسود المظلم والسيل المطر والميمون طائره المبارك حظه والعدل والخطر ما عادل الشئ)

ولما بلغ عليه الصلاة والسلام ثمان سنين توفى جده عبد المطلب وهو ابن نيف ومائة سنة ثم قام بكفالته عمه ابو طالب بن عبد المطلب وكانت تلك السنة مجدبة ايضا فاستسقوا بابى طالب كما استسقوا من قبل بوالده عبد المطلب فاستسقى لهم ومعه النبى عليه السلام فسقوا وروبت هذه القصة عن جلهمة بن عرفطة مفصلة قال كنت حينئذ فى مكة وقد اجهدهم القحط فعزمت قريش اولا على ان يستسقوا بالاصنام واختلفوا بأىّ صنم يستسقون فقال بعضهم نستسقى باللات والعزى وقال بعضهم نستسقى بمناة فقام من بينهم شيخ سديد الرأى فقال مالكم تنظرون الى السبب البعيد وتتركون السبب القريب اليس فيكم من هو من صفوة سلالة ابراهيم فاستصوبوا رأيه فذهبت اشرافهم الى ابى طالب وطلبوا منه ان يستسقى لهم فخرج ابو طالب ومعه غلام يضئ وجهه كالشمس واتى الى المسجد الحرام والصق ظهره الى جدار الكعبة وابتدأ بالدعاء فاشار النبى عليه السلام باصبعه الى السماء وكانت

مصحية فوقلت السحب من كل جهة وتراكمت فسحت الامطار حتى سالت الاودية وفى ذلك يقول ابو طالب

وابيض يستسقى الغمام بوجهه * ثمال اليتامى عصمة للارامل
يلوذ به الهلاك من آل هاشم * فهم عنده فى نعمة وفواضل

(ومعنى ثمال بكسر الثاء الملجأ والغياث ومعنى عصمة عاصم وحافظ والارامل المساكين من رجال ونساء) وهذان البيتان من قصيدة لابى طالب تنوف عن ثمانين بيتا قالها لما تمالأت قريش وتحزبت على النبى صلى الله عليه وسلم ونفروا عنه من يريد الاسلام وارادوا من ابى طالب ان يسلمه واولها

ولما رأيت القوم لاود عندهم * وقد قطعوا كل العرى والوسائل
وقد جاهرونا بالعداوة والاذى * وقد طاوعوا امر العدو المزايل
اعبد مناف انتم خير قومكم * فلا تشركوا فى امركم كل واغل
فقد خفت ان لم يصلح الله امركم * تكونوا كما كانت احاديث وائل
اعوذ برب الناس من كل طاعن * علينا بسوء او ملح بباطل
وثور ومن ارسى ثبيرا مكانه * وراق ليرقى فى حراء ونازل
وبالبيت حق البيت فى بطن مكة * وبالله ان الله ليس بغافل
كذبتم وبيت الله نبزى محمدا * ولما نطاعن دونه ونناضل
ونسلمه حتى نصرع حوله * ونذهل عن ابنائنا والحلائل

(ومعنى نبزى بضم النون نغلب عليه ومعنى نناضل نجادل ونخاصم وندافع)

ولما بلغ النبى عليه الصلاة والسلام اثنتى عشرة سنة اراد عمه ابو

طالب الخروج الى الشام للتجارة وتهيأ للرحيل فهب له النبي عليه الصلاة والسلام واخذ بزمام ناقته وقال ياعم الى من تتركنى لا اب لى ولا ام لى فرق له ابو طالب وقال والله لاخرجن به معى ولا يفارقنى ولا افارقه ابدا فخرج به معه فلما بلغ الركب بصرى من ارض الشام رأى راهب بها يقال له بحيرا واسمه جرجيس وهو فى صومعته غمامة تساير ذلك الركب حتى اذا نزلوا تحت شجرة هنالك اخضرت وتهصرت اغصانها ووقفت الغمامة ولم تبارح منزلهم فامر بحيرا من عنده ان يصنعوا طعاما ونزل من صومعته واتى اليهم وقال يامعشر قريش انى قد صنعت لكم طعاما وأحب ان يحضره كلكم صغيركم وكبيركم حركم وعبدكم وكانوا كثيرا مايرون عليه قبل ذلك فلا يكلمهم ولا يعرض لهم فاجتمعوا اليه وتخلف النبي عليه الصلاة والسلام لحداثة سنه فى رحال القوم تحت الشجرة فلما نظر بحيرا الى القوم لم ير الصفة التى يعرف ويجدها عنده وجعل ينظر فلا يرى الغمامة على احد من القوم ويراها متخلفة على الشجرة فوق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بحيرا يا معشر قريش لايتخلفن احد منكم عن طعامى قالوا ماتخلف احد الا غلام هو احدث القوم سنا فقال بحيرا انى احب ان لا يتخلف احد منكم اصلا فذهب من احضره فاتى رسول الله والغمامة تسير على راسه حتى وصل اليهم فاجلسوه معهم فجعل بحيرا يلحظه لحظا شديدا وينظر الى اشياء فى جسده قد كان يجدها عنده من صفته فلما تفرقوا عن طعامهم قام اليه الراهب فقال ياغلام اسألك بحق

اللات والعزى الا اخبرتنى عما اسألك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتسألنى باللات والعزى فوالله ماابغضت بغضهما شيأ قط فقال بحيرا فبالله الا اخبرتنى عما اسألك فقال سلنى عما بدالك فجعل يسأله عن اشياء من حاله من نومه وهيئته واموره فجعل رسول صلى الله عليه وسلم يخبره فيوافق ذلك ماعنده ثم كشف عن ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه على الصفة التى هى عنده فقبل موضع الخاتم فقالت قريش ان لمحمد عند الراهب قدرا عظيما ثم قال الراهب لابى طالب ماهذا الغلام منك فقال ابو طالب هو ابنى فقال بحيرا ماهو ابنك ولا ينبغى لهذا الغلام ان يكون ابوه حيا قال ابوطالب هو ابن اخى فسر بحيرا سرورا عظيما لاصابة فراسته وافوزه بنظرة ممن نظره اكسير السعادة وسبب الحسنى والزيادة وقال لابى طالب هذا سيبعثه الله رحمة للعالمين ويكون خاتم النبيين والمرسلين وسأله ان يرده الى بلده خوفا عليه ان يراه بعض كهنة اليهود فيقصدوه بسوء ويهينوه لعلمهم بانه هو الفرس الذى سيخرج فى البرية فتخرج منه نار تهلك اليهود على ماسبق ذكره فى البشائر (تنبيه لم يخش عليه بحيرا من القتل كما ربما يتوهم لمعرفته بعدم وقوع ذلك جزما والا لزم الخلف فى وعده تعالى بارساله وهو محال بل خاف عليه من الاذى والاهانة فقط كما ذكرنا) فباع ابوطالب ماعنده من البضاعة هناك وعاد به مسرعا الى مكة ثم شب رسول الله صلى الله عليه وسلم وبلغ فكان اعظم الناس مروءة وحلما واحسنهم جوابا واصدقهم حديثا واعظمهم امانة وابعدهم عن الفحش حتى صار اسمه فى

قومه الامين لما جمع الله فيه من الامور الصالحة ولما بلغ سبعة عشر سنة سافر مع عمه الزبير ابن عبد المطلب الى اليمن وظهرت منه فى سفره ذلك ايضا بعض امور خارقة للعادة ولما عاد الى مكة وروى رفقاؤه ما رأوه منه صارت قريش تحدث بانه سيكون لمحمد شان عظيم ولما بلغ عشرين سنة صارت الملائكة تترأى له وتشير اليه فتقول هذا الذى به هداية العالمين غير انه لم يأت وقت دعوته فأخبر بذلك عمه ابا طالب فخاف عليه من شئ واتى عمه الى كاهن يتطبب بمكة فحدثه حديثه وقال عالجه فصوب نظره فيه وصعد وكشف عن قدميه ونظر الى كتفيه فقال لأبى طالب ان ابنك هذا طيب طيب الخير فيه علامات وليس فيه شئ من الامراض والآفات فأن ما يترأى له ليس من الشياطين او الجان وان صدقت كهانتى فهو نبى آخر الزمان ثم بعد حين من الدهر عرضت عليه السيدة خديجة الخروج فى تجارتها مع غلام لها يقال له ميسرة لما بلغها من صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وامانته ودرايته فاجابها الى ذلك فخرج مع قافلة من قوافل الشام ومعه ميسرة فلما وصل الى بصرى نزل مع ميسرة قرب صومعة بحيرا تحت شجرة هناك فرآه نسطورا الراهب وكان بحيرا قد توفى وقام هو مقامه فاتى الى ميسرة وكان بينهما مودة وتعارف فتحدثا برهة ثم شهد نسطورا لله تعالى بالوحدانية ولمحمد صلى عليه وسلم بالرسالة ثم التفت الى ميسرة فقال له يا ميسرة هذا خاتم الانبياء الذى بشر به عيسى عليه السلام واوصاه

بأن لا يقدم به الى دمشق خوفا من اعداء بنى اسرائيل عليه لمعرفتهم اياه باوصافه وسيماه واتيقنهم بزوال دولتهم على يده فاجاب ميسرة سؤال نسطورا بالسمع والطاعة فباعوا تجارتهم هناك وربحوا ضعف ماكانوا يربحون وعادوا الى مكة ودخلوا اليها وقت الظهيرة وكانت خديجة جالسة فى عليتها هى ونساء كن عندها فرأين من بين الركب رجلا يظل عليه ملكان باجنحتهما فعجبن لذلك وصرن يقلن من هذا وبينما هن فى ذلك اذ دخل عليهن ميسرة فسألنه فقال هو محمد الامين واخبر بأنه كان يشاهد ذلك وقت الحر منذ خرجوا ونقل ماقال نسطورا الراهب فى حقه عليه الصلاة والسلام وما رآه من امانته وطهارته ووفائه وبالربح الذى ربحته تجارتهم ببركته ويمن طالعه فسرت خديجة بذلك سرورا عظيما ولم يكن ذلك لما ربحته تجارتها بل كان ذلك لرجائها تحقق مابشرها به ابن عمها ورقة ابن نوفل من انها ستصير زوجة نبى آخر الزمان حين اخبرته برؤيا رأتها وكان ورقة بن نوفل امرأ تنصر فى الجاهلية وكان يقرأ التوراة والانجيل وكان ذافراسة وكياسة وحيث ان خديجة ظهر لها من كلام ميسرة ان محمدا صلى الله عليه وسلم هو نبى آخر الزمان اتخذت بعض الوسائل لأن يتزوج بها فاجاب النبى صلى الله عليه وسلم الى ذلك واجتمعت اشراف قريش فى دارها واتى النبى صلى الله عليه وسلم ومعه عمه حمزة فلما استقر

يوم المجلس خطب ابو طالب فقال * الحمد لله الذى جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسماعيل وضئضئ (اى اصل) معد وعنصر مضر وجعلنا حضنة بيته وسواس حرمه وجعل لنا بيتا محفوظا وحرما آمنا وجعلنا الحكام على الناس ثم ابن اخى هذا محمد بن عبد الله لا يوزن به رجل الارجح وان كان فى المال قل فالمال ظل زائل وامر حائل و محمد ممن قد عرفتم قرابته وقد خطب خديجة بنت خويلد وبذل لها من الصداق ما آجله وعاجله كذا من مالى وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل جسيم * فلما اتم ابو طالب خطبته تكلم ورقة ابن نوفل فقال * الحمد لله الذى جعلنا كما ذكرت وفضلنا على ما عددت فنحن سادة العرب وقادتها وانتم اهل ذلك كله لا تنكر العشيرة فضلكم ولا يرد احد من الناس فخركم وشرفكم وقد رغبنا فى الاتصال بحبلكم وشرفكم فاشهدوا على معاشر قريش بانى قد زوجت خديجة بنت خويلد من محمد بن عبد الله * وكان عمر النبى صلى الله عليه وسلم لما تزوجها خمسا وعشرين سنة وكان عمرها يومئذ اربعين سنة وهى اول امراة تزوجها ولم يتزوج غيرها حتى ماتت وكانت ايما (اى ثيبا) وكل اولاده الكرام منها الا ابراهيم فانه من ماريه وولد له عليه الصلاة والسلام منها القاسم وهو اول اولاده ومات وهو صغير وبه يكنى فيقال للنبى صلى الله عليه وسلم ابو القاسم لذلك وولد له صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاثين سنة زينب وبعدها بثلاث سنين ولدت له رقيه ثم ام كلثوم

وعند البعثة ولدت له فاطمة الزهراء وكانت احب اولاده اليه وقد اشتهر وصفها رضى الله عنها بسيدة النساء وولد له عليه الصلاة والسلام بعدها عبد الله وتوفى وهو صغير وبعد تزوجه صلى الله عليه وسلم بخديجة كان حلف الفضول وذلك ان قريشا كان حكمها على نسق حكم الجمهورية وكانت تعتنى بايصال كل ذى حق الى حقه فاجتمعوا فى مجلس عظيم وتحالفوا على ان يردوا الفضول الى اهلها اى تعاهدوا على ان يردوا الحقوق التى اخذت ظلما الى اربابها وان يكونوا مع المظلوم حتى يؤدى اليه حقه وحضر صلى الله عليه وسلم هذا الحلف وهو اشرف حلف وقع فى الجاهلية * ولما بلغ صلى الله عليه وسلم خمسا وثلاثين سنة عزمت قريش على تجديد بناء الكعبة بسبب تضعضعها بالسيل وان تصرف فى بنائها من اموالها ما تعرف انه حلال حيث ان ماكان فى خزينة الكعبة من الاموال المهداة اليها قد سرق بعض اللصوص اكثره وعثروا عليه فقطعوا يده ولم يبق من مال الكعبة الا القليل فشرعوا فى بنائها حتى بلغ البنيان موضع الحجر الاسود فاختصموا فيه لان كل قبيلة ارادت ان ترفعه الى موضعه حتى تواعدوا للقتال وتعاقدوا على الموت ثم رجعوا عن ذلك واتفقوا على ان يحكموا اول داخل من باب الحرم فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأوه قالوا هذا الامين قد رضينا به فلما انتهى اليهم اخبروه الخبر فقال هلموا ثوبا فاتى به فاخذ الحجر الاسود فوضعه فيه بيده ثم قال لتاخذ كل قبيلة

بطرف من اطراف الثوب ثم ارفعوا جميعا ففعلوا حتى بلغوا به موضعه فوضعه بيده وبين ارائه وتدبيره رفع الله عنهم ما كان يخشى وقوعه من سفك الدماء * ولما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم سبعا وثلاثين سنة صار يأتيه الهاتف ويناديه يا محمد وصار يتراأى له النور ولم يخبر بهذا الامر غير زوجته السيدة خديجة رضى الله عنها وقد آمن بالنبي عليه الصلاة والسلام قبل بعثته اناس منهم قس بن ساعدة الايادي وكان حكيما مقرا بالبعث والحساب عاش دهرا طويلا وكان نصرانيا مقرا لله بالوحدانية تضرب بحكمته الامثال وتكشف به الاهوال وكان يسيح على منهاج المسيح يتقفر اقفر ولا تكنه دار ومما يدل على ذلك خطبته التى خطب بها فى عكاظ وهى ايها الناس اجتمعوا واسمعوا وعوا واذا وعيتم شيأ فانتفعوا انه من عاش مات ومن مات فات وكل ما هو آت آت مطر ونبات وارزاق واقوات وجمع واشتات وآيات بعد آيات ان فى السماء لخبرا وان فى الارض لعبرا نجوم تغور وبحار تفور وسقف مرفوع ومهاد موضوع اقسم بالله قسما لا اثما ولا آثما ان لله دينا احب من دينكم الذى انتم عليه ونبيا قد اظلكم اوانه وادرككم اباته فطوبى لمن ادركه فآمن به وهداه وويل لمن خالفه وعصاه ثم قال مالى ارى الناس يذهبون ولا يرجعون ارضوا بالمقام فاقاموا ام تركوا هناك فناموا يامعشر بنى آدم اين الآباء والاجداد واين المرضى والعواد طحنهم الثرى بكلكله ومزقهم

الدهر بتطاوله كلا بل هو الله الواحد المعبود ليس بوالد ولا مولود

في الذاهبين الاولين * من القرون لنا بصائر
لما رايت مواردا * للقوم ليس لها مصادر
ورايت قومي نحوها * تمضي الاصاغر والاكابر
لا يرجع الماضي الى * ولا من الباقين غابر
ايقنت انى لا محا * لة حيث صار القوم صائر

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم حاضرا اذ ذاك ولم يشعر ذلك الصادي بان المورد العذب الذي تعطش اليه كان في ذلك النادي ولم تمض الامدة قليلة حتى بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوفي هو قبل ذلك بقليل ولما قدم الجارود بن عبد الله الايادي على النبي صلى الله عليه وسلم مسلما هو وقومه وكان في الجاهلية موحدا لله تعالى على شريعة عيسى عليه السلام سأله النبي صلى الله عليه وسلم عن قس بن ساعدة فقال هلك واني كنت من خواص اصحابه وممن يقتفي آثاره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل فيكم يا معشر المهاجرين والانصار من يحفظ خطبته في سوق عكاظ واشار الى هذه الخطبة البديعة ذات الحكم والامثال القليلة الشبه والمثال فوثب ابو بكر رضي الله عنه قائما فقال انا يارسول الله كاني انظر اليه بسوق عكاظ على جمل له احمر وهو يقول وقرأ الخطبة المذكورة بتمامها فقام بعض اصحاب الجارود فانشد ابياتا لقس بن

ساعدة يبشر فيها بظهور النبي صلى الله عليه وسلم من بني هاشم في الحرم فقال النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله قسا اني لارجو ان يبعثه الله امة وحده وها نحن نشرع في مبحث البعثة وما ظهر بعدها من الاحوال

(مبحث البعثة المحمدية)

ولما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم اربعين سنة آتاه الله تعالى النبوة ولما بلغ ثلاثا واربعين ارسله الله تعالى رحمة للعالمين واول مابدئ به من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم فكان لايرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح وحبب اليه العزلة والانفراد فكان يخلي في غار حراء يتعبد فيه الليالي ذوات العدد وبيناهو في حراء اذ جاءه جبريل عليه السلام فقال اقرأ فقال ماانا بقارئ فاخذه فغطه حتى بلغ منه الجهد ثم ارسله فقال ثانيا اقرأ فقال ماانا بقارئ فاخذه فغطه الثانية حتى بلغ منه الجهد ثم ارسله فقال ثالثا اقرأ فقال ما انا بقارئ فاخذه فغطه الثالثة حتى بلغ منه الجهد ثم ارسله فقال * اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم * فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده لكونه اول ماجاءه من الوحي حتى دخل على خديجة فقال زملوني زملوني فزملوه اي غطوه بالثياب حتى ذهب عنه الروع والدهشة فقال ياخديجة مالي واخبرها الخبر فانطلقت به خديجة حتى اتت به ابن عمها ورقة بن نوفل وكان قد تنصر في الجاهلية وكان يقرأ التوراة

والانجيل فقالت أي ابن عم اسمع من ابن اخيك فقال له ورقة ماترى
فاخبره النبي صلى الله عليه وسلم بما رآه فقال له ورقة هذا الناموس
الذى انزل على موسى ياليتنى فيها جذعا (اى ياليتنى كنت شابا
عند ظهور النبوة حتى ابالغ فى نصرتها) ليتنى اكون حيا حين
يخرجك قومك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اومخرجى
هم فقال ورقة نعم لم يأت رجل قط بما جئت الا عودى وان يدركنى
يومك انصرك نصرا مؤزرا (عظيما بليغا) تنبيه الغط والغمس
فى اللغة سواء فاستعار ذلك لما غشيه به الملك من أمر الله
فكأنه مغطوط فيه كغط الانسان فى الماء حتى اجهده
ذلك وقيل ان الغط يستعمل فى موضع الغمز والضم ثم فتر
الوحى بعد ذلك وانقطع مجئ جبريل فحزن النبى عليه الصلاة
والسلام حزنا عظيما وضاق صدره فصار يأتيه احيانا اسرافيل
عليه السلام ببعض الكلمات من الوحى حتى مضى ثلاث
سنين ثم جاءه جبريل عليه السلام فناداه فنظر عن يمينه فلم ير
شيأ ونظر عن شماله فلم ير شيأ ونظر خلفه فلم ير شيأ فرفع راسه
فراى جبريل عليه السلام فلم يثبت له واعتراه مااعتراه اولا من
الروع والدهشة فاتى خديجة فقال دثرونى دثرونى فدثروه فجاءه
جبريل عليه السلام وتلا عليه * يا ايها المدثر قم فانذر وربك فكبر وثيابك
فطهر والرجز فاهجر ولا تمنن تستكثر ولربك فاصبر * وهذ مبدأ
الرسالة المحمدية ثم تتابع الوحى بعد ذلك وصار القرآن الكريم
ينزل شيأ فشيأ وبقى الامر كذلك عشرين سنة وفيها

تمت احكام الشريعة المحمدية التي نسخت جميع الشرائع وامر باتباعها الانس و الجان وختم بصاحبها امر النبوة والرسالة فلا يأتي بعده رسول او نبي ونوفي ورقة بن نوفل قبل زمن الرسالة كما كشف له من ذلك ولم يحظ بان يكون من اصحاب النبي الذين هم افضل الخلائق بعد الانبياء غير انه كان من اهل الجنة لاعتقاده بوحدانية الله تعالى ورسالة عيسى عليه السلام ومن جاء قبله من الانبياء وهذا كاف في النجاة لمن لم يدرك وقت ارسال نبينا عليه الصلاة والسلام * واول من آمن بالله تعالى وبرسالة محمد صلى الله عليه وسلم بعد البعثة وصدقه صديقة النساء خديجة وآمن بعدها ابو بكر الصديق وعلى المرتضى رضى الله عنهما وكرم وجههما وكان على حين اسلم صبيا في حجر النبي صلى الله عليه وسلم وتحت تربيته وكان يكتم ايمانه وكان ابو بكر رضى الله عنه من زمان الجاهلية يبغض الاصنام ويمتنع من السجود لها ويعلم ان لله تعالى دينا غير دين العرب حينئذ هو الحق الا انه لم يجد هاديا يهديه اليه فلما ابتدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالدعوة للدين الحق بادر الصديق الى اجابته بدون توقف ولا تلكؤ وصار يدعو من يطمئن اليه من الناس وفي اثناء ذلك اسلم زيد بن حارثة عتيق رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اسلم بعده عثمان بن عفان والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن ابي وقاص وطلحة بن عبيد الله بدعاء ابي بكر الصديق فجاء بهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين

استجابوا له فاسلموا وصلوا فهؤلاء التسعة هم اول من اسلم من الصحابة الكرام * ثم اسلم ابو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح وابو سلمة عبد الله بن عبد الاسد والارقم بن ابى الارقم المخزومى وعثمان بن مظعون واخواه قدامة وعبد الله وعبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وهو ابن عم عمر بن الخطاب وزوجته فاطمة بنت الخطاب وخباب بن الارت وعبد الله بن مسعود وبلال الحبشى وصهيب الرومى وعمار بن ياسر ووالدته سمية وتتابع الناس فى الاسلام ارسالا من الرجال والنساء وكانت دعوة النبى صلى الله عليه وسلم فى هذه المدة خفية حتى انه لم يكن يجهر فى الصلاة بالقرآن الكريم ثم امره الله تعالى باظهار الدعوة وانزل عليه فاصدع بما تؤمر فصدع بالاسلام كما امره الله تعالى ولم يبعد منه قومه ولم يردوا عليه حتى ذكر آلهتهم وعابها وسفه آراءهم وضلال آباءهم فاجمعوا على خلافه وعداوته الا من عصم الله منهم بالاسلام وحدب عليه عمه ابو طالب وقام دونه فاشتد الامر وتضارب القوم واظهر بعضهم لبعض العداوة ثم اتى الى ابى طالب اشراف قريش منهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة بن عبد مناف وابو سفيان بن حرب بن امية وابو البخترى بن هشام بن الحارث وابو جهل بن هشام بن المغيرة وعمه الوليد بن المغيرة والعاصى بن وائل وهو والد عمرو بن العاص وقالوا يا ابا طالب ان ابن اخيك قد عاب ديننا وسفه احلامنا وضلال آباءنا فانهه عنا او خل بيننا وبينه فردهم ابو

طالب ردا حسنا واستمر صلى الله عليه وسلم على ما هو عليه فعظم عليهم واتوا ابا طالب ثانيا وقالوا ان لم تنهه والا نازلناك واياه حتى يهلك احد الفريقين فعظم عليه ذلك وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابن اخي ان قومك قالوا لى كذا وكذا فظن صلى الله عليه وسلم ان عمه خاذله فقال والله يا عم لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى شمالى ما تركت هذا الامر ان الله تعالى قد امرنى بتبليغ ما اوحى الى فانا أقوم بامر الله تعالى وما شاؤا فليفعلوا ثم استعبر فبكى وقام فناداه ابو طالب اقبل يا ابن اخى وقل ما احببت فوالله لا اسلمك ابدا وقال فى ذلك

والله لن يصلوا اليك بجمعهم * حتى اوسد فى التراب دفينا
فاصدع بامرك ما عليك غضاضة * وابشر وقر بذاك منك عيونا
ودعوتنى وزعمت انك ناصحى * ولقد صدقت وكنت ثم امينا
وعرضت دينا لا محالة انه * من خير اديان البرية دينا
لولا الملامة او حذارى سبة * لوجدتنى سمحا بذاك مبينا

وكان للقرابة مقام عظيم عند العرب فى التناصر والتعاضد والتعاون لم يكن عند غيرهم وكانت القبيلة كالجسم الواحد تعد اهانة الواحد منها اهانة لجميعها وكم انتشب الحرب بين قبيلتين بسبب شخص واحد الا انه بعد ظهور الاسلام صار الاتفاق فى الدين اعظم اسباب التناصر والتعاضد حتى كان المؤمنون كالبنيان المرصوص

وبمقدار ما كان لابى طالب من المحبة والحماية لرسول الله صلى الله

عليه وسلم كان لعمه ابي لهب من البغض والمكايدة له حتى كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يطوف على الناس يتلو عليهم القرآن
ويأمرهم ان يعبدوا الله ولا يشركوا به شيأ وابو لهب وراءه
يقول ايها الناس ان هذا يأمركم ان تتركوا دين آبائكم واجدادكم
فلا تغتروا به ولا تصغوا اليه وكانت زوجته أم جميل اخت ابي
سفيان مثله في ايذاء رسول الله صلى الله عليه وسلم باليد واللسان
حتى كانت تاخذ عيدانا ذات شوك وتلقيها ليلا في طريق رسول
الله صلى الله عليه وسلم لاجل ان يعثر بها ويشاك وكان عتبة
وعتيبة ابنا ابي لهب قد عقد لهما قبل البعثة على ابنتي رسول الله
صلى الله عليه وسلم رقية وام كلثوم الاول للاولى والثاني للثانية
فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم صارا شديدي العداوة له
اشركهما واقتداء لاثر ابيهما ولما نزل قوله تعالى وانذر عشيرتك
الاقربين خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صعد على الصفا
ودعا قريشا فاجتمعوا اليه فعم وخص ونادى يابني فلان ويا بني فلان
فاصغوا اليه وانتظروا ما يقول فقال أرأيتكم لو اخبرتكم ان
خيلا تخرج في سفح هذا الجبل اكنتم مصدقي قالوا ماجربنا عليك
كذبا فقال صلى الله عليه وسلم اني نذير لكم بين يدي عذاب
شديد فقال ابو لهب تبالك الهذا جمعتنا فنزلت سورة تبت
يدا ابي لهب وتب فلما سمع بذلك ابو لهب اشتد غضبه
بسبب ماذكر في هذه السورة من حاله وحال زوجته وتلقيبها
بحمالة الحطب ونادى ولديه عتبة وعتيبة وامرهما ان

يلينا بنتي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكونا دخلا بهما فاجابا
الى مابه امر وحرما من شرف هذه المصاهره التي تمناها النيران
الشمس والقمر ولم يكتف عتيبة بذلك بل ذهب الى النبي صلى
الله عليه وسلم وقال له انا كافر بدينك واني لا احبك ولذلك
فارقت ابنتك وهجم على رسول الله صلى الله عليه وسلم واخذ
بجربان قميصه ومزقه فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فافترسه اسد في الزرقاء وهو
ذاهب الى الشام وزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم رقية رضى
الله عنها بعد ذلك عثمان بن عفان رضى الله عنه فلما توفيت زوجه ام
كلثوم رضى الله عنها ولقب رضى الله عنه بذى النورين لتزوجه
بهاتين السيدتين الطاهرتين الزهراوين وصاهر رسول الله صلى الله عليه
وسلم ابو العاص تزوج بنته الطاهرة زينب وكان ابن خالتها ولما بعث النبي
عليه الصلاة والسلام لم يسلم ففرق بينهما ثم ان الله تعالى هداه فدخل في
دين الاسلام فردها اليه ولما مات القاسم وعبد الله ابنا النبي صلى الله عليه
وسلم ولم يكن له من الاولاد الذكور غيرهما شمت كفار قريش فقالوا لم
يبق لمحمد ولد يخلفه ويقوم مقامه فاذا مات نسي اسمه فانزل الله تعالى
انا اعطيناك الكوثر ردا عليهم واشارة الى ان النبي صلى الله عليه وسلم
يفنى الزمان ولا يفنى ذكره وان بقاء شريعته اعظم في بقاء اسمه وذكره
من بقاء ولده وان امته الطاهرة هي بمنزلة اولاده واحفاده وانه
ابو المؤمنين كما ان ازواجه امهاتهم ومعنى الكوثر الخير الكثير
على ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يأت ليكون ملكا على الناس

وحاكما عليهم حتى يأسف لفقد الاولاد الذكور الذين يقومون مقامه فى الملك بل جاء لانقاذ الناس وتخليصهم من الشرك والضلال الموجبين للعذاب والنكال وهدايتهم بشرعه الذى لاينسخ الا فى الدفتر الى مايوجب السعادة فى الدنيا واليوم الآخر حتى ان عدم بقاء اولاده الذكور وتناسلهم ربما كان لدفع هذا الوهم الذى يخطر للكفار من سوء الفهم فالنبى عليه الصلاة والسلام لم يأت ليكون ملكا بل اتى ليكون نبيا * ولما خافت كفار قريش من انتشار الاسلام وفشوه وميل المنصفين من الناس اليه لما فيه من المحاسن التى تعشقها الطباع السليمة ولما قام على انه الدين الحق من البراهين القوية اقبلوا على من آمن يعذبونهم ويؤذونهم ليردوهم عن دينهم حتى انه مر عدو الله ابو جهل بسمية ام عمار بن ياسر وهى تعذب فطعنها بحربة فى فرجها فقتلها وعذبوا بلالا الحبشى اشد العذاب وكان اول من اسلم من العبيد فجعلوا فى عنقه حبلا ودفعوه الى الصبيان يطوفون به فى شعاب مكة ويلعبون به حتى اثر الحبل فى عنقه وهو يقول احد احد ولم يكتف ابو بكر رضى الله عنه باظهار اسلامه فقط بل كان يسعى فى دعوة الناس اليه واذا مر باحد من العبيد المسلمين يعذب اشتراه منهم واعتقه وقد منعه الله تعالى بقومه كما منع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعمه ابى طالب غير ان كفار قريش اذا امكنتهم فرصة فى ايذائهما اغتنموها * ولما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان كفار قريش يزدادون يوما فيوما فى ايذاء اصحابه اذن

لهم فى السفر الى بلاد الحبشة وذلك سنة خمس من النبوة فهاجر عثمان بن عفان رضى الله عنه وزوجته رقيه بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم والزبير بن العوام وعثمان بن مظعون وعبدالله بن مسعود وعبدالرحمن بن عوف وركبوا البحر الى النجاشى ملك الحبشة ثم هاجر جعفر بن ابى طالب فاكرم النجاشى مثواهم واحسن اليهم وآواهم وكان حينئذ نصرانيا ثم تتابع المسلمون فى الهجرة فلما رأت قريش استقرارهم فى الحبشة وامنهم ارسلوا عمرو بن العاص وعبدالله بن ابى ربيعة ومعهما هدية فلما وصلا طلبا من النجاشى رد من هاجر اليه فلم يجبهما لذلك ورد هديتهما فرجعا خائبين واقام المسلمون فى جوار النجاشى آمنين * اسلام حمزة رضى الله عنه * وفى سنة ست من النبوة اسلم حمزة بن عبدالمطلب عم النبى صلى الله عليه وسلم وسبب اسلامه ان النبى صلى الله عليه وسلم كان عند الصفا فمر به ابو جهل فشتم النبى صلى الله عليه وسلم فلم يكلمه وكان حمزة فى القنص والصيد فلما حضر اخبرته جارية لعبدالله ابن جدعان فاشتد غضبه وغلا فيه دم القرابة فقصد البيت ليطوف به وهو متوشح قوسه فوجد اباجهل قاعدا مع جماعة فضرب حمزة بالقوس فشجه ثم قال اتشتم محمدا فقامت رجال من بنى مخزوم لينصروا اباجهل فقال ابو جهل دعوه فانى سببت ابن اخيه سبا قبيحا ولم يقصد ابو جهل بما فعل من التغاضى عن حمزة الا اطفاء الفتنة وخوفا من ان تحمل الحدة حمزة على الاسلام فيزداد اهله قوة ومنعة لما كان عليه حمزة من عزة الجانب

وشدة الشكيمة وقوة البأس والا فقد كان ابو جهل فى قريش كبيرا مطاعا نافذ الكلمة قل ان يساويه احد فى ذلك ونظيره فى ذلك عمر بن الخطاب ولذلك قال عليه الصلاة والسلام (اللهم اعز الاسلام بعمر بن الخطاب او بابى الحكم بن هشام) اى ابى جهل فلم يكن ابو جهل ايغضى طرفه عن شج راسه لولا خوفه وخشيته من انحياز حمزة الى حزب النبى صلى الله عليه وسلم وحرصه على عدم اسلامه الا ان ذلك لم يفده شيأ فان حمزة قد كتبت له السعادة فى الازل فاتى النبى صلى الله عليه وسلم وسلاه عما حصل له من ابى جهل واخبره بما فعل بابى جهل ليقر عينه فاخبره النبى صلى الله عليه وسلم بانه لاتقر عينه الا باسلامه فشرح الله صدر حمزة للاسلام فاسلم وقال حين اسلم شعرا

حمدت الله حين هدى فؤادى * الى الاسلام والدين الحنيف
لدين جاء من رب عزيز * خبير بالعباد بهم لطيف
اذا تليت رسائله علينا * تحدر دمع ذى اللب الحصيف
رسائل جاء احمد من هداها * بآيات مبينة الحروف
واحمد مصطفى فينا مطاع * فلا تغشوه بالقول العنيف
فلا والله نسلمه لقوم * ولما نقض فيهم بالسيوف

فلما سمعت قريش بذلك اسفوا اسفا شديدا وعلموا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عز به وكفوا عنه قليلا

(﴿ اسلام عمر بن الخطاب رضى الله عنه ﴾)

لما اسلم حمزة رضى الله تعالى عنه اجتمعت قريش يتشاورون في امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ويلتمسون طريقا لعدم فشو الاسلام فاشار كل واحد منهم بما راى فقال ابو جهل الرأى عندى قتل محمد وما سوى ذلك لا يفيد وانى امنح من يفعل ذلك كذا بعيرا و كذا درهما فقام عمر بن الخطاب وكان حينئذ مشركا شديد العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انا لها فقالت قريش انت لها يا عمر وقصدوا بهذا القول حضه وحثه واثارة حميته فمضى في طلب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متقلد سيفه فلقيه نعيم بن عبدالله النحام وكان قد اسلم قبل ذلك فقال يا عمر اين تريد فقال اعمد الى محمد هذا الذى سفه احلام قريش وعاب آلهتها وخالف جماعتها فقال نعيم ابن عبدالله يا عمر لقد فرطت انى يتيسر لك ذلك واصحاب محمد حوله ولو تيسر ذلك وفعلته فلن يتركك بنو عبد مناف تمشى على الارض (و الامر كما قال نعيم فان العرب يتناصرون بالقرابة اعظم تناصر ولم يكن عمر مفرطا بنفسه فقط بل كان مفرطا ببنى الخطاب بل بقبيلته بنى عدى فان بنى عبد مناف مؤمنهم وكافرهم يثورون عليهم جميعا لدخول القضية حينئذ في امر الثار ولا يقبلون لهم من عثار) فغضب عمر وقال لنعيم انى لاظنك انك قد صبأت (اى اسلمت واصلها ملت وكانت الكفار يقولونها في حق من اسلم) ولو اعلم ذلك لبدأت بك ووضع يده على مقبض سيفه فلما راى النحام

انه غير منه قال له فاني اخبرك ان اختك فاطمة بنت الخطاب
وزوجها ابن عمك سعيد بن زيد قد اسلما وتركاك وما انت عليه
فاضطرب عمر لذلك وانطلق حتى اتى دار اخته فلما وصل الى
الباب انصت فسمعهم يتلون بعض آيات من سورة طه وعندهما
خباب بن الارت يتدارسون معه فدخل عليهم عمر وعلائم الغضب
لائحة على وجهه فلما شعروا به ارتاعوا لذلك وسكتوا واخفوا
الصحيفة واختبأ خباب في جهة من جهات الدار فسألهم
عمر عما سمعه فانكروه فقال عمر قد صح ما بلغني من انكما صبأتما
واغتررتما بسحر محمد فبطش بابن عمه سعيد ووطئه وطأ شديدا
وهو غضبان فقامت اليه اخته تحجزه عن زوجها فنفحها عمر
بيده فشجها فلما رأت الدم قالت اتضربني على ان اوحد الله عز
وجل وأؤمن بنبيه ذي المعجزات الباهرة قال نعم قالت والله اسلمنا
ونشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله على رغم انفك
فاصنع ما انت صانع فلما سمع ذلك عمر سقط في يديه ولم يدر ماذا
يفعل ثم قال اريني ما كنتم تقرؤنه فخافت اخته على الصحيفة
وقالت نعدمها فاعطاها العهد على انه يردها اليها فدفعتها اليه
فقرأها فاذا فيها * طه ما انزلنا عليك القرآن لتشقى الا تذكرة لمن
يخشى تنزيلا ممن خلق الارض والسموات العلى الرحمن على
العرش استوى له ما في السموات وما في الارض وما بينهما وما
تحت الثرى * فقال عمر عند هذه الآية ينبغي لمن يكون له هذا
ان لا يعبد معه غيره ثم قال لاخته وقد استولت عليه الحيرة ان لنا

كذا وكذا من الاصنام المحلاة المزخرفة ولا يملك واحد منها مقدار ذرة فى الارض ثم قرأ * وان تجهر بالقول فانه يعلم السر واخفى الله لااله الا هو له الاسماء الحسنى * فقال عمر اشهد ان لااله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله فلما سمع ذلك خباب خرج اليه من جوف البيت وقال قد سبقت فيك دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اعز الاسلام بعمر بن الخطاب او بابى الحكم بن هشام فقال اين موضع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا هو بدار عند الصفا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مختفيا هناك ومعه اصحابه الكرام فقال عمر يا خباب انطلق بنا فنهض خباب وسعيد معه حتى اتوا ذلك المنزل فدقوا الباب فخرج بعض اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر فى شق الباب فرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله هذا عمر فارتاع بعض الصحابة من ذلك فقال حمزة رضى الله تعالى عنه مالكم قد اعتراكم الروع افتحوا له الباب فان جاء بخير قبلناه وان جاء بشر قتلناه ففتح له الباب فلما دخل اخذ اثنان من الصحابة بعضديه خوفا من ان يكون نوى الغدر برسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآه رسول الله عليه الصلاة والسلام صار يتبسم وقال لمن امسك بيديه أرسلوه وكان جبريل قد اتاه قبل ذلك واخبره باسلام عمر فارسلوه فاستقبله رسول الله صلى الله عليه وسلم واخذ بساعده وقال اسلم يا عمر فجثا على ركبتيه واتى بكلمتى الشهادة فكبر الصحابة تكبيرا سمعها اهل مكة وفرحوا فرحا عظيما لعلمهم بان اسلامه

سبب عز المسلمين وقوة شوكة الموحدين لاسيما وقد انضم الى اسلام اسد الله حمزة وكان اسلامه قبل اسلام عمر بثلاثة ايام ولما اسلم عمر رضى الله تعالى عنه قال كم اصحابنا فقالوا نحن تسعة وثلاثون وبك اربعون فقال عمر رضى الله تعالى عنه لا ينبغى ان نكتم هذا الدين ونخفيه والله لنحن بالاسلام احق ان ننادى منا بالكفر فلنظهرن بمكة دين الله فان اراد قومنا بغيا علينا ناجزناهم وان قومنا انصفونا قبلنا منهم هلموا بنا الى المسجد الحرام فخرج الصحابة يقدمهم عمر ويتلوه على وبعدهما رسول الله صلى عليه وسلم وابو بكر عن يمينه وحمزة عن شماله وسائر الصحابة خلفه حتى دخلوا المسجد فلما نظرت قريش قالوا لقد اتاكم عمر مسرورا وكانوا ينظرون عوده ليخبرهم بما جرى فقال بعضهم انظروا الى عمر فانه قد جر المسلمين خلفه فقال ابو جهل وكان اخا ابليس فى الفطنة والفتنة انى لأرى عمر قد جاءكم بغير الوجه الذى ذهب به ثم اتى اليه فقال ماوراءك ياعمر فقال عمر رضى الله عنه لااله الا الله محمد رسول الله فسيئت وجوه الذين كفروا وسقط فى ايديهم وشرعت الصحابة فى العبادة جهارا امام اعينهم

(* مبحث تحزب قريش على بنى هاشم *)

ولما رأت قريش عزة النبى صلى الله عليه وسلم بمن معه واسلام عمه حمزة واسلام عمر بن الخطاب وعزة اصحابه بالحبشة وفشو الاسلام فى القبائل اجمعوا على ان يقتلوا النبى صلى الله عليه وسلم فبلغ ذلك اباطالب فارسل الى بنى هاشم يسألهم ان يكونوا معه

في منع رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن اراد به سوأ فاجابوا لذلك حتى كفارهم فعلوا ذلك حمية على عادة الجاهلية ولما بلغ قريشا عزم بني هاشم جميعا على حماية النبي صلى الله عليه وسلم اجتمعوا وتعاهدوا على بني هاشم على ان لايتزوجوا منهم ولا يزوجوهم ولا يبيعوهم ولا يبتاعوا منهم وان لايخالطوهم و يحدثوا معهم ولا تأخذهم بهم رأفة حتى يسلموا النبي صلى الله عليه وسلم وكان ذلك سنة سبع من النبوة فانحاز بنوا هاشم الى ابي طالب ودخلوا معه في شعبه الا ابالهب فانه خرج من بني هاشم الى قريش مظاهرا ومساعدا (وشعب ابي طالب هومحلة من محلات مكة بها مساكن بني هاشم و بها ولد النبي عليه السلام وكانت اولا يقال لها شعب عبد المطلب فلما توفي وانتقلت الرياسة من بعده الى ابنه ابي طالب قيل له شعب ابي طالب) فبقوا اكثر من سنتين محصورين في الشعب حتى جهدوا وكان لايصل اليهم شئ الا سرا وكان احدهم اذا خرج الى السوق رأى من اذى قريش مالا يطاق واذا اراد احد من التجار ان يبايعهم ايام الموسم منعوه وكانوا رضي الله عنهم لايستطيعون ان يذهبوا الى حيث شاؤا خوفا من اغتيال قريش لهم الا حمزة وعمر وابا بكر فانهم كانوا ينطلقون حيث شاؤا اما حمزة فانه كان يذهب تحت ظل سيفه البتار و اما عمر فقد اتخذ لكف الاذى كفه فاذا تحرشوا به يضربهم و يضربونه حتى يكلوا او يملوا واما ابو بكر فكان مرعى الجانب في قومه جدا فلم يكن احد يمسه بسوء وكان يصلي امام الكفار و يدعو للاسلام

من يتفرس فيه علائم الفلاح وكان يعلم استثقال قومه لذلك غير انه لم يكن يبالى به فكان مقبلا على ما فيه رضاء مولاه غير مبال بأحد سواه * وقبل ان يخرجوا من الحصر ظهرت معجزة انشقاق القمر وذلك ان بعض كفار قريش جاؤا الى النبي صلى الله عليه وسلم فى ليلة مقمرة فقالوا ان كنت صادقا فشق لنا القمر فرقتين فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم ان فعلت تؤمنون قالوا نعم فسأل الله ان يعطيه ماقالوا فانشق القمر فرقتين (قسمين) فبقيت فرقة وذهبت فرقة من وراء جبل حراء حتى رأوه بينهما فقال صلى الله عليه وسلم اشهدوا فقالت كفار قريش سحرنا محمد فقال بعضهم ان كان سحرنا فانه لايستطيع ان يسحر الناس كلهم فانتظروا المسافرين فلما قدم بعض المسافرين سألوهم فاخبروهم بذلك فقالوا سحر مستمر فانزل الله تعالى * اقتربت الساعة وانشق القمر وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر * والعجب العجاب من كفار قريش يرون مثل هذه المعجزة الباهرة ثم لايؤمنون ويدعون حسدا وبهتانا ان ذلك سحر واعجب من ذلك عزمهم على منع انتشار الاسلام وقد ظهرت انواره ظهور البدر التمام ولم يعلموا ان ماأراد الله اظهاره فلا يستطيع احد ان يخفيه وما اوقده الله تعالى فلا يستطيع احد ان يطفيه ولو علموا ذلك لم يبذلوا جهدهم فى تعذيب من اسلم باشد العذاب حتى حمل ذلك اكثرهم على ركوب غارب الاغتراب وجعل الباقين فى شعب ابى طالب تحت الحصر يلاقون اعظم شدة واصر وماضرهم وشانهم لو تركوا

المسلمين وشانهم وكيف يلزمونهم بترك دين اوضح برهانا من الصباح يرون ان التمسك به سبب الفلاح وكأنهم ظنوا ان كل النفوس ترضى بجحد الحق اذا خشيت ضررا ولم يدروا بأن من النفوس مالا ترضى بذلك ولو ذهبت دماؤها هدرا وكيف لايجودون بارواحهم في سبيل دين الاسلام وهم يعلمون انه سبب تنعمها في دار السلام ولذلك ذهب سعى كفار قريش سدى وصار المسلمون يزدادون وقتا فوقتا عددا ولم يصر على الكفر من طرح عنه رداء العناد والاستكبار لظهور مايدل على صدق النبي عليه السلام ظهور النهار فمن ذلك انه نشأ بين قوم ليس لهم كتاب ولم يعهد اشتغالهم بالعلوم والفنون مثل الروم واليونان ولم يغب عن قومه مدة يتيسر بها تحصيل شئ منها وكان أميا لايقرأ ولايكتب ثم اتى قومه بغتة بعلوم ومعارف لم تكن بينهم معروفة وابان لهم عن كثير من المسائل التى لم تصل اليها افهام الحكماء في الوف من السنين واتاهم بشرع لم يغادر من الاحكام صغيرة ولا كبيرة الا احصاها وجاءهم بدين حوى من المحاسن اقصاها حتى سلم من انصف ممن لم يحظ بالاسلام بان ماتى به لم يات بمثله من قبله ومن بعده من الانام ولو لم يكن الا هذه الاحوال لكانت دليلا وافيا على نبوته وصدق رسالته والحال انه قد ظهرت على يده معجزات ابهى من الشمس وابهر يعسر استيفاؤها بل يتعذر وسيأتى ذكر بعض منها في اثناء مباحث هذا الكتاب ولنذكر هنا معجزته العظمى التى لم تزل باقية

ولا تزال كذلك وهى القرآن الكريم فنقول ان الله تعالى جعل معجزات الانبياء عليهم السلام فى كل عصر من جنس مايكثر فيه رفعا للشبهة وتقوية للحجة فلما غلب السحر فى زمن موسى عليه الصلاة والسلام جاءهم بجنسه ففلق البحر وقلب العصى ثعبانا فلقف حبال السحرة وعصيهم فعرف اهل ذلك العصر ان هذا امر الهى فوق السحر فآمن من انصف منهم ولما غلب الطب فى زمن عيسى عليه السلام جاءهم بجنسه فاحيى الموتى وابرأ الاكمه والابرص فعرف اهل ذلك العصر ان هذا امر الهى فوق ماتقتضيه صناعة الطب فآمن من انصف منهم ولما غلبت الفصاحة وقول الشعر والنظم والنثر فى زمن نبينا عليه الصلاة والسلام وصارت العرب من اهل البدو والحضر تتباهى بذلك وتتفاخر به ووصلت فيه الى الطبقة العليا حتى كان منهم من ياتى ارتجالا بالقصيدة الطويلة الفائقة والخطبة الوافية الرائقة وناهيك بالمحافل التى كانوا يعقدونها فى سوق عكاظ للمسابقة فى ميادين البيان والقصائد التى علقوها على الكعبة اشارة لما للفصاحة عندهم من علو الشان جاءهم محمد عليه السلام بالقرآن الكريم وابان لهم انه كلام خالق الاكوان وصار يتحداهم وطلب منهم ان يأتوا بمثله ان زعموا انه من كلام البشر فنكلوا عنه وعجزوا عن الاتيان بمثله ثم تحداهم بان ياتوا بعشر سور مثله فعجزوا ثم تحداهم بان يأتوا بسورة من مثله فعجزوا وكان فى جميع ذلك ينادى عليهم بالعجز عن المعارضه وبالتقصير عن بلوغ

الغرض فى المناقضة صارخابهم على رؤس الاشهاد ليكون ذلك ادعى لابراز ماعندهم من الهمة والاجتهاد يتلو عليهم تارة قوله تعالى * قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا * وتارة قوله تعالى وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة اعدت للكافرين * فلم يستطيعوا ان يأتوا ببنت شفه وظهر للخاص والعام عجزهم عن الاتيان به على تلك الصفه ثم بادروا للمقارعة بالسيوف عوضا عن معارضة الحروف

ووجه اعجاز القرآن قدافرده بالتأليف علماء البيان ولم تزل المفسرون الاعلام يبحثون عما فى كل آية من نكت البلاغة ودقائق المسائل فيجدون انهم قد دخلوا فى بحر ليس له ساحل ولم تزل كل طبقة تستدرك على من قبلها وتعترف على كثرة مااستخرجت بأنها لم تستخرج من خبايا كنوزه الا اقلها ومن لم يساعده الدهر بالوقوف على وجوه اعجاز القرآن الكريم تفصيلا فيكفيه معرفته بأن كلام البلغاء وان صيغ احسن صياغه وبلغ درجة علية من البلاغه تسأم منه النفوس اذا تكرر واعيد مرات لما جبلت عليه من معاداة المعادات بخلاف القران الكريم فانه كلما تكرر يزداد حلاوة ورونقا وطلاوه وكل مرة يرتع البليغ منه فى روضـــة

يانعة غضة الزهر ويقطف منها مالم يعهده قبل ذلك من الثمر وحسبك ان العرب العرباء مع شدة نفوسهم واباءها لم يسعهم الا الاعتراف بانه كلام لايعارض ولا يرد ويناقض الا ان منهم من حمله الانصاف على الايمان بانه كلام الله تعالى فاسلم ومنهم من حمله التعصب والحسد على البقاء على الكفر بعد ان اذعن لاعجازه وسلم

وقد ورد من الاخبار فى قراءة النبى صلى الله عليه وسلم بعض مانزل عليه على المشركين الذين كانوا من اهل الفصاحة والبلاغة واقرارهم باعجازه جمل كثيرة فمن ذلك ماروى ان الوليد ابن المغيرة وكان زعيم قريش فى الفصاحة قال للنبى صلى الله عليه وسلم اقرأ علىّ فقرأ عليه * ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون * فقال الوليد والله ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اسفله لمغدق وان اعلاه لمثمر وما يقول هذا بشر ثم ذهب الى قومه فقال لهم والله مافيكم رجل اعلم منى بالاشعار ولا اعلم برجزه ولا باشعار الجن والله مايشبه الذى يقول شئ من هذا

ومن ذلك ماروى ان عتبة بن ربيعة قال ذات يوم وهو جالس فى نادى قريش ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس وحده فى المسجد يامعشر قريش الا اقوم الى هذا فاعرض عليه امورا لعله ان يقبل منها بعضها ويكف عنا قالوا بلى ياابا الوليد فقام عتبة حتى جلس الى رسول الله صلى الله

عليه وسلم فقال يا ابن اخي انك منا حيث قد علمت من السطة (كونك وسطا وخيرا) في العشيرة والمكان في النسب وانك قد اتيت قومك بامر عظيم فرقت به جماعتهم وسفهت به احلامهم وعبت به آلهتهم ودينهم وكفرت من مضى من آبائهم فاسمع مني اعرض عليك امورا تنظر فيها لعلك ان تقبل منها بعضها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قل يا ابا الوليد اسمع فعرض عليه امورا كثيرة منها المال والملك فلما فرغ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم افرغت يا ابا الوليد قال نعم قال فاسمع مني قال أفعل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرؤها عليه حتى انتهى الى السجدة فسجد فيها ثم قال سمعت يا ابا الوليد قال سمعت فانت وذاك فقام عتبة الى اصحابه فقال بعضهم لبعض نحلف بالله لقد جاءكم ابو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به (لشدة تغيره بما سمع) فلما جلس اليهم قالوا ماوراءك يا ابا الوليد قال اني والله سمعت قولا ما سمعت بمثله قط والله ماهو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة يامعشر قريش اطيعوني خلوا بين هذا الرجل وبين ماهو فيه واعتزلوه فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت نبأ فان تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم وان يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم وكنتم اسعد الناس به قالوا سحرك والله يا ابا الوليد بلسانه فقال هذا رأيي لكم فاصنعوا مابدا لكم

وروى ان الوليد بن المغيرة جمع قريشا مرة عند حضور موسم الحج وقال ان وفود العرب ترد فاجمعوا فيه رأيا لا يكذب بعضكم بعضا (وكان من دأب النبي عليه السلام فى كل سنة ان يخرج فى الموسم الى قبائل العرب ويدعوهم الى الله تعالى وينذرهم ويتلو عليهم مما انزل عليه من القرآن فكان فى كل مرة يؤمن به اناس ممن كتبت لهم السعادة فى الازل وصار عدد من يؤمن يزداد يوما فيوما فخشى الوليد من ذلك اوجمع قريشا وقال لهم ما قال) فقالوا نقول كاهن قال والله ما هو بكاهن ما هو بزمزمته ولا سجعه قالوا نقول مجنون قال ما هو بمجنون ولا بخنقه ولا وسوسته قالوا نقول شاعر قال ما هو بشاعر قد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومبسوطه ومقبوضه قالوا نقول ساحر قال ما هو بساحر ولا نفثه ولا عقده قالوا فما نقول قال ما انتم بقائلين شيأ من هذا الآ وانا اعرف انه باطل وان اقرب القول انه ساحر ثم قال فانه سحر يفرق به بين المرء وابنه والمرء واخيه والمرء وزوجه والمرء وعشيرته فتفرقوا وجلسوا على السبل يحذرون الناس عن متابعة النبي صلى الله عليه وسلم

وروى ان فتيان بنى سلمة لما اسلموا ورجعوا الى قومهم قال عمرو بن الجموح لابنه اخبرني ما سمعت من كلام هذا الرجل فقرأ عليه سورة الفاتحة فقال ما احسن هذا واجمله او كل كلامه مثل هذا قال ياابت واحسن من هذا

وسمع اعرابى رجلا يقرأ (فاصدع بما تؤمر) فسجد وقال سجدت لفصاحته

وسمع رجل آخر من المشركين رجلا من المسلمين يقرأ (فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا) فقال اشهد ان مخلوقا لايقدر على مثل هذا الكلام

وفى حديث ابى ذر ووصف اخاه انيسا فقال والله ما سمعت باشعر من اخى انيس لقد ناقض اثنى عشر شاعرا فى الجاهلية وانه انطلق الى مكة وجاءنى قلت فما يقول الناس قال يقولون شاعر كاهن ساحر ثم قال لقد سمعت ماقال الكهنة فما هو بقولهم ولقد وضعته على اقراء الشعر فلم يلتئم وما يلتئم على لسان احد بعدى انه شعر وانه لصادق وانهم لكاذبون وكان ذلك سبب اسلام ابى ذر رضى الله تعالى عنه والحاصل ان القرآن الكريم كلام خارج عن جنس كلام العرب من النظم والنثر والخطب والشعر والرجز والسجع فلا يدخل فى شئ منها ولا يختلط بها مع كون الفاظه وحروفه من جنس كلامهم ومستعملة فى نثرهم ونظامهم ولذلك تحيرت عقولهم ودهشت احلامهم وقد اختلف ملوك الكلام وامراء النثر والنظام فى انه هل يمكن ان تكون بعض الآيات ابلغ من بعض بعد ان اتفقوا على ان صفة الاعجاز موجودة فى الجميع فقال بعضهم ان بعض الآيات ابلغ من بعض واليه جنح صاحب الاصل وقال بعضهم لاتفاوت بين آياته فى البلاغة واليه يجنح مترجم الكتاب وعليه فلافرق فى البلاغة بين سورة قل ياايها الكافرون وسورة قل هو الله احد مثلا فان السورة الاولى فى الدرجة العليا من البلاغة فى اظهار البراءة من الكفر والكفرة

بحيث لا يمكن ان يعبر عن هذا المعنى باحسن من هذه العبارة كما
ان السورة الثانية فى الدرجة العليا من البلاغة فى توحيد الله
تعالى ووصفه بصفات الكمال وتنزيهه عن صفات النقصان
بحيث لا يمكن ان يعبر عن هذا المعنى باحسن من هذه العبارة
فكانت السورتان متساويتين فى البلاغة لبلوغ كل واحدة منهما
الدرجة التى لا يمكن ان يكون احسن منها غير ان متعلق السورة الثانية
افضل من متعلق السورة الاولى نظرا لكونه من مباحث علم الكلام
الذى هو اشرف العلوم لبحثه عن معرفة الله تعالى التى هى سبب السعادة
الابدية وهذا لا يوجب التفاوت فى البلاغة والذى يظهر لى ان
الخلاف بين الفريقين لفظى فان الفريق الاول لا ينازعنا فيما قلنا
والذى حملهم على ما قالوا ظنهم بان العبارة اذا كان معناها اشرف
ونكت البيان بها اكثر كانت ابلغ والحال ان ذلك ليس له مدخل
فى اصل البلاغة والا لزم ان يكون كل كلام فى الحكم والآداب
ابلغ من غيره مما يكون فى المديح والهجاء والرثاء او غير ذلك وان
يكون كل كلام تكون نكت البلاغة فيه اكثر ابلغ والحال ان المقام
والمعنى الذى يرام قد يقتضى نكتا ومزايا لا يقتضيها مقام ومعنى
آخر فلا يكون مجرد وجود تلك النكت فيه دون غيره موجبا لكونه
ابلغ ومما يدلك على ان شرف معنى العبارة او صحته لا يوجب كونها ابلغ
ان بعض الادباء قد يذم ما لا يذم فى الواقع اصلا كالعقل والعلم ويمدح ما لا
يمدح فى الواقع اصلا كالجبن والبخل تفننا واغرابا ويأتى بسحر البيان وتعد
عبارته ابلغ من عبارة من خالفه وان كان المصيب فى الواقع ويشير لما قلنا

قوله تعالى * ام يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا
من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين * ولذلك ترى أئمة
الفصاحة والبلاغة اذا راموا المفاضلة بين شاعرين او كاتبين
عمد والى قصيدتين لهما او مقالتين في معنى واحد لمقام واحد وشرعوا
في نقد مافيهما والنظر في تفاوت ما بينهما ثم يحكمون لمن حاز قصب
السبق في ميدان البيان منهما نعم يمكن التفضيل بين عبارتين
مختلفتي المعنى لكن هذا امر لايقدر عليه الا الافراد وكثيرا
مايخطئون فيه اذا كان صاحباهما متقاربين في الدرجة ولذلك
كثر الاختلاف في التفضيل بين جرير والفرزدق وبين ابي تمام
والبحتري وغيرهم نعم قد يعرض للبليغ عبارات متساوية في البلاغة
فيدرك لاحدها من المزايا مالا يدرك لغيرها لاسباب مختلفة فتأخذ
منه كل مأخذ فتثني اعطافه طربا وتوقفه في الحيرة عجبا كما وقع
ذلك لاخت امرئ القيس فانها ادركت البعثة وكانت قصيدة
اخيها لم تزل كغيرها من بقية المعلقات السبعة موضوعة على الكعبة
وصار القرآن العلي الشان ينزل ويتلى جهارا على العرب وهم في
حيرة منه وعجب الا ان تلك القصائد لم تسقط من اعينهم سقوط
الدمع بل كانوا يرعونها طرفا من السمع فلما نزل قوله تعالى
(وقيل ياارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي وغيض الماء وقضي الامر
واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين) قالت اخت
امرئ القيس لم يبق لاحد بعد هذا مقال ولا لشعر اخي في
ميدان المفاضلة مجال واتت الى الكعبة فانزلت معلقة اخيها

امرئ القيس واظهرت بذلك مالها من الفطانة والكيس فلما رأوا قصيدة امرئ القيس ملك الشعراء قد انزلها اقرب الناس اليه انزلوا ماسواها من القصائد ورأوا من الغباوة مساماة نور الشمس بنور السهى والفراقد واقلوا من التفاخر بالخطب والاشعار بعد ان كان لهم ذلك اعظم شعار

تنبيه مهم قد نظم بعض الملحدين العارين من حلل الدين ابياتا اقتبس فيها بعض آيات من القرآن الكريم ونسبها لامرئ القيس لقصد لايخفى على فهيم منها قوله

يتمنى المرء فى الصيف الشتا * واذا جاء الشتا انكره

فهو لايرضى بحال واحد * قتل الانسان ماكفره

وقد اغترّ بذلك بعض طلبة العلم الاغمار الخالين من الفطانة والكيس وصاروا يروونها على انها لامرئ القيس ولم يتفطنوا لذلك السم الموضوع فى ذلك الحيس ولم ينتبهوا لانّ هذا الخبر غير مرفوع بل هو منصوب على انه خبر ليس وقد اتانى بعضهم مرة بابيات من تلك الابيات الأدعياء التى نسبت لغير الآباء تشتمل على وصف اليوم الآخر واحواله وعظيم شدائده وأهواله فعرفت ذلك الغمر بحقيقة الأمر وان نسبتها لامرئ القيس بهتان عظيم فانه ممن يقول من يحيي العظام وهى رميم قتل الانسان ماكفره واخلاه من التدبر وافقره

(وقال تاج الشعراء شرف الدين فى وصف القرآن)

آيات حق من الرحمن محدثة * قديمة صفة الموصوف بالقدم

لم تفترون بزمان وهي تخبرنا * عن المعاد وعن عاد وعن ارم
دامت لدينا ففاقت كل معجزة * من النبيين اذ جاءت ولم تدم
محكمات فما يبقين من شبه * لذى شقاق وما يبغين من حكم
ماحوربت قط الا عاد من حرب * اعدى الاعادى اليها ملقى السلم
ردت بلاغتها دعوى معارضها * رد الغيور يد الجانى عن الحرم
لها معان كموج البحر فى مدد * وفوق جوهره فى الحسن والقيم
فما تعد ولا تحصى عجائبها * ولا تسام على الاكثار بالسأم
قرت بها عين قاريها فقلت له * لقد ظفرت بحبل الله فاعتصم
ان تتلها خيفة من حر نار لظى * اطفأت حر لظى من وردها الشبم
كانها الحوض تبيض الوجوه به * من العصاة وقد جاؤوه كالحمم
وكالصراط وكالميزان معدلة * فالقسط من غيرها فى الناس لم يقم
لاتعجبن لحسود راح ينكرها * تجاهلا وهو عين الحاذق الفهم
قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد * وينكر الفم طعم الماء من سقم

وبسبب القرآن الكريم الذى هو اعظم المعجزات وابعدها عن الشبهات علاوة على المعجزات الاخر الظاهرة البينة الباهره قد آمن من لايحصى عددهم من الناس الا ان بعض من لم يؤمن كان اعظم الموانع له الخوف من ذهاب رياسته بالايمان فان العرب كانت منقسمة الى قبائل وعشائر ولكل قبيلة وعشيرة اناس منهم هم اصحاب الحل والعقد عندهم فكان الواحد منهم يعرف انه ان اسلم يصير تابعا بعد ان كان متبوعا ومأمورا بعد ان كان آمرا ولا يخفى ماجبلت عليه الطباع من حب الرياسة والجود بالنفائس والنفوس

لاجل خصوالها او دوامها لاسيما وقد رأوا ان من قواعد الشرع المحمدى اجراء الاحكام على الناس على السوية لافرق فى ذلك بين الفقير والغنى والضعيف والقوى والمأمور والامير والحقير والعظيم فكانت طباعهم تابى من ترك الرياسة ونفوسهم تأنف من مساواة آحاد الناس لهم فى الحقوق وعدم مراعاة جانب رياستهم الجارية فى نفوسهم مجرى الروح فى الجسم وهذا هو السبب فى بذل جهدهم فى منع من يريد ان يسلم من جماعتهم او غيرهم باليد او باللسان ولولا ذلك لم يؤذوا من اسلم ايذاء هون لهم فراق الوطن العزيز والذهاب منه الى بلاد لم يألفوها ولم يعرفوها ولا فعلوا مافعلوا مع بنى هاشم من المقاطعة والهجر والاضرار والحصر نحوا من ثلاث سنين والتعاهد على ذلك وكتابتهم الصحيفة ووضعها فى جوف الكعبة توكيدا لهذا الأمر مع علمهم بما لبنى هاشم من الفضل والرجحان عليهم على انهم ندموا بعد ذلك على ما صدر منهم فى حق ساداتهم بنى هاشم وعرفوا انهم قد عثروا عثرة لاتقال وان عاقبة هذا الامر الانتقام من ذى الجلال لاسيما وقد راوا يد منصور بن عكرمة كاتب تلك الصحيفة صارت شلاء فقام اناس فى نقض الصحيفة فاطلع الله نبيه عليه السلام على ان الارضة اكلت جميع مافيها من القطيعة والظلم ولم تبق غير اسم الله تعالى واخبر بذلك عمه اباطالب فخرج الى قريش فاعلمهم به وقال ان كان ذلك صحيحا فانتهوا عن قطيعتنا وان كان كذبا دفعته اليكم ابن اخى فرضوا بذلك فانزلوها فنظروا فاذا هى لم يبق فيها غير

(باسمك اللهم) وكانت شعارهم فى افتتاح الكلام فسقط فى ايديهم ونكسوا رؤسهم حياء ونقضوا ماتعاهدوا عليه فى تلك الصحيفة رغما على ابى جهل اذ لم يزل مصرا على عدم نقضها فخرج بنو هاشم من شعب ابى طالب وخلصوا من بلاء الحصر وصار فى مكة فرح عظيم الا ان هذا الفرح لم يستمر فانه لم تمض الا مدة قليلة من خروجهم من الحصار حتى توفى ابو طالب على دين قومه وذلك لسنة عشر من النبوة فحزن النبى عليه الصلاة والسلام عليه واسف لفراقه وعدم اسلامه اسفا شديدا ثم بعد ثلاثة ايام ماتت زوجته الطاهرة خديجة رضى الله تعالى عنها فاشتد الحزن برسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يسمى ذلك العام عام الحزن لتوالى مصيبتين عليه وكان ابو طالب يقول انى لأعلم صدق ابن اخى وان مايقوله حق ولولا ان تعيرنى نساء قريش لاتبعته وقد قال اشعارا كثيرة تشعر بانه كان مصدقا للنبى عليه الصلاة والسلام غير انه لم يذعن والشرط فى الاسلام الاذعان والانقياد ولم يمنعه من ذلك مع شدة ميله للنبى عليه السلام ومحاماته عنه غير حب الرياسة وخوف ان تعيره قريش باطاعة ابن اخيه الذى رباه وفى حقه نزل قوله تعالى مخاطبا لسيد الانبياء (انك لاتهدى من احببت ولكن الله يهدى من يشاء) نسال الله تعالى الهدايه والحفظ والوقايه * ويروى انه لما حضرت الوفاة ابا طالب جاءه النبى عليه الصلاة والسلام فقال له ياعم قل لااله الا الله كلمة استحل لك بها الشفاعة يوم القيامة فلما راى ابو طالب حرص

النبي عليه الصلاة والسلام على ذلك قال له والله يا ابن اخي ولا مخافتي من ظن قريش اني انما قلتها جزعا من الموت اقلتها لا اقولها الا لاسرك بها وكان كما ذكرنا مرارا له ميل عظيم للنبي عليه الصلاة والسلام حتى انه جمع وجوه قريش عند قرب وفاته واوصاهم بالنبي عليه الصلاة والسلام فقال يا معشر العرب انتم صفوة الله من خلقه واني اوصيكم بمحمد خيرا فانه الامين في قريش والصديق في العرب وهو الجامع لكل ما اوصيكم به وقد جاء بامر قبله الجنان وانكره اللسان مخافة الشنآن وايم الله كأني انظر الى صعاليك العرب واهل الوبر والاطراف والمستضعفين من الناس قد اجابوا دعوته وصدقوا كلمته وعظموا امره فخاض بهم غمرات الموت فصارت رؤساء قريش وصناديدها اذنابا ودورها خرابا وضعفاؤها اربابا واذا اعظمهم عليه احوجهم اليه وابعدهم منه احظاهم عنده قد محضته العرب ودادها واصفت له فؤادها واعطته قيادها يا معشر قريش كونوا له ولاة ولحزبه حماة والله لا يسلك احد سبيله الا رشد ولا يأخذ أحد بهديه الا سعد ولو كان لنفسي مدة ولأجلي تأخير لكففت عنه الهزاهز ولدفعت عنه الدواهي

ولما توفي ابو طالب اعرضت كفار قريش عما اوصاهم به من الاعتناء بشأن النبي عليه الصلاة والسلام وعدم التعرض له بالاذى ولم يكتفوا بما كانوا عليه من قبل بل زادوا على ذلك اذ خلا لهم الجو وامنوا من المعارض وكان اشدهم اذى له

ابو لهب وابو جهل فاشتد الامر بالنبي عليه الصلاة والسلام وضاق ذرعا فخرج الى الطائف ومعه زيد بن حارثة فدعا اشراف ثقيف الى الله تعالى فلم يجيبوه واغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ورجموا عراقيبه بالحجارة حتى اختضبت قدماه الشريفتان بالدماء وكان زيد بن حارثة يقيه بنفسه حتى شج في رأسه شجاجا فانصرف عليه الصلاة والسلام عن اهل الطائف راجعا الى مكة ودعا بهذا الدعاء وهو اللهم اليك اشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس ياارحم الراحمين انت ارحم الراحمين وانت رب المستضعفين الى من تكلني الى عدو بعيد يتجهمني ام الى صديق قريب ملكته امري ان لم تكن غضبانا علي فلا ابالي غير ان عافيتك اوسع لي اعوذ بنور وجهك الذي اضاءت له السموات واشرقت له الظلمات وصلح عليه امر الدنيا والآخرة ان ينزل بي غضبك او يحل بي سخطك لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة الا بالله

ولما وصل الى بطن نخلة وهو موضع على مرحلة من مكة جاءه نفر من الجن وهو يقرأ القرآن فاستمعوا له فانشرحت صدورهم للحق فاسلموا

ثم دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة في جوار مطعم بن عدي فارسل مطعم بنيه ومن يلوذ به فاحاطوا به احاطة الهالة بالبدر يحمونه ممن يريد اذاه فدخل المسجد الحرام فطاف بالكعبة واستلم الركن وصلى ركعتين ثم ذهب الى داره

وفى هذا العام تزوج النبى صلى الله عليه وسلم بسودة بنت زمعة وعائشة بنت ابى بكر الصديق غير ان عائشة لم تزف له الا بعد الهجرة لصغرها اذ ذاك

(ذكر ابتداء امر الانصار رضى الله عنهم)

ولما اراد الله تعالى اظهار دينه واعزاز نبيه وانجاز موعده له خرج عليه الصلاة والسلام فى الموسم الواقع سنة احدى عشرة من النبوة يدعو القبائل المجتمعة فيه الى الله تعالى كما كان يصنع من قبل فبينما هو عند العقبة لقى رهطا من الخزرج من اهل المدينة (واهلها الاوس والخزرج وهما قبيلتان من قبائل الازد كان مسكنهما فى سبأ من ارض اليمن فلما اختلت مجارى مياهها وانخرق سد مأرب بها طغى الماء وجاءهم سيل العرم فخرجوا فيمن خرج من اهلها وتفرقوا وذهبت كل قبيلة الى ناحية للسكنى واختارت هاتان القبيلتان سكنى المدينة وحصلت بعد حين قرابة بين الخزرج وبنى هاشم بسبب المصاهرة فان سلمى ام عبد المطلب بن هاشم كانت خزرجية) فقال النبى عليه الصلاة والسلام للرهط الذى لقيه من انتم قالوا نفر من الخزرج قال افلا تجلسون اكلمكم قالوا بلى فجلسوا معه فدعاهم الى الله وعرض عليهم الاسلام وتلا عليهم القرآن وكان من صنع الله تعالى ولطفه ان اليهود الذين كانوا معهم فى بلادهم كانوا اذا وقع بينهم وبين الاوس والخزرج شئ قالوا ان نبيا سيبعث الآن قد اظل زمانه نتبعه فنقتلكم معه فلما كلمهم النبى عليه الصلاة والسلام عرفوا النعت وكانوا ايضا

يسمعون من آبائهم عن اجدادهم ان الله تعالى سيرسل نبيا من قريش فقال بعضهم لبعض لاتسبقنا اليهود اليه فاجابوه الى مادعاهم اليه وصدقوه وقبلوا منه ماعرض عليهم من الاسلام فاسلم منهم ستة نفر وكلهم من الخزرج وهم ابو امامة اسعد بن زراره ورافع بن مالك وعوف ابن الحارث وقطبة بن عامر وعقبة بن عامر وجابر بن عبد الله ابن رياب ورجعوا الى المدينة فذكروا ذلك لقومهم ودعوهم الى الاسلام حتى فشا فيهم ولم يبق من دور اهل المدينة دار الا وفيها ذكر النبي عليه الصلاة والسلام

(ذكر بيعة العقبة الاولى)

ولما كان العام المقبل وهو عام اثنى عشرة من النبوة وافى الموسم اثنا عشر رجلا خمسة من الستة المذكورين ولم يكن فيهم جابر ابن عبد الله والسبعة تمة الاثنى عشر هم معاذ بن الحارث وذكوان بن عبد القيس وعبادة بن الصامت وابو عبد الرحمن يزيد بن ثعلبة والعباس بن عبادة بن نضلة وهؤلاء من الخزرج ومن الاوس رجلان ابو الهيثم بن التيهان وعويم ابن ساعدة فاجتمعوا بالنبي عليه الصلاة والسلام عند العقبة وبايعوه وكان الواحد منهم اذا بايع وضع يده فى يد النبي عليه الصلاة والسلام وقال نبايعك على ان لانشرك بالله شيأ ولا نسرق ولا نزنى ولا نقتل اولادنا ولا نأتى ببهتان نفتريه بين ايدينا وارجلنا ولا نعصى فى معروف والسمع والطاعة فى العسر واليسر والمنشط والمكره

واثرة علينا وان لاننازع الامر اهله وان نقول بالحق حيث كنا لانخاف فى الله لومة لائم

وانما بايعهم على ان لايقتلوا اولادهم ايضا لان كثيرا من العرب كانوا يقتلون اولادهم الاناث بدفنهن وهن احياء بعضهم انفة وخوفا من لحوق العار الكثرة وقوع الحروب بين قبائلهم واخذ النساء سبايا يتصرف بهن العدو وتصرفه فى الجوارى وبعضهم لشدة الفقر والفاقة وخوف نوائب الدهر عليهن وفى ذلك نزل قوله تعالى (واذا الموؤدة سئلت بأى ذنب قتلت) ثم انصرفوا الى المدينة ينشرون بها انوار الاسلام ويدعون الناس الى دار السلام وكان رئيسهم ومرجعهم اسعد بن زرارة رضى الله تعالى عنه

وفى هذه السنة اسرى بالنبى صلى الله عليه وسلم ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى ثم عرج به الى فوق سبع سموات ورأى الكريم المتعال بغير كيف وسمع كلامه بغير صوت وحرف واوحى الله تعالى اليه ما اوحى وفرض عليه الصلوات الخمس ثم انصرف فى ليلته الى مكة فاخبرهم بالاسراء فكذبه الكفار واظهروا غاية التعجب والانكار وصدقه ابو بكر فوسم بالصديق وتابعه على ذلك كل محب للحق وصديق واستوصفه الكفار بيت المقدس فمثله الله له فوصفه لهم ابين وصف فقالوا ان الوصف كما ذكر وعجبوا من ذلك واصروا على الجحود والانكار والاعراض والاستكبار

(وقال شرف الدين قدس سره مشيرا للاسراء والمعراج)

ياخير من يمم العافون ساحته * سعيا وفوق متون الاينق الرسم
ومن هو الآية الكبرى لمعتبر * ومن هو النعمة العظمى لمغتنم
سريت من حرم ليلا الى حرم * كما سرى البدر فى داج من الظلم
وبت ترقى الى ان نلت منزلة * من قاب قوسين لم تدرك ولم ترم
وقدمتك جميع الانبياء بها * والرسل تقديم مخدوم على خدم
وانت تخترق السبع الطباق بهم * فى موكب كنت فيه صاحب العلم
حتى اذا لم تدع شأوا لمستبق * من الدنو ولا مرقى لمستنم
خفضت كل مقام بالاضافة اذ * نوديت بالرفع مثل المفرد العلم
كيما تفوز بوصل اى مستتر * عن العيون وسر اى مكتتم
فحزت كل فخار غير مشترك * وجزت كل مقام غير مزدحم
وجل مقدار ماوليت من رتب * وعز ادراك ما اوليت من نعم

هذا ولم تمض الا مدة قليلة من وصول اولئك الانصار الاثنى عشر الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى العقبة الى المدينة حتى دخل كثير من اهلها فى دين الاسلام فارسلوا للنبى عليه الصلاة والسلام يطلبون منه ان يبعث لهم من يعلمهم القرآن ويفقههم فى الدين فبعث اليهم مصعب بن عمير فلما وصل الى المدينة دخل به اسعد بن زرارة رئيس القوم قرية من قرى بنى ظفر خارج المدينة وصار كل يوم جمعة يجتمع اليه كل من اسلم

(وكان عددهم حين وصوله قد بلغ اربعين) فيصلي بهم جماعة فسمى ذلك اليوم يوم الجمعة وكان يسمى قبل ذلك يوم العروبة وكان اسيد بن حصين سيدا فى قومه فبلغه ماكان من مصعب واسعد من دعوة الناس الى الاسلام وفشوه شيأ فشيأ فى الانام فغضب واخذ حربته وذهب حتى وقف عليهما فقال ماجاء بكما تسفهان ضعفاءنا اعتزلا ان كان لكما بانفسكما حاجة فقال له مصعب او تجلس فتسمع فجلس اسيد فاسمعه مصعب شيأ من القرآن وعرفه بعض شرائع الاسلام فتهلل وجهه وانشرح صدره فقال ما احسن هذا كيف تصنعون اذا اردتم الدخول فى هذا الدين فعلمه مصعب فاسلم وقال ورائى رجل ان اتبعكما لم يتخلف عنه أحد وسأرسله اليكما يعنى بذلك سعد بن معاذ وكان رئيس الأوس غير مدافع ثم اخذ اسيد حربته وانصرف الى سعد بن معاذ وبعث به الى مصعب واسعد فجاءهما مغضبا مما بلغه عنهما من نشر الاسلام ودعوة الناس اليه فلما وقف عليهما تهدد اسعد وقال لولا قرابتك منى ماصبرت على ان تغشانا فى دارنا بما نكره وكان ابن خالة اسعد فقال مصعب او ما تسمع فان رضيت امرا قبلته والا عزلنا عنك ماتكره فقال له سعد انصفت فعرض عليه مصعب الاسلام وقرأ عليه القرآن فظهر على وجهه ميله الى الاسلام قبل ان يتكلم ثم قال كيف تصنعون اذا انتم اسلمتم فعرفاه ذلك فاسلم وانصرف الى نادى قومه حتى وقف عليه فقال يابنى عبد الاشهل كيف تعلمون أمرى

فيكم قالوا سيدنا وافضلنا قال فان كلام رجالكم ونسائكم على
حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله فما امسى فى دار بنى عبد الاشهل
احد حتى اسلم ونزل سعد بن معاذ ومصعب فى دار اسعد بن زرارة
يدعون الناس الى الاسلام حتى لم يبق دار من دور اهل المدينة
الا وبها مسلمون الا ماكان من دار بنى امية بن زيد فلما شاع
الاسلام وفشا بين الاوس والخزرج صار بين القبيلتين الائتلاف
والاتفاق وارتفع من بينهما النزاع والشقاق وكان بينهما فى ايام
الجاهلية عداوة شديدة انشبت بسببها بينهما حروب القتهما فى
اعظم الشدائد والكروب مع تفرع القبيلتين من شعب واحد
هو الأزد وانضم الى ذلك ماكان من قبل بين هاتين
القبيلتين وبين قبيلتى بنى قريظة وبنى النضير من اليهود من
العداوة التى انشبت بين الفريقين حروبا اخرى وان كان الغالب
فى وقائعهم مع اليهود غلبتهم عليهم لقلة اليهود بالنسبة اليهم
ولاتفاقهم فى الاكثر عليهم وحاصل الأمر ان الاوس والخزرج
قل فى الجاهلية عددهم وضعفت عددهم لانتشاب الحرب فيما
بينهم تارة وفيما بينهم وبين اليهود تارة أخرى فلما دخلوا فى
دين الاسلام وقع بينهم السلام ووصلوا ماقطعوه من الأرحام
وصار حالهم فى انتظام

(ذكر بيعة العقبة الثانية)

وفى سنة ثلاث عشرة من النبوة عاد مصعب بن عمير الى مكة ايام
الموسم ومعه من الذين اسلموا ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان بعضهم

من الاوس وبعضهم من الخزرج ومنهم ابو ايوب خالد الانصارى من بنى النجار فلما وصلوا الى مكة واعدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يجتمعوا به ليلا فى اوسط ايام التشريق بالعقبة فجاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه عمه العباس وهو على دين قومه يومئذ غير انه احب ان يتوثق لابن اخيه منهم فلما جلس كان اول متكلم فقال يا معشر الخزرج ان محمدا منا حيث علمتم وقد منعناه من قومنا وهو فى عز ومنعة فى بلده وانه قد ابى الا الانحياز اليكم واللحوق بكم فان كنتم ترون انكم وافون له بما دعوتموه اليه ومانعوه ممن خالفه فانتم وما تحملتم من ذلك وان كنتم ترون انكم مسلموه وخاذلوه فمن الآن فدعوه فقالوا قد سمعنا فتكلم يارسول الله فخذ لنفسك ولربك ما احببت فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم وتلا القرآن ثم قال ابايعكم على ان تمنعونى مما تمنعون منه نساءكم واولادكم ودار الكلام بينهم واستوثق كل فريق من الآخر ثم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ان قتلنا دونك فما لنا قال لكم الجنة قالوا ابسط يدك فبسط يده فبايعوه ثم انصرفوا راجعين الى المدينة

(مبحث الهجرة النبوية على صاحبها افضل الصلاة والسلام)

ولما تم امر البيعة بين النبى عليه الصلاة والسلام وبين اهل المدينة أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان معه بالهجرة الى المدينة فصاروا يرحلون من مكة ارسالا (غير مجتمعين بل واحدا بعد واحد) وكان ذلك فى محرم وصفر واول من

هاجر من مكة الى المدينة ابو سلمة بن عبد الأسد وكان هاجر اولا الى الحبشة ثم قدم الى مكة فآذاه أهلها فخرج الى المدينة ثم اناس اخر ثم عمر بن الخطاب واخوه زيد وعياش بن ابي ربيعة في عشرين راكبا فقدموا المدينة فنزلوا في العوالى ثم خرج عثمان بن عفان حتى لم يبق معه صلى الله عليه وسلم الا علىّ بن ابي طالب وابو بكر ولما قدم المهاجرون المدينة انزلهم الانصار عندهم وواسوهم واروهم صدرا رحيبا ووجها بالبشاشة خصيبا وكان الصديق كثيرا مايستأذن رسول الله عليه الصلاة والسلام فيقول لاتعجل لعلّ الله ان يجعل لك صاحبا فيطمع ابو بكر ان يكون هو واقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظر ان يأذن له ربه في الخروج

ثم لما علمت قريش ان النبى صلى الله عليه وسلم قد صار له انصار في المدينة وان اصحابه بمكة قد لحقوا بهم خافوا من خروجه اليهم وتحزبه هو واصحابه عليهم والحيلولة بينهم وبين بلاد الشام التى هى موضع تجارتهم لوقوع المدينة بين مكة والشام فاجتمعوا في دار الندوة للمشاورة في نفى النبى صلى الله عليه وسلم اوحبسه اوقتله (ودار الندوة هى دار قصىّ ابن كلاب وكانت قريش لاتقضى امرا الاّ فيها) فقال بعضهم رأيي ان تحبسوه في بيت وتشدوا وثاقه وتسدوا بابه غير كوّة تلقون اليه طعامه وشرابه منها وتربصوا به ريب المنون حتى يهلك فيه

كما هلك من الشعراء من كان قبله كزهير والنابغة فقال الشيخ النجدى (وهو على ماذكره كثير من اهل السير ابليس لعنه الله ظهر لهم فى صورة شيخ من بلاد نجد) بئس الرأى والله لو حبستموه لخرج امره من وراء الباب الى اصحابه فوثبوا وانتزعوه من ايديكم قالوا صدق الشيخ وقال بعضهم رأيى ان تحملوه على جمل وتخرجوه من بين اظهركم فلا يضركم ماصنع واسترحتم فقال الشيخ النجدى والله ماهذا لكم برأى الم تروا حسن حديثه وحلاوة منطقه وغلبته على قلوب الرجال بما يأتى به فوالله لو فعلتم ذلك ما امنتم ان يحل على حىّ من العرب فيغلب عليهم بقوله وحديثه حتى يبايعوه ثم يسير بهم حتى يطأكم فى بلادكم بهم فقالوا صدق الشيخ فقال ابو جهل ارى ان تأخذوا من كل قبيلة رجلا فيضربونه بسيوفهم ضربة رجل واحد فيتفرق دمه فى القبائل فلا يقدر بنوا هاشم على حرب قومهم جميعا فيرضون بأخذ الدية اضطرارا فصوب الشيخ النجدى قول ابى جهل فتفرقوا على رأيه مجمعين على قتله فاتى جبريل النبى صلى الله عليه وسلم واخبره بذلك وقال لاتبت هذه الليلة على فراشك الذى كنت تبيت عليه فامر النبى عليه الصلاة والسلام عليا ان ينام على فراشه وان يتشح ببرده الأخضر وان يتخلف عنه ليؤدى ماكان عنده صلى الله عليه وسلم من الودائع الى اربابها وكان الكفار قد اجتمعوا على بابه يرصدونه حتى ينام فيثبون عليه وكان منهم ابو جهل وابو لهب والحكم ابن العاص وغيرهم من

الرؤساء ثم خرج صلى الله عليه وسلم وقد اخذ على ابصارهم فلم يره احد منهم ونثر على رؤسهم ترابا كان فى يده وهو يتلو قوله تعالى يس الى قوله تعالى فاغشيناهم فهم لا يبصرون ثم انصرف عليه السلام حيث اراد فأتاهم آت ممن لم يكن معهم فقال ما تنتظرون هاهنا قالوا محمدا قال قد خيبكم الله قد والله خرج محمد عليكم ثم ما ترك منكم رجلا الا وضع على رأسه ترابا وانطلق لحاجته افا ترون ما بكم فوضع كل رجل يده على رأسه فاذا عليه تراب فجعلوا ينظرون من شق الباب فيرون عليا عليه برد النبى صلى الله عليه وسلم فيقولون محمد نائم وبقوا كذلك حتى اصبحوا فقام على فلما رأوه عضوا بنانهم اسفا ودخلتهم الحيرة فقالوا له اين صاحبك فقال لا أدرى واختفى النبى عليه الصلاة والسلام تلك الليلة فى بعض المواضع ثم اتى وقت الظهيرة الى دار ابى بكر فاستأذن فى الدخول فأذن له فقال انى قد اذن لى فى الخروج فقال ابو بكر الصحبة بأبى انت وامى يارسول الله قال نعم فقال ابو بكر خذ احدى راحلتى هاتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بالثمن واستأجرا عبد الله ابن اريقط وكان مشركا ليدلهما على الطريق فدفعا اليه راحلتيهما وطلبا منه ان ياتى بعد ثلاث ليال براحلتيهما الى غار ثور (وهو جبل اسفل مكة يبعد عنها نحوا من ساعه) واقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنزل ابى بكر الى الليل ثم خرجا الى الغار فلما اراد النبى صلى الله عليه وسلم ان يدخل قال ابو بكر والذى بعثك بالحق نبيا لا تدخل حتى ادخله فأسبره

(اخبره) قبلك فدخل ابو بكر رضى الله عنه فجاس يلتمس
الغار بيده فى ظلمة الليل مخافة ان يكون به شئ يؤذى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فلم ير فيه شيأ فدخل رسول الله صلى الله
عليه وسلم ورأى ابو بكر ثقبا فى الغار فخشى ان يخرج منه شئ
يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم فالقمه عقبه ثم نام رسول الله
صلى الله عليه وسلم وجعل رأسه فى حجر ابى بكر فلدغ ابو بكر فى
رجله فلم يتحرك مخافة ان ينتبه النبى صلى الله عليه وسلم من نومه
فسقطت دموعه على وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستيقظ
فقال ماهذا فقال لدغت فتفل على موضع اللدغ فذهب مايجده
وباتا فى الغار فجاء العنكبوت الى فم الغار فنسج عليه وأتت حمامتان
وحشيتان فعششتا وباضتا واقامتا هنالك هذا ولما فقدت قريش رسول الله
صلى الله عليه وسلم وطلبوه بمكة اعلاها واسفلها فلم يجدوه شق
عليهم ذلك وجعلوا مائة ناقة لمن يرده واقبلوا هم وفتيانهم
بسهامهم وسيوفهم وهراويهم ومعهم القافه (وهم طائفة من
العرب يعرفون مذهب المسافر بتتبع اثر قدميه) يبحثون عن
موضعه فلما وصلت القافة الى الغار قالوا هنا انتهى اثره فما ندرى
بعد ذلك اصعد الى السماء ام غاص فى الارض فقال لهم قائل
ادخلوا الغار فقال امية ابن خلف ماتنظرون الى الغار وان عليه
لعنكبوتا قبل ميلاد محمد فجعلوا يترددون حول الغار لايرون احدا
ويقولون لو دخل هذا الغار تكسر بيض الحمام وتفسخ بيت
العنكبوت ولما رأى ابو بكر ترددهم حول الغار اشفق رضى الله

عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال مخاطبا له ان قتلت فانما انا رجل واحد وان قتلت انت هلكت الامة فقال عليه الصلاة والسلام لاتحزن ان الله معنا (اى بالمعونة والنصر) فلما رجع الكفار خائبين قال ابو بكر يارسول الله لو ان احدهم نظر الى قدميه لرآنا فقال له رسول الله ماظنك باثنين الله ثالثهما والى هذه القصة اشار شرف الدين بقوله

اقسمت بالقمر المنشق ان له * من قلبه نسبة مبرورة القسم
وماحوى الغار من خير ومن كرم * وكل طرف من الكفار عنه عم
فالصدق فى الغار والصديق لم يرما * وهم يقولون ما بالغار من ارم
ظنوا الحمام وظنوا العنكبوت على * خير البرية لم تنسج ولم تحم
وقاية الله اغنت عن مضاعفة * من الدروع وعن عال من الاطم

ومكث النبى عليه الصلاة والسلام وابو بكر فى الغار ثلاث ليال وكان يبيت عندهما عبدالله بن ابى بكر وهو غلام شاب ثقف (ثابت المعرفة بما يحتاج اليه) لقن (سريع الفهم والحفظ) فيدلج من عندهما بسحر فيصبح مع قريش بمكة كبائت معهم فلا يسمع بأمر يكادان به الا وعاه حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام ويرعى عليهما عامر بن فهيرة منحة من غنم فيريحها عليهما حين تذهب ساعة من العشاء فيبيتان فى رسلها (لبنها) حتى ينعق بها عامر بن فهيرة بغلس يفعل ذلك كل ليلة من تلك الليالى الثلاث

وفى صبيحة الليلة الثالثة اتاهما الدليل عبد الله بن اريقط براحلتيهما

فارتحلا وانطلقا ومعهما عامر بن فهيرة وهذا الدليل فاخذ بهم على طريق الساحل فمروا بقديد على ام معبد عاتكة بنت خالد الخزاعية فسالوها تمرا ولحما يشترونه منها فلم يجدوا عندها شيأ فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى شاة فى كسر الخيمة خلفها الجهد عن الغنم فسالها هل بها لبن فقالت هى اجهد من ذلك قال اتأذنين لى ان احلبها فقالت ان رأيت بها حلبا فاحلبها فدعا بالشاة فمسح بيده ضرعها وسمى الله عزوجل فدرّت فدعا باناء يشبع الرهط فحلب فيه وسقى ام معبد ومن كان هناك حتى رووا ثم شرب آخرهم ثم حلب فيه مرة اخرى ثم غادره عندها وذهبوا فقلّ مالبثت حتى جاء زوجها ابو معبد فقال ماهذا ياام معبد من اين لك هذا فقالت مرّ بنا رجل مبارك من حاله كذا وكذا وذكرت ماوقع فقال صفيه لى ياام معبد فوصفته وذكرت فيما ذكرت من حليته انه رجل ظاهر الوضاءة مبلج الوجه حسن الخلق وسيم احور الكحل ازجّ اقرن اذا صمت فعليه الوقار واذا تكلم سما وعلاه البهاء حلو المنطق فصل اجل الناس وابهاه من بعيد واحسنه واحلاه من قريب ربعة لابائن من طول ولا تقتحمه عين من قصر غصن بين غصنين فهو انضر الثلاثة منظرا واجلهم قدرا له رفقاء يحفون به اذا قال استمعوا لقوله واذا امر تبادروا الى أمره فقال هذا والله صاحب قريش لو رأيته لاتبعته

وروى عن ام معبد انها قالت بقيت الشاة التى امس رسول الله

ضرعها عندنا حتى كانت سنة ثمان عشرة من الهجرة فى خلافة عمر واشتد القحط بالناس قالت وكنا نحلبها صبوحا وغبوقا ومافى الارض قليل ولا كثير (اى من العلف والنبات)
ثم تعرض للنبى صلى الله عليه وسلم وابى بكر رضى الله عنه سراقة المدلجى وعلم انهما اللذان جعلت فيهما قريش ماجعلت لمن اتى بهما فركب فرسه وتبعهما فبكى ابو بكر وقال يارسول أتينا قال لاتحزن ان الله معنا ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بدعوات فساخت قوائم فرسه الى ركبتيه فى ارض صلبة فنادى سراقة يامحمد ادع الله ان يخلصنى ولك على لاعمين على من ورائى فدعا له فخلص ووقع فى نفس سراقة حين لقى مالقى من الحبس عنهم ان سيظهر امر النبى عليه الصلاة والسلام فسأله ان يكتب له كتاب أمن فأمر عامر بن فهيرة فكتب له ذلك فى رق واخفى سراقة امرهما حينا

(ولما بلغ ابا جهل أمر سراقة انشد يقول)

بنى مدلج انى اخاف سفيهكم * سراقة يستغوى لنصر محمد
عليكم به ان لايفرق جمعكم * فيصبح شتى بعد عز وسودد

(فاجابه سراقة)

اباحكم واللات لوكنت شاهدا * لامر جوادى حيث ساخت قوائمه
علمت ولم تشكك بان محمدا * نبى وبرهان فمن ذا يكاتمه

(وقال ابو بكر رضى الله تعالى عنه)

وقد زاد نفسى واطمانت وآمنت * به اليوم مالاقى جوادابن مدلج
سراقة اذ يبغى علينا بكيده * على اعوجى كالهراوة مدمج

فقال رسول الله يارب أغنه * فهما تشأمن مقطع الأمر تفرج
فساخت به في الارض حتى تغيبت * حوافره في بطن واد مفجج
فأغناه رب العرش عنا ورده * ولولا دفاع الله لم يتعرج

واتى سراقة عام فتح مكة الى النبي عليه الصلاة والسلام حين انصرافه من غزوة حنين والطائف واظهر كتاب الامان واسلم وقال له النبي عليه الصلاة والسلام كيف بك ياسراقة اذا سورت بسوارى كسرى ابرويز فظهر مصداق هذا الخبر في زمن خلافة الفاروق عمر

ولما جاوز النبي صلى الله عليه وسلم وابو بكر الصديق قديدا رأيا عبدا يرعى غنما فاستسقياه اللبن فقال ماعندي شاة تحلب غير ان هاهنا عناقا (بالفتح الانثى من اولاد المعز) حملت عام اول فمابقي بها لبن فقال ادع بها فاحضرها فمسح صلى الله عليه وسلم ضرعها ودعا فدرت وجاء ابو بكر بمجن (ترس) فحلب فسقى ابا بكر ثم حلب فسقى الراعي ثم حلب فشرب فقال الراعي بالله من انت فوالله مارايت مثلك فقال او تراك تكتم علي حتى اخبرك قال نعم قال فاني محمد رسول الله فقال انت الذي تزعم قريش انك صابئ قال انهم ليقولون ذلك قال فأشهد انك نبي وان ماجئت به حق وانه لايفعل مافعلت الا نبي وانا متبعك قال انك لن تستطيع ذلك يومك فاذا بلغك اني قد ظهرت فأتنا

وكان ابو بكر رضى الله عنه يعرف في الطريق لاختلافه الى الشام فكان يمر بالقوم فيقولون من هذا بين يديك ياابا بكر فيقول هاد

يهديني فيظنون انه هاد يهديه للموضع الذى يريد اليه الذهاب وهو يقصد انه هاد يهديه للحق والصواب

ولقى النبى صلى الله عليه وسلم الزبير فى ركب من المسلمين كانوا تجارا قادلة من الشام الى مكة فكسا الزبير رسول الله صلى الله عليه وسلم وابا بكر ثيابا بيضا وذهب الى مكة فقضى بها حوائجه وقطع ماله بها من العلائق وهاجر الى المدينه

ولما سمع المسلمون بالمدينة خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة كانوا يغدون كل غداة الى الحرة ينتظرونه حتى يردهم حر الظهيرة فانقلبوا يوما بعدما اطالوا انتظارهم فلما أووا الى بيوتهم اوفى رجل من اليهود على اطم من آطامهم لأمر ينظر اليه فبصر برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فلم يملك اليهودي نفسه فنادى بأعلى صوته يابنى قيلة هذا جدكم (حظكم ومطلوبكم) قد اقبل فخرج اليه بنو قيلة (الاوس والخزرج) سراعا بسلاحهم فتلقوه فنزل بقباء على بنى عمرو بن عوف (وقباء موضع على نحو ساعة من المدينه) واقام فى قباء أياما واسس مسجد قباء وهو اول مسجد بنى فى الاسلام واول مسجد صلى فيه صلى الله عليه وسلم باصحابه جماعة ظاهرا واول مسجد بنى لجماعة المسلمين عامة وان كان قد تقدم بناء غيره من المساجد لكن لخصوص الذى بناه وهو المسجد الذى نزل فيه لمسجد اسس على التقوى

وكان قدومه عليه الصلاة والسلام لقباء فى اواسط ربيع الاول سنة اربع عشرة من النبوة

ولما رأى المسلمون النبى عليه الصلاة والسلام تهللت وجوههم فرحا واستبشارا بما اكرمهم الله تعالى به من نزول نبيه عليهم وانحيازه اليهم وتيقنوا انهم قد سبقت لهم من الله الحسنى وانهم حازوا على الشرف الاجل الاسنى وقال حسان بن ثابت شاعر الانصار يذكر ذلك

لقد خاب قوم زال عنهم نبيهم * وقدس من يسرى اليهم ويغتدى
ترحل عن قوم فضلت عقولهم * وحل على قوم بنور مجدد
هداهم به بعد الضلالة ربهم * وارشدهم من يتبع الحق يرشد
وقد نزلت منه على اهل يثرب * ركاب هدى حلت عليهم باسعد
نبى يرى مالا يرى الناس حوله * ويتلو كتاب الله فى كل مشهد
وان قال فى يوم مقالة غائب * فتصديقها فى اليوم او فى ضحى الغد
ليهن ابا بكر سعادة جده * بصحبته من يسعد الله يسعد

واقام على رضى الله عنه بعد خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ثلاثة ايام حتى ادى ما كان عنده من الودائع وادركه بقباء ثم خرج صلى الله عليه وسلم من قباء ضحى يوم الجمعة فادركته صلاة الجمعة فى الطريق فى بنى سالم بن عوف فصلاها بمن كان معه من من المسلمين وهم مائة فى بطن وادى رانوناء وهذه الجمعة اول جمعة صلاها وخطب بها وهى اول خطبة خطبها

ولما قام للخطبة حمد الله واثنى عليه ثم قال اما بعد ايها الناس فقدموا لانفسكم تعلمن والله ليصعقن احدكم ثم ليدعن غنمه ليس

ليها راع ثم ليقولنّ له ربه وليس له ترجمان ولا حاجب يحجبه دونه الم يأتك رسولى فبلغك وآتيتك مالا وافضلت عليك فما قدمت لنفسك فلينظرن يمينا وشمالا فلا يرى شيأ ثم لينظرنّ قدامه فلا يرى غير جهنم فمن استطاع ان يقى وجهه من النار ولو بشق من تمرة فليفعل ومن لم يجد فبكلمة طيبة فانّ بها تجزى الحسنة عشر امثالها الى سبعمائة ضعف والسلام عليكم وعلى رسول الله ورحمة الله وبركاته ثم خطبهم مرة اخرى فقال انّ الحمد لله احمده واستعينه نعوذ بالله من شرور انفسنا وسيآت اعمالنا من يهده الله فلا مضلّ له ومن يضلل فلا هادى له واشهدان لا اله الاالله وحده لا شريك له انّ احسن الحديث كتاب الله تبارك وتعالى قد افلح من زينه الله فى قلبه وادخله فى الاسلام بعد الكفر واختاره على ماسواه من احاديث الناس انه احسن الحديث وابلغه احبوا مااحب الله احبوا الله من كل قلوبكم ولا تملوا كلام الله وذكره ولا تقس عنه قلوبكم فانه من كل مايخلق الله يختار ويصطفى (١) قدسماه الله

(١) قال العلامة السهيلى فى شرح سيرة ابن هشام المسمى بالروض الأنف قوله عليه السلام لاتملوا كلام الله وذكره فانه من كل مايخلق الله يختار ويصطفى الهاء فى قوله فأنه لايجوز ان تكون عائدة على كلام الله ولكنها ضمير الأمر والحديث كأنه قال ان الحديث من كل ما خلق الله يختار فالاعمال كلها اذا من خلق الله وقد اختار منها ماشاء قال سبحانه يخلق مايشاء ويختار

خيرته من الأعمال (٢) والمصطفى من عباده (٣) والصالح من الحديث ومن كل ما اوتي الناس من الحلال والحرام فاعبدوا الله ولا تشركوا به شيأ واتقوه حق تقاته واصدقوا الله صالح ما تقولون بافواهكم وتحابوا بروح الله بينكم ان الله يغضب ان ينكث عهده والسلام عليكم

وانما ختم عليه الصلاة والسلام الخطبة بالحث على الوفاء بالعهد وبيان ما يحل بمن نكثه من غضب المنتقم الجبار لانه من اعظم الصفات الحميدة التي يلحق من عرا عنها بالوحوش الضوار وتاكيدا للعهد الذي جرى بينه وبينهم في مكة واشارة الى انه ربقة عن اعناق الاحرار غير منفكة ثم توجه بعد صلاة الجمعة على راحلته الى المدينة وكلما مر على دار من دور الانصار دعوه الى المقام عندهم وقالوا هلم يارسول الله الى العدد والعدة ويعترضون ناقته فيقول خلوا سبيلها فانها مأمورة وقد ارخى زمامها وما يحركها وهي تنظر

---

(٢) وقوله قد سماه خيرته من الاعمال يعني الذكر وتلاوة القرآن لقوله سبحانه ويختار فقد اختاره من الاعمال

(٣) وقوله والمصطفى من عباده لقوله الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس ويجوز ان يكون معناه المصطفى من عباده اى العمل الذي اصطفاه من عباده واختاره من اعمالهم فلا تكون من على هذا للتبعيض وانما تكون لابتداء الغاية لانه عمل استخرجه بتوفيقه اياهم والتأويل الاول اقرب مأخذا والله اعلم بما اراد رسول الله صلى الله عليه وسلم

يمينا وشمالا حتى اذا اتت دار مالك بن النجار بركت امام موضع مسجده ودياره ولم يكن فيه بناء بل كان مربدا (محل تجفيف التمر) ثم ثارت ناقته وسارت وهو عليها حتى بركت على باب ابى ايوب الأنصارى رضى الله تعالى عنه ثم ثارت والتفتت خلفها ثم رجعت وبركت فى مبركها الاول والقت جرانها (باطن عنقها) بالارض وأرزمت (صوتت من غير ان تفتح فاها) فنزل عنها صلى الله عليه وسلم وقال هذا المنزل ان شاء الله تعالى واحتمل ابو ايوب رحله وادخله فى بيته ومعه زيد بن حارثة

واشرقت المدينة بقدومه صلى الله عليه وسلم وعمّ السرور اهلها وما فرحوا بشئ كفرحهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وكيف لا وهم يعلمون انه الذى يسعد المرء بلحظة من لحظاته ويرشد بلفظة من لفظاته وتفرق الغلمان والخدم فى الطرق حين قدومه ينادون فرحا جاء محمد جاء رسول الله وصعدت ذوات الخدور على الاسطحة يقلن

طلع البدر علينا * من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا * ما دعا لله داعى

وقد وفى الانصار اهل المدينة بما ضمنوه فنصروا رسول الله على اعدائه وآووه وواسوه وآووا اصحابه وواسوهم رضى الله عنهم اجمعين وهذه السنة وهى سنة هجرة النبى صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة هى مبدأ التاريخ الاسلامى وانما اختاروا ذلك لان الهجرة كانت سببا لقوة المسلمين وفرط عزتهم ووفور شوكتهم وقد جعلوا مبدأ هذه السنة غرة المحرم وقد صنع الملك المؤيد جدولا

بتسعير حبيب الزاد المشهور هند اخر[illegible]